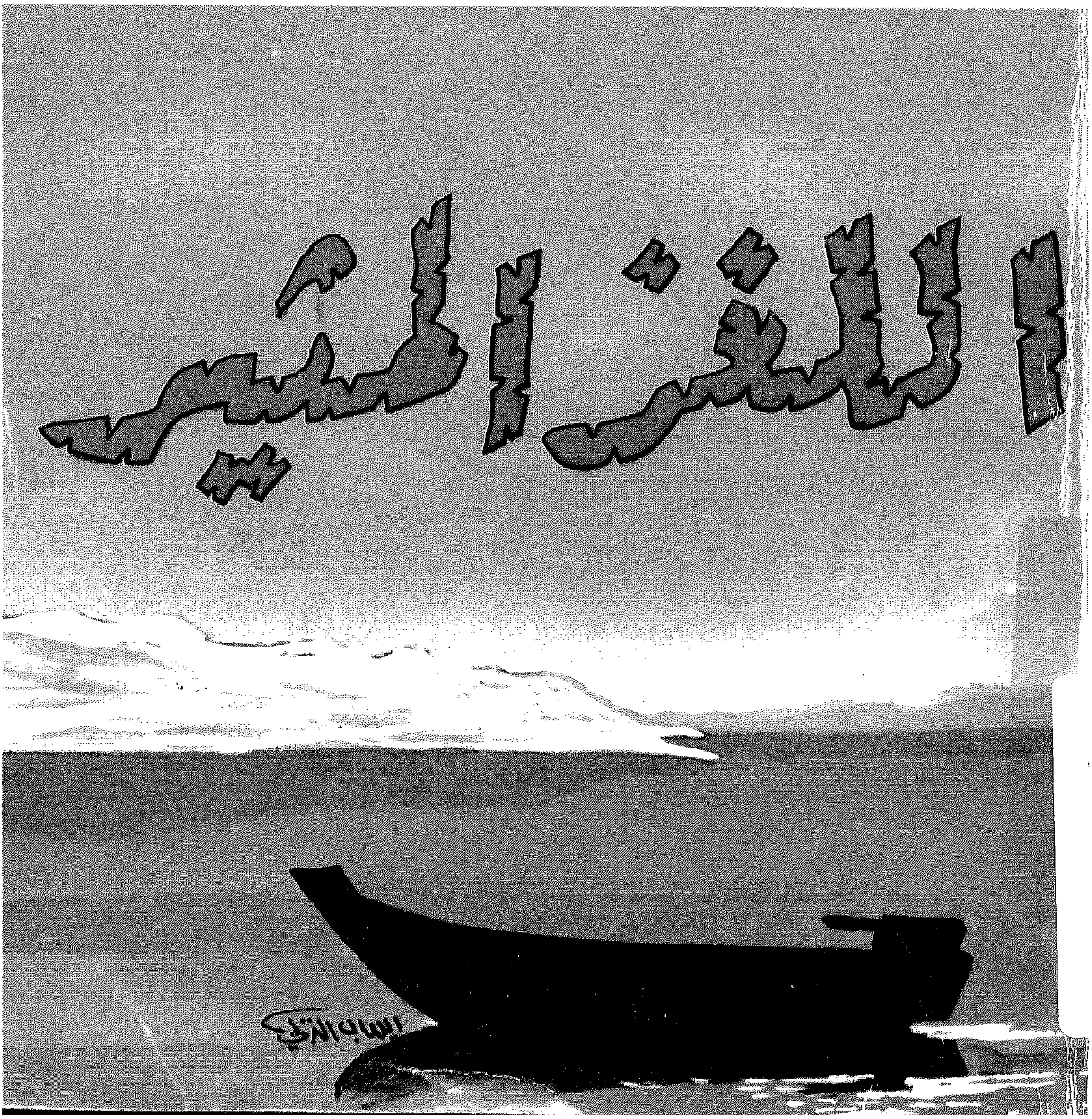
أجاثا كريستي ٥

اللغز المثير



اجاثا كريستى

اللغز المثير

ترجمة / محمد عبد المنعم جلال

مكتبة معروف إخوان

اسكندرية ـ ٤ ش سعد زغلول ـ ت : ٨١٠٨٢٨

القاهرة ـ ٤٣ ب ش رمسيس ـ ت : ٥٧٤٣٦١١

معروف أخوان

* غلاف واشراف فنى :
أيهاب التركى
إخراج فنى :
منى سليم

الموزعون
بالمملكة العربية السعودية
مكتبة دار الشعب
ت : ٤١١١٢٠٧ الرياض

البيت

وقفت جويندا ريد لا تبدى حراكا فوق رصيف الميناء ، وراحت تردد البصر حولها وهى ترتجف فى شئ من الانفعال . كانت أحواض الجمرك ومبانيه هى كل ما استطاعت ان تراه من انجلترا فى ذلك الوقت .

استقر رأيها فى تلك اللحظة على قرار ما كانت لتدرى عندئذ انه سيجرها الى سلسلة من مغامرات مأساويه . وهذا القرار هو أنها لن تمضى الى انجلترا بالقطار كما كانت قد عزمت من قبل .

ولم يكن هناك من يرغمها على ذلك على كل حال ، خصوصا وأنه لم يكن هناك من يعلم بقدومها . كما أنه لم يكن هناك من ينتظرها بالمحطة . وكانت قد هبطت من الباخرة فى بليموث بعد رحلة هاج فيها البحر هيجانا شديدا فى الأيام الثلاثة الأخيرة منها . وأصبح آخر شئ تتمناه هو ان تكمل رحلتها فى قطار يزعجها هو الآخر باهتزازه ورجرجته وأثرت أن تقضى الليلة فى فندق وان تستمتع بالنوم فى فراش وثير لا يهتز ولا يتمايل ، ثم تستأجر سيارة أجرة فى اليوم التالى وتبدأ الطواف بجنوب انجلترا فى بطء وبدون أسراع ، بحثا عن بيت جميل لكى تشتريه كما اتفقت مع جايلز . نعم كانت هذه الفكرة رائعة حقا ، فبهذه الطريقة تستطيع ان ترى ناحية من انجلترا طالما حدثها جايلز عنها ولم تعرفها بعد، وان كانت تعتبرها وطنها الثانى ، كما يعتقد أغلب النيوزيلنديين .ولكن انجلترا ، فى ذلك اليوم لم تكن بالمنظر الجذاب الذى يشد العيون فقد كانت السماء ملبدة بالسحب وتنذر بهطول الأمطار . وكانت الرياح شديدة

البرودة وبينما كانت تتقدم مع غيرها من المسافرين ، فى استسلام ، نحو الجمرك ومكتب الجوازات ، أخذت تحدث نفسها فتقول انها هبطت انجلترا ، لسوء حظها ، فى يوم أغبر كئيب .

ولكن لم تلبث أن تغير رأيها فى اليوم التالى ، فقد سطعت الشمس ، وطالعها من نافذتها منظر جميل ، ولم تعد الدنيا التى تمتد أمامها تهتز أو تتأرجح ، فقد سكنت العاصفة ، وبدا كل شئ هادئا ... أخيرا ... هذه هى انجلترا التى تستقبل مسز جويندا ريد ، عروس الواحد والعشرين ربيعا ، بعد رحلة طويلة .

ولم تكن جويندا تعرف متى يأتى جايلز بالذات ... ربما يتبعها بعد بضعة أسابيع وربما تمر عدة شهور قبل أن يلحق بها ، فهو الذى حملها على ان تسبقه الى انجلترا لكى تبحث عن بيت يناسبهما . والواقع أن كلا منهما قد رأى انه ليكون شيئا مريحا لو أن يكون لهما بيت مؤقت فى مكان ما . فقد كان عمل جايلز يضطره الى القيام بعديد من الانتقالات . وكان فى مقدور جويندا أن تتبعه فى بعض الأحيان طبعا . ولكن سيتعذر عليها ذلك فى مناسبات عدة . وراح كل منهما يعلل النفس بأن يكون لهما بيت يستقران فيه . وكان جايلز قد ورث حديثا ، بعض الأثاث عن عمة له بحيث أن كل شئ أسهم فى دفعهما الى هذا المشروع . ومن ناحية أخرى ، كانت جويندا وزوجها يتمتعان برفاهية كبيرة ساعدتهما على تنفيذ هذا المشروع .

ومع ذلك فقد ترددت جويندا فى بادئ الأمر فى القدوم الى انجلترا وحدها لاختيار بيت وشرائه . وقالت :

– يجب ان نقوم بهذا العمل سويا .

ولكن جايلز أجابها ضاحكا :

– هذا عمل لا يدخل فى أختصاصى . اذا أعجبك البيت فسوف يروق لى أنا الآخر . يجب أن يكون ملحقا به حديقة صغيرة طبعا ، وأن لا يشبه هذه البيوت الحديثة

الفظيعة التى نراها فى كل مكان تقريبا وأرى أن تبحثى عن بيت فى جنوب انجلترا ، وأن يكون بعيدا عن البحر .

وقد سألته جويندا اذا كان يفضل مكانا بالذات ولكنه أجابها بالنفى .. كان قد تيتم وهو صغير وكانت زوجته يتيمة هى الأخرى ، وقد قضى أجازاته عند كثيرين من الأهل ، ولم يترك له أى من هذه الأماكن ذكرى خاصة . ثم أن ذلك البيت يجب أن يكون بيت جويندا ، واذا كان ولابد أن يختاراه معا فربما يضطران الى الانتظار شهورا طويلة . وماذا تفعل هى طوال هذه المدة ؟ .. ستضطر الى الاقامة فى الفندق فى أثناء ذلك ... كلا ، كان لابد لها من أن تبحث عن بيت وأن تشتريه وتقيم به .

قالت لزوجها وهى تبتسم :

- اذن فأنت تنوى أن تجعلنى أقوم بالعمل وحدى ؟ ولكن الواقع أن فكرة شراء بيت وتأثيثه وأعداده ترحيبا بعودة جايلز سرتها جدا ، خصوصا وانها كانت تعبد زوجها .

وفى أول صباح ، وبعد أن تناولت افطارها وهى فى الفراش نهضت ورسمت خططها . وقضت اليوم فى زيارة بليموث ، واغتبطت بذلك كثيرا ... وفى صباح اليوم التالى استأجرت سيارة مريحة من طراز ديملر بسائقها ، وبدأت الطواف بالمنطقة .

كان الطقس جميلا والنزهة حلوة . وزارت بيوتا كثيرة فى مقاطعة دينون ، ولكنها لم تجد بينها ماتتمناه تماما غير انه لم يكن هناك ما يدعوها الى ان تتعجل ، فاستمرت فى بحثها فى هدوء . وكانت قد تعلمت كيف تقرأ ما بين السطور فى الاعلانات التى ينشرها السماسرة ، ولهذا وفرت على نفسها عددا من الانتقالات عرفت انه لا فائدة منها .

وبعد نحو أسبوع من قدومها الى انجلترا ، وفى مساء يوم ثلاثاء ، هبطت بها السيارة طريقا متعرجا يؤدى الى المصيف المشهور المعروف باسم " ريلموث " . ومرت

السيارة فجأة أمام بوابة حديدية علقت بها لافتة عليها كلمة " للبيع " . ورأت خلالها فيللا بيضا ، مبنية على الطراز الفيكتورى .

وأحست جويندا بقلبها تتسارع دقاته . كان هذا هو بيتها . وكانت واثقة من ذلك وتصورت الحديقة والنوافذ العالية .. نعم . أقتنعت ان هذا البيت هو الذى كانت تحلم به تماما وتتمناه .

وكانت الشمس توشك على المغيب ، فمضت الى فندق رويال كلارنس ، وقضت به الليل . ولم تذهب الى مكتب سمسار العقارات الذى قرأت أسمه على اللافتة الا فى صباح اليوم التالى

وأعطاها السمسار خريطة للبيت ، ولم تلبث ان وجدت نفسها فى الصالون الكبير القديم ، بنوافذه الكبيرة التى تؤدى الى شرفة أمامها طرقة يكسوها الحصى الرفيع وتنتشر فيها الأشجار صغيرة ، وتمتد فى انحدار نحو أرض خضراء . وبدا جزء من البحر من خلال الأشجار ، فيما بعد الحديقة .

وعادت جويندا تقول لنفسها :

هذا هو بيتى .. يخيل لى اننى أعرفه كله منذ الآن .

وانفتح الباب فى نفس اللحظة ، ودخلت امرأه طويلة القامة يرتسم الحزن على محياها وتعانى من زكام شديد .

وسألتها جويندا :

مسز هنجريف ؟ ... اننى قادمة من قبل السمسار لكى أرى البيت ، ولكن لعل الوقت لا يزال مبكرا ؟

تمخطت مسز هنجريف وقالت فى لهجة كئيبة انه لا أهمية لهذا . وبدأت الزيارة على الفور .

نعم . كانت هذه الفيللا ممتازة . ليست كبيرة أكثر من اللازم ...لعلها قديمة شيئا

ما ، ولكن من الممكن ادخال تعديلات عليها ، من بينها غرفة استحمام أو ربما غرفتين وتجديد المطبخ وتركيب حوض جديد وبعض التجهيزات الحديثة .

وبينما كانت غارقة فى رسم الخطط والمشاريع كان صوت مسز هنجريف يروى فى هدير رتيب تفصيل المرض الأخير للميجور هنجريف . كان نصف جويندا يحرص على أن ينطق من وقت لآخر ببعض الكلمات التى تعبر بها عن عطفها ورثائها . كان أقارب مسز هنجريف يقيمون فى مقاطعة كنت ويتلهفون على أن تذهب للاقامة معهم .. وقد أحب الميجور ديلموث كثيرا . وقضى سنوات عديدة وهو يشغل منصب سكرتير نادى الجولف . أما هى ...

– نعم ، طبعا ... ان المستشفيات هكذا دائما ...طبعا ،... يجب ...

وكان نصفها الآخر يتابع أفكارها ... أظن انه يجب وضع دولاب الثياب الداخلية هنا... نعم .،. وغرفة بفراشين تطل على البحر ... سيروق هذا لجايلز كثيرا . أما هذه الغرفة الصغيرة فيمكن أن تتحول الى دورة مياه ... آه ها هى غرفة الحمام . أظن ان "البانيو " . مكسو بخشب الأكاجو ... نعم .. اننى أصبت التخمين ... وهو يقع فى وسط الغرفة ... هذا عظيم . لن أغير شيئا فى هذه الغرفة ... فهى جميلة وواسعة ، وانى أعرف ما سوف نفعل بهاتين الغرفتين الصغيرتين المظلمتين اللتين تطلان على خلف البيت . سنجعل منهما غرفتى استحمام أخريين ... أما هذه الغرفة فسنحتفظ بها كما هى .

وقالت مسز هنجريف : – نزلة شعبية تحولت الى التهاب رئوى بعد ثلاثة أيام .

تمتمت جويندا تقول :

- هذا فظيع ! ... ولكن قولى لى ، الا توجد غرفة أخرى فى آخر هذه الطرقة ؟

كانت هناك غرفة حقا ، وكانت كما تصورتها تماما ، بجدران مكورة وفى وسطها نافذة كبيرة تفضى الى شرفة رحبة . كان يجب اعادة تصميمها طبعا . ومع ذلك فقد

كانت فى حالة جيدة ولكن لماذا يحب الناس الذين على شاكلة مسز هنجريف هذا الورق الذى بلون الخردل ؟

واستدارت ومشت فى الطرقة ، خلف مسز هنجريف وهى تقول :

- ست غرف للنوم .بل سبع ، بخلاف الغرفة الصغيرة الأخرى ذات السقف المنخفض .

وكانت الأرضية تقرقع تحت أقدامها فى صوت خفيف . وخيل لها أنها هى التى كانت تعيش فى ذلك البيت لا مسز هنجريف ، وان هذه الأخيرة ، أنما هى دخيلة وانها كست جدران الغرف بورق عجيب اللون

وخفضت جويندا عينيها نحو الورقة التى فى يدها والمكتوبة على الآلة الكاتبة والتى سجلت بها أوصاف البيت والثمن المطلوب .

وكانت قد أخذت فكرة فى الأيام الأخيرة عن أثمان البيوت . ولم يكن المبلغ المطلوب لهذا البيت مبالغا فيه ، ولكن البيت نفسه كان بحاجة الى تعديلات هامة بالطبع ... وحتى مع تكاليف هذه التعديلات الضرورية ...ورأت فى أسفل الورقة هذه العبارة "الثمن قابل للمساومة " وقالت لنفسها ان مسز هنجريف لابد تتلهف للعودة بجوار أقاربها فى أقليم كنت

وكانت المرأتان قد بدأتا تهبطان الدرج عندما غمر جويندا احساس مبهم من خوف عجيب غير منطقى كان أحساسا فظيعا سرعان ما تبخر كما جاء . ومع ذلك فقد خطرت لها فكرة جديدة فقالت فى ارتباك :

- أظن أن البيت ليس مسكونا .

وكانت مسز هنجريف تهبط الدرج أمامها ، وكانت قد بلغت فى حديثها تلك المرحلة التى تدهورت فيها صحة الميجور هنجريف بسرعة . ونظرت الى جويندا فى فزع وقالت :

- ليس على ما أعلم هل أشاع أحد ذلك ؟

- ألم تشعرى أنت نفسك بشئ أبدا ... أو لم ترى شيئا ما ؟ ... هل مات أحد هنا ؟

وندمت جويندا فور ألقائها هذا السؤال المزعج لان من المحتمل أن الميجور هنجريف.

وأجابتها المرأة فى صوت جاف :

- لقد مات زوجى فى مستشفى سنت مونيك .

- أوه ، طبعا ... أظن انك قلت لى ذلك .

واستطردت صاحبة البيت تقول فى نفس اللهجة الجافة :

وفى بيت أقيم منذمائة سنة لابد أن يكون قد مات فيه كثيرون . ومع ذلك ، فان مسز الوورثى ، التى اشترى منها زوجى المسكين البيت منذ سبع سنوات كانت تتمتع بصحة جيدة . والواقع انها باعت البيت لأنها كانت تريد أن تشتغل بالتبشير فى مكان آخر . ولم تذكر أبدا أن أحدا من أفراد أسرتها قد مات بالبيت .

وأسرعت جويندا تهدئ من خاطر مسز هنجريف ، وكانتا قد عادتا الى غرفة الصالون ، وهى غرفة جميلة يسودها جو من الهدوء كانت المرأة الشابة تحلم به . وبدا لها ان لحظة الذعر الخاطفة التى تملكتها لم يكن هناك ما يبررها ، فما الذى حدث ؟ ... لم يكن بالبيت أى شئ غريب أو غير طبيعى .

واستأذنت من مسز هنجريف فى ان تذهب لالقاء نظرة على الحديقة ، وخرجت من النافذة الكبيرة ، وألقت نفسه فى الشرفة . وقالت تحدث نفسها :

- كان يجب ان تكون هنا بضع درجات .

ولكن كانت هناك بدلا من ذلك شجرة عالية من أشجار الفورسيتية أخفت منظر البحر تقريبا .

هزت جويندا رأسها ... سوف تغير كل هذا .

واجتازت الشرفة خلف مسز هنجريف ، وهبطت السلم الحجرى الصغير المؤدى من الناحية الأخرى الى الأرض المزروعة ... ولاحظت ان الممشى الذى يغطيه الحصى قد غزاه العشب ، وان أكثر الأشجار بحاجة الى التشذيب وتمتمت مسز هنجريف تعتذر بأنها أهملت الحديقة تقريبا ، لأنه ليس بمقدورها الاستعانة بأحد البستانيين بصفة دائمة.

وبعد أن ألقت جويندا نظرة الى بستان الخضر ، وكان به من أنواعها ما يفى بالحاجة على الرغم من صغره قالت ان عليهاان تتفرج على بيوت أخرى ، وانه على الرغم من انها أحبت هيلسايد الا انها لا تستطيع ان تتخذ قرارا عاجلا .

وتركتها مسز هنجريف وهى تنظر اليها فى تفكير .

وعادت جويندا الى المكتب ، وقدمت عرضا ثابتا وقضت بقية اليوم فى زيارة ديلموث وكانت المدينة عبارة عن مصيف صغير جميل فيه فندقان حديثان وبيوت ذات ألوان زاهية ، ولكن منظر الشاطئ بكثبانه الرملية حال بين امتداد المدينة أكثر من ذلك.

وبعد ان فرغت جويندا من تناول الغذاء جاءتها مكالمة من المكتب قيل لها فيها ان مسز هنجريف قبلت العرض الذى تقدمت به . وارتسمت على شفتى المرأة الشابة ابتسامة ماكرة وأسرعت الى مكتب البريد وأرسلت البرقية التالية لجايلز :

" اشتريت البيت . لك حبى . جويندا " .

وتمتمت تقول :

– سوف تتملكه الدهشة ، وسيعلم اننى لم أفقد وقتى .

* * *

الورق الملون

- ١ -

مر شهر . وانتقلت جويندا الى هيلسايد . ونقلت اليه ، من مخزن الأثاث ، المفروشات التى ورثها جايلز عن عمته ، وكانت قديمة بعض الشئ ولكنها كانت من نوع جيد . وقد اضطرت جويندا الى بيع دولابين لأنهما كانا كبيرين ، ولكن الباقى تآلف مع البيت العتيق وانسجم تماما . وكان فى الصالون منضدتان صغيرتان مرصعتان بالصدف ، ومكتب صغير وأريكة من خشب الأكاجو .

ونقلت الكراسى القديمة المبطنة الى الغرف الأخرى ، واشترت لها ولزوجها مقعدين وثيرين وضعت كلا منهما مقابل الآخر أمام المدفأة ، فى حين وضعت الأريكة الطويلة بين النافذتين . واختارت للستائر نوعا من الكريتون المطبوع ، مزخرف بورود وعصافير صفراء فوق خلفية زرقاء ، وبدت لها الغرفة فى غاية الجمال .

ومع ذلك ، فلم تكن استقرت بعد ، لأن العمال كانوا لا يزالون يعملون فى البيت . كانوا قد فرغوا من اعداد غرفتى الاستحمام الجديدتين ، ومن تركيب التجهيزات الحديثة بالمطبخ . اما الديكور فقد رأت أن تنتظر قليلا قبل البدء فيه لأنها أرادت أن تعتاد على البيت وأن تألفه قبل أن تختار نوع الأوراق الجديدة التى ستغطى بها جدران غرفة النوم . وكانت قد فرغت من اعداد كل شئ ، ولم يكن هناك داع لمزاولة أكثر من عمل فى وقت واحد .

والحقت بخدمتها امرأة تدعى مسز كوكر للاشراف على شئون البيت واعداد الطعام فى نفس الوقت .

وقد جاءتها مسز كوكر بصينية الطعام فى ذلك الصباح وهى ما تزال فى فراشها وقالت لها :

- عندما لا يكون بالبيت رجل ما فان المرأة تفضل تناول طعامها فى الفراش .

ولم تجعل جويندا اقامتها فى الغرفة الكبيرة ذات الفراشين ، مؤجلة ذلك حتى مجئ جايلز ، وأقامت فى الغرفة الصغيرة ذات الشرفة الكبيرة المستديرة التى تقع فى آخر الطرقة . وأحست فيها بأنها فى بيتها وأنها سعيدة .

ورددت البصر حولها وقالت فى انفعال :

- هذه الغرفة تروق لى كثيرا .

ألقت مسز كوكر نظرة متسامحة حولها ثم قالت : انها غرفة جميلة يا سيدتى ، على الرغم من انها صغيرة . ويبدو من القضبان المزودة بها النوافذ انها كانت غرفة طفل فى وقت من الأوقات ، فقد كان يبدو أنها تريد أن تعنى بقولها هذا " عندما يأتى الرجل بالبيت فمن يدرى ؟ .. قد نحتاج الى حجرة نوم للطفل " .

واضطرم وجه جويندا ورددت البصر حولها . نعم . ستكون هذه غرفة نوم جميلة لطفل . وراحت تفرشها فى ذهنها ، فهناك لصق الحائط بيت كبير للدمية ودواليب صغيرة لحفظ اللعب ، وفى الموقد تتأجج نار هادئة تبعث الدفء فى أنحاء الغرفة . ولكنها لن تحتفظ بهذا الورق الخردلى اللون . يجب أن تختار نوعا آخر فاتحا وزاهيا به زهور جميلة .

ولم تكن هناك حاجة الى مفروشات كثيرة لأن هناك دولابين فى الحائط ، ولكن احدهما كان مغلقا ومفتاحه مفقود ، ومغطى بطبقة من الدهان مما يدل على انه لم يستخدم منذ مدة طويلة . وقالت جويندا تحدث نفسها أنها يجب أن تكلف العمال بأن يفتحوه غدا لانها ستحتاج اليه لكى تضع فيه الثياب التى لا تجد لها مكانا .

وأخذت تحس يوما بعد يوم بأنها فى بيتها فى هيلسايد وكانت قد بلغت فى

تأملاتها الى هذه الدرجة عندما سمعت ، عبر النافذة المفتوحة نحنحة رجل ، ففرغت من طعامها على عجل .. كان فوستر البستانى ، المعروف بغرابة أطواره ، وبأنه لا يفى بوعوده أبدا بحيث أصبح لا يمكن الاعتماد عليه قد بر بوعده هذه المرة وأقبل صباح اليوم .

ووثبت جويندا من فراشها ، ومضت الى غرفة الاستحمام حيث اغتسلت ثم ارتدت ثيابها واسرعت الى الحديقة . كان قد خطر لها منذ ان اشترت هيلسايد أن تعد ممرا خلال الطريقين الحجرى بحيث يمكنها أن تصل الى الأرض المزروعة مباشرة ، وقد تمرد فوستر فى بداية الامر محتجا بأنه لابد لذلك من اقتلاع شجرة الفورسيتية ، وهى شجرة جميلة سوف تذبل اذا ما أعيد غرسها فى مكان آخر . ولكن المرأة الشابة صممت على رأيها بحيث راح يعمل الأن فى حماس ونشاط كبيرين .

واستقبلها البستاني بضحكة صغيرة وقال :

- لكأنى بك تعودين الى الأيام الخوالى يا سدتى .

الأيام الخوالى ؟ .. ماذا تعنى ؟

ضرب البستانى الأرض بمعوله وقال :

اننى بلغت الأن المكان الذى كانت به الدرجات القديمة ..كان يوجد هنا ممر من قبل ، وهو كما تريدينه أنت تماما . ولاريب أن ساكنا قديما أعدمه حتى لا يستخدمه .

- هذا يدل على انه كان غبيا حقا .. ليس أجمل من ان ترى ، من نافذة الصالون ، الارض المزروعة والبحر .

هذا صحيح يا سيدتى . ثم ان هذه الشجرة الضخمة كانت تمنع النور عن الصالون . ومع ذلك فمازلت أعتقد أن اقتلاعها خسارة كبيرة لانها شجرة ثمينة لن تعوض .

قالت جويندا :

- اننى أعرف .

وأشارت بيدها الى البحر الذى يبدو من بعيد وأردفت :

- ولكن هذا المنظر أجمل بكثير .

حك فوستر ذقنه وقال فى تفكير :

- هذا صحيح .

- أليست كذلك ؟ ولكن قل لى .. من الذى كان يقيم هنا قبل آل هنجريف ؟

- قبل آل هنجريف ؟ .. لم يبق الميجور هنجريف وزوجته بالبيت أكثر من خمس أو ست سنوات . وقد أقامت به قبلهما مس الوورثى هى وأخواتها الاربع ، وكن يعملن بالتبشير . وقبلهن .. آه ، نعم .. كانت تقيم به مسز فنديزون ، وكانت سيدة من سيدات المجتمع ، ومن أهالى المنطقة ، لانها كانت تقيم هنا قبل أن أولد .

- هل ماتت فى هيلسايد ؟

- كلا . وانما ماتت فى مكان ما من مصر .وهى التى زرعت شجرة المغنولية هذه ، والأشجار الصغيرة الجميلة التى حولها .. كانت تحب الأشجار .

وسكت البستانى سكتة قصيرة ثم استطرد يقول :

- فى ذلك الوقت لم يكن هناك أى من هذه المنازل التى ترينها بطوال التل . كنا فى ذلك الوقت فى الريف حقا . لم تكن السينما موجودة ، ولا كل هذه المتاجر الجديدة بل ان الساحة نفسها لم تكن موجودة .

ونم صوته عن ذلك الاستهجان الذى يحس به المسنون أمام كل تجديد . وأردف يقول فى شئ من الازدراء :

- تغييرات .. ولا شئ غير التغييرات .

وقالت جويندا فى لهجة رقيقة :

- ان التغييرات أمر ضرورى لا مفر منه . ومهما يكن فهناك اليوم تحسينات كثيرة

- هكذا قيل لى . ولكننى لم الحظ شيئا منها .. تغييرات .. ألا تبا لها !

وأشار فوستر الى سور كبير يقوم خلفه ، الى اليسار ، مبنى يتألق تحت أشعة الشمس وقال :

- كان هذا المبنى فيما سبق مستشفى البلدة . وكان وجوده فى هذا المكان جميل وعملى ، ولكنهم شيدوا مستشفى آخر أكبر ، على بعد نحو ميل من البلدة . واذا أردت ان تزورى أحد المرضى فلابد لك من عشرين دقيقة لكى تذهبى اليه سيرا على الأقدام ، وعشرين دقيقة أخرى للعودة ، أو من دفع تذكرة فى الاوتوبيس .

وأشار الى السور مرة أخرى وقال :

- أما الآن فقد أصبح هذا المبنى مدرسة للبنات منذ عشر سنوات .. تغييرات وتغييرات ودائما تغييرات كما قلت لك . ثم هناك شئ آخر . أن الناس يأتون اليوم ويسكنون بيتا يقيمون فيه نحو خمس عشرة سنة ، ثم ينتقلون منه الى مكان آخر . انهم لا يستقرون فى مكان واحد أبدا .لقد تغيرت الدنيا وأصبحت غير الدنيا التى كنت أعرفها .

عادت جويندا الى البيت وعلى شفتيها ابتسامة . وبعد أن ألقت نظرة الى العمال مضت الى الصالون وجلست أمام المكتب الصغير لكى تكتب بعض الخطابات وكان قد جاءتها رسالة من أقارب جايلز المقيمين فى لندن . وقد جاءتها منهم دعوة لزيارتهم فى منزلهم بشلسى اذا ما نزلت بالمدينة .

كان رايموندوست روائيا معروفا . أما زوجته جوان فكانت رسامة . وقالت جويندا لنفسها أنه قد يطربها أن تزورهما . ولكن لعلهما يعتبرانها غير مثقفة لانها لا هى ولا جايلز قد لقيا حظا كبيرا من الثقافة .

وارتفعت فى أنحاء البيت دقة الصنجة ، وكان لها صوت مهيب . وكانت هذه الآلة القديمة موجودة بالبيت عندما اشترته من مسز هنجريف . وكان يبدو أن مسز كوكر

تشعر بسرور كبير وهى تدق عليها لكى تعلن عن مواعيد تناول الطعام . وأصمت جويندا أذنيها بيديها ونهضت واجتازت الصالون من الناحية الاخرى ثم توقفت وهى تطلق صيحة تدل على الاستياء ، فقد كانت هذه ثالث مرة يقع لها ذلك . كان يخيل لها أنها تتوقع أن تمر من خلال الجدار لكى تمضى الى غرفة الطعام .

واستدارت وخرجت الى البهو ، ودارت بزاوية غرفة الصالون لكى تصل الى غرفة الطعام . كانت هذه دورة كبيرة . وخطر لها أنه سيكون أمرا مزعجا اذا اضطرت الى ذلك أثناء الشتاء لان التيارات الهوائية كانت تملأ البيت ، وأنابيب التدفئة لم تركب فى الدور الأرضى الا فى غرفتى الصالون والطعام .

وجلست المرأة الشابة الى المائدة وهى تقول :

- لا أدرى لماذا لا أشق بابا يصل بين الغرفتين . سأتحدث فى هذا مع مستر سيمز غدا .

ومستر سيمز هو المقاول الذى يقوم بأعمال الديكور وهو رجل متوسط العمر له صوت مبحوح ، يتنقل دون انقطاع وفى يده دفتر صغير يدون فيه كل الآراء الباهظة التكاليف التى يمكن أن تخطر لعملائه . وقد هز رأسه موافقا حين استشارته جويندا بخصوص الباب وقال :

- هذا من أسهل الأمور يا مسز ريد ، ثم أنه رأى سليم وعملى .

- هل يكلفنى كثيرا ؟

وكانت المرأة الشابة قد تعلمت أن تكون على حذر من تأكيدات مستر سيمز وحماسه ، لأنها عانت الكثير قبل ذلك من التغييرات التى طرأت على تقديراته المبدئيه . وأجابها المقاول فى لهجة أراد أن تكون مطمئنة :

مبلغ زهيد . سأطلب من تايلور أن يأتى ويلقى نظرة بعد الظهر بمجرد أن ينتهى من دورة المياه ، وسأستطيع أن أعطيك عندئذ فكرة محددة عن قيمة التكاليف .

أبدت جويندا موافقتها ثم ذهبت بعد ذلك فكتبت لجوان وست تشكرها على دعوتها وتقول لها أنه يؤسفها الا تستطيع مغادرة ديلموث فى الوقت الحالى لأنها تريد مراقبة العمال . وبعد أن فرغت من خطابها خرجت لتتمشى قليلا لكى تستنشق نسمة البحر .

وعندما عادت وجدت تايلور جاثيا بجوار الحائط الذى يفصل بين الصالون وغرفة الطعام . ونهض وهو يبتسم وقال :

- ليست هناك أية صعوبة يا سيدتى ، فقد كان يوجد فى هذا المكان بالذات باب فيما سبق ، ولكن بعضهم سده ، ولاريب انه لم يناسبه .

دهشت جويندا جدا وقالت لنفسها ان الأمر غريب . لقد أحسست دائما انه كان يوجد باب هنا . وتذكرت التصميم الذى توجهت به نحو الحائط عندما دقت الصنجة . وفجأة أحست بقشعريرة من القلق . فقد كان الأمر غريبا حقا . كيف تأكدت انه كان يوجد باب فى هذا المكان من قبل ، مع أنه لم يكن هناك أى أثر ظاهر يدل على ذلك . وكيف استطاعت ان تخمن ؟ ... سيكون من المريح طبعا أن تمر من غرفة لأخرى مباشرة . ولكن لماذا اتجهت دون أى تردد الى هذا المكان من الحائط بالذات ؟ .. كان يمكن أن تتجه الى مكان آخر . ولكنها . فى ثلاث مرات متتالية ، اتجهت نحو المكان الذى كان يوجد به الباب من قبل .

وقالت : - أرجو ألا تكون لدى موهبة الاستبصار أو أى شئ من هذا النوع .

لم يكن هناك أى أثر فى حياتها يدل على ان لها مقدرة فى التكهن بما وراء النفس. ولم تكن تنتمى الى هذه الطبقة من الناس ، ولكن هل هى واثقة من ذلك حقا ؟ هذا الممر الذى أرادت اقامته بين الشرفة والأرض المزروعة هل عرفت بطريقة ما أنه كان موجودا من قبل ؟

ولكن من يدرى ؟ ... ربما اتمتع بموهبة الوسيط .. هذا اذا لم يكن فى البيت نفسه

شئ يوحى بذلك.لماذا سألت مسز هنجريف اذا كان البيت مسكونا فى اليوم الذى زارته أول مرة .

ولكن البيت لم يكن مسكونا ، فهو بيت جميل ، ولا يمكن أن يكون به أى تأثير . ومهما يكن فقد بدت على مسز هنجريف الدهشة الشديدة لهذا الافتراض . ولكن ألم يكن فى ردها شئ من التحفظ .

وهتفت تقول : يا الهى ... ما هذه الأفكار ؟

وبذلت جهدها لكى تعيد ذهنها الى حديثها مع تايلور وقالت :

- هناك شئ آخر ... فى غرفتى بالدور الأول دولاب مغلق وأريد أن تفتحه لى .

وقال الرجل بعد أن فحص الدولاب : انه مدهون أكثر من مرة . ولكن فى استطاعتى أن أفتحه غدا صباحا ، اذا أردت .

وانصرف تايلور بعد أن أعطته جويندا موافقتها .

وأحست المرأة الشابة فى تلك الليلة بالاضطراب والانفعال بصورة غريبة . وجلست فى مقعد بالصالون وحاولت أن تقرأ . وكانت تعى أقل حركة تدور حولها ، وألقت نظرة من فوق كتفها مرة أو مرتين وارتجفت .. لم تكف عن القول بأنه ليست هناك أية غرابة فى مسألة الباب ، وفى مسألة الممر بالحديقة ، ومهما يكن فلم تكن هاتان النقطتان الا مصادفة ، ولم تكن الأفكار التى مرت بها فى كلتا الحالتين الا وحىَ العقل والصواب .

ومع ذلك ، ودون أن تعترف ، أحست بالجزع لمجرد فكرة أن تمضى الى الفراش . وعندما نهضت أخيرا وأطفأت النور ووجدت نفسها فى البهو أحست بشئ من التردد والخوف فى صعود السلم . وارتقته على عجل ، وعبرت الطرقة مسرعة وفتحت باب غرفتها فى حدة .

وما أن ضمتها جدران غرفتها حتى أحست بالارتياح وهدأت مخاوفها . وألقت نظرة حولها فى اطمئنان . أحست فى هذه الغرفة الصغيرة الجميلة أنها فى أمان . وأنها

سعيدة وفى مأمن من كل خطر ... ولكن أى خطر أيتها الغبية ؟ ... قالت ذلك وهى تنظر الى بيجامتها الملقاة فوق الفراش وخفيها فوق السجادة .

ونضت عنها ثيابها وارتدت البيجامة واستلقت فى فراشها وهى تتنهد فى ارتياح كبير .

وفى صباح اليوم التالى كان لديها أعمال كثيرة فى المدينة ، وعندما عادت عند الظهر قالت لها مسز كوكر وهى تضع الطعام أمامها :

لقد فتح العمال الدولاب الذى فى غرفتك .

قالت جويندا :

- أوه ... شكرا لك يا مسز كوكر .

وكانت جائعة فأكلت حتى شبعت ، ثم احتست قهوتها فى الصالون ، وصعدت بعد ذلك الى غرفتها . ومضت الى الدولاب رأسا وفتحته .

ولم تستطع ان تكتم صيحة فزع ندت من بين شفتيها ، واتسعت عيناها دهشة ... ذلك انها رأت بداخل الدولاب الورق الذى كان يغطى الحائط أصلا ، وكان نوع من الورق مرسوم عليه زهور حمراء وزرقاء .

- ٢ -

بقيت جويندا لحظة طويلة تحدق فى الورق ثم ابتعدت فى خطوات مترددة وجلست على حافة فراشها .

انها فى بيت لم تره أبدا قبل أن تشتريه ، ولكنها بعد يومين من ذلك تخيلت ورقا مشابها لذلك الورق الذى غطيت به جدران الغرفة قبل ذلك .

ودارت برأسها أفكار غريبة ... معرفة مسبقة أو هاجس داخلى ؟

ممر الحديقة والباب الفاصل كان يمكن أن تضمهما الى المصادفات الغريبة ، ولكن

الأمر مختلف مع الورق . لأنه لم يكن معقولا أن تتصور ورقا به رسومات معينة فى المكان الذى تريد أن يكون فيه ، ففى هذا شئ أثار خوفها ولم نستطع ادراكه ..كانت ترى هذا البيت ، من وقت لآخر ، كما كان فيما سبق ، وكانت تتوقع أن ترى شيئا آخر فى أية لحظة ... شيئا كانت لا تتمنى أن تراه .

نعم ... ان هذا البيت أصبح يثير خوفها الآن . ولكن أهو البيت نفسه الذى يخيفها حقا ؟ .. ألم تكن تخاف من نفسها بالذات ؟ ... لم تكن تريد أن تكون من هؤلاء الأشخاص الذين يرون أشياء .

وأطلقت زفرة طويلة ونهضت واستبدلت ثيابها ، وخرجت من البيت ومضت الى أقرب مكتب للبريد وأرسلت البرقية التالية خالصة الرد :

" وست ١٩ ميدان أدوى بشلسى لندن .. هل أستطيع أن أغير رأيى وآتى غدا ؟"

* * *

الصرخة

بذل رايموند وست وزوجته جهدهما لكى تشعر جويندا بأنها فى بيتها ، ولكن لم يكن الذنب ذنبهما اذا كانت المرأة الشابة قد وجدتهما باعثين لضجرها وسأمها ، فقد أثار رايموند دهشتها بمظهره العجيب الذى جعله أشبه بالغراب وبشعره المشعث وحديثه الخارق ، وبدا لها أن جوان وزوجها يتكلمان لغة خاصة بهما ، ولم يسبق لها أن وجدت نفسها فى وسط من المثقفين الذين لا تفقه من حديثهم شيئا .

وقال رايموند : - اننا ننوى أن نصطحبك الى المسرح .

وكانت جويندا تحتسى جرعات صغيرة من كأس به بيرة فى حين أنها كانت تفضل لو أن قدموا لها كوبا من الشاى بعد الرحلة التى قامت بها ، ولكن على الرغم من ذلك تألق وجهها بالبشر والسرور عند ذكر المسرح .

واستطرد الكاتب يقول : - سوف نقضى الليلة فى مسرح الباليه . أما غدا فسنحتفل بعيد ميلاد خالتى جين العجيبة ثم نمضى بعد ذلك لمشاهدة مسرحية دوقة أمالفى . وستحبين خالتى فهى كالقطعة الأثرية الثمينة ، اذا جاز لى هذا التعبير .. ولدت فى عهد الملكة فيكتوريا ، وتقيم فى قرية هادئة لا يقع فيها شئ على الاطلاق

وتدخلت جوان فقالت فى لهجة جافة :

ومع ذلك فقد وقع فيها شئ ذات مرة

- ولكن لم يكن ذلك أكثر من مأساة غرامية بسيطة وعادية

عادت زوجته تقول وهى تغمز له بعينيها :

- ومع ذلك فقد أثارت هذه المأساة اهتمامك فى ذلك الوقت .

قال رايموند فى وقار : - مهما يكن فان خالتى أبدت براعة كبيرة فى هذه القضية.

- بكل تأكيد ، فهى ليست غبية ثم انها مولعة بالمسائل .

هتفت جويندا وقد حلقت أفكارها الى المسائل الحسابية : - المسائل ؟

- أعنى القضايا والأسرار الغامضة . مثل ذلك لماذا خرجت زوجة البدال وفى يدها مظلتها فى ليلة صيف جميلة لكى تحضر اجتماع احدى الجمعيات الخيرية . ولماذا وضع طبق الجمبرى فى المكان الذى وجد فيه ، أو ما الذى حدث لصندوق النذور بالكنيسة . كل شئ بالنسبة لخالتى جين جميل . واذا كانت لديك مشكلة فيمكنك أن تعرضيها عليها فتعطيك الجواب .

وراح يضحك ، وقلدته جويندا ولكن فى غير حماس يذكر .

وفى صباح اليوم التالى تعرفت المرأة الشابة بالخالة جين . وكانت هذه الأخيرة عانسا مسنة ظريفة ، طويلة القامة . نحيفة الجسم ذات وجنتين متوردتين وعينين زرقاوين تومضان بوميض من الخبث والمكر فى بعض الأحيان .

وبعد أن تناولوا الطعام والشراب نخب صحة الخالة جين مضوا الى المسرح ، وكان معهم رجلان آخران ، احدهما متقدم فى السن والآخر محام شاب .. وقد كرس الأول وقته كله تقريبا لجويندا أثناء الطعام والشراب فى حين وزع الثانى اهتمامه بين جوان والخالة جين ، ولكن انقلبت الأوضاع فى المسرح ووجدت جويندا نفسها جالسة بين رايموند والمحامى .

وانطفأت الأنوار وبدأت المسرحية . وأدى الممثلون أدوارهم ببراعة فائقة ، وأعجبت جويندا بها خصوصا وأنه لم يكن قد سبق لها أن شاهدت مسرحيات فى مسارح من الدرجة الأولى قبل ذلك . وأوشكت المسرحية على الانتهاء ، وبلغت ذروة الفزع والرعب ، وارتفع صوت البطل ينطق بكل مافى الذهن البشرى من فظاعة وانحلال .

" غطوا وجهها ، فقد ماتت فى ريعان الشباب وعيناى منبهرتان " .

وأطلقت جويندا صيحة عندئذ ووثبت من مقعدها ، ومرت كالعمياء أمام الآخرين واندفعت نحو الممر ومنه الى باب الخروج ، ولم تلبث ان وجدت نفسها فى الشارع ، وبلغت هايماركت وهى تمشى تارة وتجرى أخرى ، وهناك رأت سيارة أجرة قادمة فاستوقفتها ، وذكرت للسائق عنوان البيت بشلسى .. وعندما وقفت السيارة أمام البيت أخرجت النقود بيد ترتعش ونقدت السائق أجره ثم صعدت الدرجات الأمامية . وفتحت لها الخادمة الباب ، ونظرت اليها فى دهشة ظاهرة وقالت :

انك بكرت فى العودة فهل أنت مريضة ؟ . هل آتيك بكأس من الكونياك ؟

- كلا ، أشكرك لا أريد شيئا .. سأذهب لكى أنام حالا .

وصعدت السلم ركضا هاربة من أسئلتها .

واذ بلغت غرفتها نضت عنها ثيابها ، واستلقت فى فراشها حيث بقيت لحظة ترتجف وقلبها يدق بشدة وعيناها تحدقان فى السقف .

ولم تسمع الآخرين عندما عادوا ، ولكن لم يلبث باب غرفتها ان انفتح ، ودخلت مس ماربل تتأبط مدفأتين وفى يدها قدح من الشاى .

وجلست جويندا فى فراشها وهى تحاول أن تتغلب على رعشتها وقالت :

أوه يا مس ماربل . اننى شديدة الخجل ... لا أدرى ماذا .. اننى كنت فظيعة جدا .. ماذا يظنون بى ؟ لاريب انهم متكدرون .

أبدا .. لا تقلقى يا بنيتى .. خذى هاتين المدفأتين الى جوارك .

لست بحاجة اليهما .

- بل أفعلى ما أقول لك .. نعم .. هكذا .. والآن .. اشربى هذا الشاى .

وكان الشاى ساخنا ، ولكن جويندا شربته دون اعتراض ، واحست برعشتها تخف شيئا فشيئا

وقالت العانس العجوز :

- والآن ارقدى ونامى .. انك تعرضت لصدمة ... ولكننا سنتحدث فى هذا غد صباحا .. لا تقلقى .. ما عليك الآن الا أن تنامى .

ورفعت مس ماربل الغطاء على صدر المرأة الشابة وربتت بيدها على كتفها فو رلق وخرجت .

وفى نفس الوقت كان رايموند يقول لجوان محنقا :

- ماذا دهى هذه الفتاة ؟ .. هل هى مريضة أو ..

- لا أدرى يا عزيزى .. سمعتها تصرخ ، وهذا كل شئ . أظن أن المسرحي أخافتها .

- ربما ، فان وبستر مخيف أحيانا .. ولكن لم - أكن أظن ..

وأمسك عن الكلام عند دخول مس ماربل وقال يسألها :

- أهى أحسن ؟

- نعم .. ولكنها تعرضت لصدمة شديدة .

- صدمة ؟ .. من مشاهدة مسرحية وبستر ؟

قالت مس ماربل فى تفكير :

- يخامرنى احساس بأن هناك شيئا أكثر .

وفى صباح اليوم التالى جئ بطعام الافطار لجويندا وهى فى الفراش . فشربت قليا من القهوة وأكلت قطعة من الخبز بالزبدة ، ثم نهضت وارتدت ثيابها وهبطت الى الدو الأرضى .. وكانت جوان قد خرجت الى عملها ، وأغلق رايموند مكتبه عليه .

وبقيت مس ماربل وحدها فى الصالون .. وكانت منهمكة فى شغل الابرة وه جالسة أمام النافذة المطلة على النهر .. وعندما دخلت جويندا رفعت وجهها الهاد اليها وابتسمت ثم قالت :

- صباح الخير يا عزيزتى .. أرجو أن تكونى الآن بخير .

نعم . وأشكرك .. اننى على ما يرام . ولكننى لا أدرى كيف كنت بهذا الغبا .

أمس .. هل هما غاضبان منى ؟

كلا بالصبع .. انهما يفهمان تماما .

يفهمان ؟ .. ماذا تعنين ؟

رفعت مس ماربل عينيها اليها مرة ثانية وقالت : انك تعرضت لصدمة .. وهذا كل شئ .

وأردفت تقول فى رفق :

- ألا ترين ان من الأفضل أن تحدثينى بما هناك .

راحت جويندا تمشى فى الغرفة جيئة وذهابا فى انفعال كبير وقالت :

- أظن ان من الأوفق ان أمضى لاستشارة طبيب نفسانى .

- هناك أطباء ممتازون فى لندن طبعا ، ولكن هل انت واثقة أنه من الضرورى أن تستشيرى واحدا منهم ؟

- يا الهى ! .. أظن اننى جننت .. نعم .. اننى جننت حتما .

ودخلت الخادمة فى هذه اللحظة ، وقدمت برقية لجويندا قائلة :

- ان الساعى يسأل هل هناك رد يا سيدتى .

فضت المرأة الشابة البرقية ، وكانت قد أعيد ارسالها اليها من ديلموث . ونظرت اليها بضع لحظات دون أن تفهم ، ثم كورتها ووضعتها فى جيبها وقالت فى لهجة آلية:

- كلا .. ليس هناك رد .

وسألتها مس ماربل بعد أن خرجت الخادمة :

أرجو ألا يكون بها أنباء سيئة ..

انها من جايلز ، زوجى يقول لى أنه ينوى أن يأتى بالطائرة فى الأسبوع القادم

وكانت المسكينة تبدو فى غاية التعاسة والشقاء

وسعلت مس ماربل وقالت :

ولكن هذا نبأ جميل ؟ أليس كذلك ؟

أتعتقدين هذا ؟ . فى حين اننى اتساءل هل أنا مجنونة أم لا .. اذا كنت مجنونة فما كان يجب أن أتزوج جايلز .. ثم هناك البيت .. وكل الباقى . مستحيل أن أعود اليه أوه .. اننى لا أدرى ماذا أفعل .

ربتت العانس العجوز بيدها على الأريكة فى رفق وقالت :

تعالى واجلسى بجوارى يا ابنتى العزيزة ، واذكرى لى كل شئ

قبلت جويندا الدعوة فى ارتياح وروت لها قصتها كلها ابتداء من اللحظة التى رأت فيها فيللا هيلسايد أثناء بحثها عن بيت ، ثم استطردت تذكر الأحداث التى أثارت حيرتها وأزعجتها وأخافتها فى نفس الوقت .

واختتمت قصتها أخيرا بأن قالت :

وقد تملكنى الخوف وخطر لى أن اتى الى لندن وأن أترك كل هذا .. ولكن كان من المستحيل أن أبتعد حقا فقد تبعنى كل ذلك .. اذا حق لى القول . ومساء أمس.

قالت مس مربل تستحثها :

ومساء أمس ؟

أسرعت جويندا تقول :

- أظن انك لن تصدقيننى ... ستظنين اننى مصابة بالهستريا أو الجنون ... لقد حدث ذلك فجأة .. وفى النهاية بالذات .. لقد أعجبتنى المسرحية جدا .. ولم أفكر لحظة واحدة فى هيلسايد . ولكننى لم ألبث أن رأيت الفيللا تظهر أمامى فى نفس

اللحظة التى نطق الممثل فيها بهذه الكلمات :

" غطوا وجهها فقد ماتت فى ريعان الشباب وعيناى منبهرتان " .

- كنت واقفة فى السلم انظر الى البهو من خلال القضبان ورأيتها ... كانت طريحة فوق الأرض ، ميتة ، وشعرها الأشقر الجميل يتطاير حول وجهها .. وكان لونه شديد الأزرقاق .. كانت ميتة .. مخنوقة .. وكان هناك رجل ينطق بنفس الكلمات المذكورة فى صوت مشحون بالكراهية ، ثم رأيت يدا الرجل ، كانتا رماديتين تبدوان كأنهما كفا قرد ... أقول لك أن الأمر كان فظيعا .. وكانت ميتة .

سألتها مس ماربل فى صوت هادئ : - ولكن من هى ؟

وجاء الرد سريعا وبطريقة آلية : - هيلين !

***

هيلين

حدقت جويندا فى مس ماربل لحظة ثم أقصت خصلة من شعرها من فوق جبينها وقالت :

- ولكن لماذا نطقت بهذا الاسم ؟ .. لماذا قلت هيلين ؟ ... اننى لا أعرف أحدا بهذا الاسم ...

وتدلت يداها الى جانبيها فى يأس وهى تسترسل قائلة : ها أنت ترين أننى مجنونة ... اننى أتوهم أشياء ... أرى أشياء لا وجود لها . لم يكن الأمر فى البداية غير ذلك الورق المدهون ، أما الان فأصبحت أتصور أن هناك جثة ... ان عقلى ...

- لا تقفزى الى النتائج بهذه السرعة يا ابنتى .

- لعل السوء فى البيت نفسه اذن ، ولا ريب أنه مسكون أو مسحور أو شئ من هذا ...اننى أرى أحداثا وقعت به فيما سبق ...أو لعلها أحداث قد تقع فيه مستقبلا . وهذا اسوأ لعل امرأة تدعى هيلين ستلاقى حتفها قتلا فى هيلسايد ... ولكن اذا كان البيت مسكونا فاننى لا أفهم لماذا أتوهم اننى أرى هذه الأشياء الفظيعة وأنا بعيدة عنه. ولهذا السبب بالذات أعتقد اننى مخبولة ... وان من الأوفق أن أعرض نفسى على طبيب نفسانى قبل فوات الأوان ، وصباح اليوم بالذات .

- أى عزيزتى جويندا ، يمكنك أن تعرضى نفسك على ما تريدين من أطباء بعد استنفاد كل الوسائل الأخرى . أما أنا فمن رأيى أن من الأوفق ان ندرس أبسط التفسيرات أولا لندرس الحقائق فى وضوح بقدر المستطاع . هناك ثلاث نقاط معينة

تسببت فى اضطرابك . وهى ذلك الممر الذى أعدم ولكنك أحسست بوجوده ، والباب الفاصل الذى سد منفذه وأعيد بناؤه بالطوب . وأخيرا ذلك الورق المدهون الذى تصورت وجوده بكل دقائقه قبل أن تريه ... هل هذا صحيح ؟

- نعم .

- حسنا . هناك تفسير بسيط وطبيعى وهو أنه سبق لك أن رأيت كل هذا .

- هل تعنين ... فى حياة أخرى ؟

- كلا ... وانما خلال حياتك الحالية ... أعنى ان كل هذه الأمور قد لا تكون أكثر من ذكريات عادية .

- ولكن لم يسبق لى أن أتيت الى انجلترا قبل الشهر الماضى يا مس ماربل .

هل أنت واثقة من ذلك ؟

طبعا فقد عشت طوال حياتى فى نيوزيلنده

وهل ولدت هناك ؟

كلا انني ولدت فى الهند . فقد كان ابى ضابطا هناك وماتت أمى بعد سنتين أو ثلاثة بعد أن وضعتنى . وأرسلنى أبى عندئذ الى أقارب له فى نيوزيلنده حيث كبرت ، وقد مات أبى بعد ذلك ببضعه سنوات

الا تتذكرين رحلتك من الهند الى نيوزيلنده

ليس تماما أتذكر فى شئ من الابهام اننى كنت فوق سفينه وأرى نافذه مستديرة أظن أنها قمرة . ثم رجلا فى ثياب رسمية بيضاء بوجه أحمر وعينين زرقاوين وله علامة فى ذقنه لعلها أثر جرح كان يرفعنى فى الهواء ثم يتلقفنى بين ذراعيه . وكان ذلك يروق لى كثيرا ، ولكن الخوف كان يتملكنى فى نفس الوقت ، غير أن كل هذه أجزاء من ذكريات ..

- هل تتذكرين مربية أو ... دادة ؟

- لم تكن دادة وانما كانت نانى ... وأتذكرها لأنها بقيت بعض الوقت حتى بلغت الخامسة . كانت تصنع لى قوارب من الورق ... كانت معى فوق السفينة ... وكانت تعنفنى عندما كنت أصرخ لأن القبطان كان يقبلنى ، ولم أكن أحب لحيته .

قالت مس ماربل فى هدوء : - هذه نقطة هامة ، لأنك تخلطين الآن بين رحلتين مختلفتين ، فى احداهما قبطان له لحية ، وفى الأخرى قبطان له وجه أحمر وأثر جرح فى ذقنه .

تمتمت جويندا بعد لحظة تفكير : - نعم . انك على حق .

- يبدو لى أن من المحتمل تماما أن أباك ، بعد أن ماتت أمك ، عاد بك الى انجلترا وأنك أقمت فى ذلك البيت الذى تقيمين فيه الآن فانك قلت لى أنه بدا لك مألوفا بمجرد أن بدأت بزيارته . ولاريب ان الغرفة التى دخلت بها هى التى كنت ترقدين فيها وأنت طفلة .

- نعم . فقد كانت معدة لاقامة طفل لأن نافذتها مزودة بالقضبان .

- وكانت جدرانها مكسوة بورق جميل به زهور حمراء وزرقاء ، والأطفال يتذكرون جدران غرفهم جيدا . وطالما تذكرت أنا الزهور البنفسجية التى كانت تكسو جدران غرفتى ، وأعتقد أن عمرى لم يكن يزيد عن ثلاث سنوات عندما أزيل هذا الورق وغطيت الجدران بورق آخر مختلف .

- لاريب ان هذا هو السبب فى اننى فكرت فى بيت الدمية والدواليب الصغيرة واللعب ، بمجرد أن رأيتها .

- نعم . وصورة غرفة الحمام بقيت ماثلة فى مخيلتك وفى عقلك الباطن ، بحوضها الكبير المكسو بخشب الأكاجو .

قالت جويندا فى تفكير :- الحق اننى أحسست فى البداية بأننى أعرف أين يوجد كل شئ بالبيت ... المطبخ ، ودولاب الثياب الداخلية . ولم يسعنى الا أن أفكر فى أن

هناك بابا فاصلا بين الصالون وغرفة الحمام . ولكن كيف حدث أن آتى الى انجلترا وأن أشترى نفس البيت الذى سبق أن أقمت فيه ؟

- ليس هناك مستحيل . والواقع ان هذه مصادفة غريبة .. ولكنك تعرفين أن المصادفات تقع دائما .. كان زوجك يريد بيتا على الساحل الجنوبى ... وكنت تبحثين عن بيت فى هذه الناحية بالذات ... ومررت ببيت لفت نظرك لأنه أعاد الى ذاكرتك بعض الذكريات الدفينة فى وعيك الداخلى ، وهى ذكريات كانت تتلاءم تماما مع ما كنت تتمنين .. وكان ثمن البيت معقولا فلم تترددى فى شرائه .. هذا أمر يمكن أن يحدث تماما ... أما اذا كان البيت مسكونا كما تقولين لجاءت تصرفاتك على صوره أخرى ، واننى واثقة مما أقول .. انك أحسست . كما تقولين باحساس من العنف أو بشئ من النفور فى لحظة معينة ، وأنت تهبطين السلم أو تنظرين الى أسفل ، نحو البهو .

ومض فى عينى جويندا وميض من الفزع وقالت :

- هل تقصدين القول ان .. هيلين .. حقيقة هى الأخرى ؟

قالت مس ماربل فى رفق : - أظن ذلك .. واذا كانت الأشياء الأخرى ذكريات فيجب اعتبار هيلين ذكرى هى الأخرى .

معنى هذا اذن اننى أكون قد رأيت حقا شخصا .. ميتا .. مخنوقا ؟

- لا أظن انك تحققت فى ذلك الوقت أن ذلك الشخص قد مات مخنوقا حقا . وانما توهمت ذلك نتيجة للمسرحية التى شاهدتها أمس والتى جاءت مطابقة لما تعرفينه الآن، بعد أن كبرت ، عن معنى الوجه المتشنج ، واعتقد أن الطفل الصغير يحس وهو يهبط السلم فى قرارة نفسه بالعنف والشر والموت وأنه يجمع بينها بسلسلة من الكلمات لأننى أعتقد أن القاتل نطق بنفس العبارة التى سمعتها أمس فى مسرحية "دوقة أمالفى" . وفى مثل هذه العبارة صدمة لطفل صغير بالطبع والأطفال

مخلوقات عجيبة اذا ما تملكهم الخوف من شئ لا يفهمونه فأنهم لا يتكلمون وانما يحتفظون بمخاوفهم لأنفسهم وينسونها ظاهريا ، الا أن ذكراها تظل دفينة دائما فى عقلهم الباطن..

تنهدت جويندا طويلا وقالت :

- وهل تعتقدين ان هذا هو ما حدث لى ؟ .. ولكن لماذا أتذكر كل ذلك الآن ؟

- لا يمكن للمرء أن يتذكر شيئا بالطلب .. وحتى اذا حاولت أن تتذكرى شيئا ما فان هذا الشئ يبدو كأنه يبعد أكثر عن ذى قبل .. ومع ذلك فهناك بعض النقاط التى تجعلنا نميل الى الظن بأن الأمور وقعت هكذا فعلا ، فانك عندما تحدثت الى منذ لحظة عن احساساتك وأنت فى المسرح نطقت بعبارة فسرت لى ذلك تماما فأنك قلت " كنت واقفة فوق السلم أنظر الى البهو من خلال القضبان " . والقاعدة المعروفة هى أن الانسان لا ينظر من خلال قضبان السلم وانما من فوق الدرابزين .. والطفل وحده هو الذى ينظر من خلالها .

قالت جويندا فى اعجاب : هذا استنتاج جميل حقا .

- وكما ترين فان مثل هذه النقاط الصغيرة لها معناها .

فسألتها الفتاة فى شئ من الحيرة : - ولكن من هى هيلين ؟

هل مازلت واثقة انها كانت هيلين حقا ؟

- نعم .. وهذا أمر عجيب لأننى لا أدرى من هى هيلين .. ولكننى أعرف مع ذلك أنها هى هيلين .. فكيف أستطيع أن أعرف المزيد ؟

- أرى أن أولى ما يجب عمله هو أن تتأكدى هل أقمت فى انجلترا وأنت طفلة .. ان أقاربك ..

صاحت جويندا : - خالتى اليزون .. لاريب انها تعرف ذلك .. بل اننى متأكدة .

- حسنا .. لو كنت مكانك لكتبت لها فورا .. وبالبريد الجوى .. قولى لها أن

هناك أسبابا قوية تدعوك الى أن تعرفى أن كنت قد أقمت فى انجلترا فيما سبق .. ويجب أن يكون الرد قد جاءك عند قدوم زوجك .

- أوه أشكرك يا مس ماربل .. انك كنت كريمة معى تماما ، وأرجو أن تكون استنتاجاتك صحيحة ، لأنه لو صح ذلك فسيكون الأمر على ما يرام .. وسيكون فى ذلك دليلا على أنه ليس فى هذه الأحداث أى شئ غير طبيعى .

ابتسمت العانس العجوز وقالت :- وأنا أيضا أرجو أن تنصلح الأمور كما نتمنى.. اننى سأذهب غدا لقضاء بضعة أيام عند بعض الأصدقاء الأعزاء فى شمال انجلترا .. ولكننى سأعود بعد عشرة أيام .. واذا كنت لا تزالين هنا ، أنت وزوجك ، واذا كان قد أتاك الرد على خطابك ، فاننى أحب أن أعرف النتيجة .

- طبعا يا عزيزتى مس ماربل .. ثم اننى يهمنى أن أقدم جايلز لك ، فهو رجل ظريف ، وسوف نتحدث فى ذلك معا .

واستردت جويندا روحها المرحة وبشاشتها ، ولكن مس ماربل بدأ عليها التفكير .

***

أحداث الماضى

- ١ -

دخلت مس ماربل ، بعد عشرة أيام ، بهو فندق صغير بماينير تواعدت على اللقاء فيه بمايلز وجويندا ريد ... واستقبلها الشابان استقبالا حارا .. وقالت جويندا :

- أقدم لك زوجي .. لا يمكن أن تعرف الى أى حد كانت مس ماربل كريمة معى .

- يسرنى أن أتعرف بك يا مس ماربل .. فهمت انه لولاك لاستسلمت جويندا للهلع ولأسرعت الى احدى مصحات المجانين .

راحت العانس العجوز تتأمل الشاب فى اعجاب . كان ظريفا وطويل القامة ، ذا شعر أشقر ، تنطق سماته بالقوة والعزم .. وقالت جويندا :

- سوف نتناول الشاى فى المكتب الصغير ، فان أحدا لا يدخله أبدا فى مثل هذا الوقت .. ويمكنك أن تقرأى خطاب خالتى اليزون فى هدوء . ان الأمر كما فكرت أنت تماما .

وبعد أن فرغوا من تناول الشاى أخرجت جويندا خطاب مس اليزون دانبى وأعطته لمس ماربل .. وكان هذا نصه :

" شد ما تأثرت حين علمت انك مررت بمحنة شاقة .. والحقيقة اننى كنت قد نسيت تماما انك أقمت فترة من الوقت فى انجلترا وأنت طفلة صغيرة .

" فان أمك .. وأعنى بها أختى المسكينة ميجان تعرفت بأبيك الميجور هاليداى أثناء زيارة لها فى الهند ، وتزوجت به هناك وأنجبتك .. ولكن مما يؤسف له أنها ماتت بعد ولادتك بسنتين .. وكان موتها صدمة أليمة لنا جميعا .. وقد كتبنا لأبيك الذى لم

نره على الاطلاق ، نعرض عليه أن يبعثك الينا لكى نربيك .. والواقع انه بدا لنا أن من المتعذر على رجل عسكرى أن يربى طفلة صغيرة ، وكان يسرنا ويسعدنا أن تقيمى بيننا .. ولكن أباك رفض وكتب لنا يقول انه قرر أن يستقيل وأن يأتى بك الى انجلترا حيث يأمل أن نزوره بعد ذلك .

" وأظن أنه تعرف أثناء رحلته هذه بفتاة خطبها الى نفسه وتزوجها بمجرد عودته الى انجلترا .. ولكن زواجهما فشل وانفصلا بعد سنة .. وقد كتب الينا من جديد يسألنا اذا كنا لا نزال على استعداد لأن نقيلك بيننا ، ولم يكن لهذا السؤال أى داع بالطبع ، وهذا ما صارحناه به .. فبعث بك الينا برفقة مربية وحرر فى نفس الوقت وصية يوصى لك فيها بجميع ممتلكاته ، بل أنه اقترح أن نعطيك اسمنا قانونا ويجب أن نقول لك اننا استغربنا لذلك ، ولكننا حسبنا أن أغراضا نبيلة تدفعه الى ذلك وأنه خيل له انك سوف تصبحين من أفراد أسرتنا اذ نحن منحناك اسمنا ، على اننا استبعدنا هذا الرأى .. وبعد مرور سنة من ذلك مات فى احدى المصحات .. وأظن أنه كان مريضا وكان يعرف أنه لا أمل فى شفائه من مرضه ولهذا بعث بك الينا

" وأخشى اننى لا أستطيع القول أين كنت تقيمين فى انجلترا على وجه التحديد وهو قد كتب عنوانه فى خطابه طبعا ولكن كان ذلك منذ ثمانية عشر عاما ، ولا أتذكر هذه النقطة الآن . وكل ما أعرفه أنه استقر فى الجنوب ، ومما لاشك فيه أنه كان يقيم فى ديلموث . وكنت أحسب فى غموض انه أقام فى دارتموث ولكن الاسمين متشابهان بحيث يبدو اننى خلطت بينهما . وأظن ان زوجة أبيك تزوجت بعد ذلك ، ولكننى لا أتذكر اسمها . بل لا أتذكر اسمها وهى فتاة على الرغم من أن أباك قد ذكره فى خطابه عندما أخبرنا بنيته على الزواج ، وقد حقدنا عليه فى ذلك الوقت لاقترانه بتلك الفتاة ولما تمض على موت أمك أيام قلائل ، ولكن المعروف أن العلاقات سرعان ما تتم فوق ظهر السفن ، ثم أنه ربما خطر له أن فى زواجه مصلحة لك

" ويبدو اننى كنت من الغباء بحيث لم أحدثك عن اقامتك السابقة فى انجلترا ولكننى نسيت هذا الأمر كما سبق أن قلت لك لأنه بدأ لى أن موت أمك وانتقالك للاقامة معنا كان أهم من أى شئ آخر .

" وأرجو أن يكون كل ذلك قد وضح لك الآن ، كما أرجو أن يتمكن جايلز من اللحاق بك سريعا لأنى أظن أن من أشق الأمور أن يتركك ولما يمض على زواجكما غير بضعة شهور .

" سأرسل اليك مزيدا من الأنباء فى خطابى المقبل لأننى.أريد أن أرسل لك هذا الخطاب بأسرع ما يمكن .

اليزون دانبى " ..

حاشية : لم تخبرينى ما هى هذه المحنة الشاقة التى تعرضت لها .

قالت جويندا :

- وهكذا ترين أن الأمر كما استنتجت أنت تقريبا .

نظرت مس ماربل الى الخطاب فى تفكير وقالت :

- هذا صحيح . طالما لاحظت أن أبسط التفسيرات أصحها .

تدخل جايلز وقال :

- اننى أشكرك كثيرا يا مس ماربل .. ان جويندا العزيزة كانت مضطربة جدا ، ويجب أن أقول اننى كنت جديرا بأن أشعر بضيق شديد لو اتضح لى أنها تملك موهبة الاستبصار أو أنها على صلة بالأرواح .

قالت جويندا :

- وهى موهبة يمكن أن تكون مزعجة جدا بالنسبة لامرأة . الا اذا كان زوجها يعيش حياة مثلى .

قال جايلز وهو يضحك :

- الحمد لله اننى كذلك .

سألت مس ماربل :

- وبيتكما ؟

- البيت ؟ .. ولكننا سنعود للاقامة فيه غدا .. ان جايلز يتلهف لرؤيته .

قال الشاب :

- لا أدرى اذا كنت قد أدركت ذلك يا مس ماربل ، ولكننا نجد أنفسنا أمام جريمة شاذة ارتكبت فى بهو بيتنا بالذات .

أجابت العانس العجوز :

- اننى فكرت فى ذلك .

وقالت جويندا :

- أن جايلز يعبد القصص البوليسية .

وعاد زوجها يقول : - وهذه بالذات قصة بوليسية . جثة امرأة جميلة مخنوقة لا نعلم عنها غير اسمها الأول .. واننى أعرف طبعا أنه مر على ذلك نحو عشرين عاما ، وأن من العبث بعد هذه المدة الطويلة أن نبحث عن آثار مادية .. ولكن يمكننا أن نلقى نظرة على الأقل وأن نحاول أن نفهم ما حدث ... أوه ، اننى أعرف تماما أن من المستحيل الوصول الى مفتاح الجريمة .

قالت مس ماربل :- أما أنا فانني واثقة ان فى مقدورنا أن نفعل ذلك ، حتى بعد مضى ثمانية عشر عاما .. نعم .. اعتقد اننا نستطيع ذلك .

- مهما يكن فلن يضار احد من محاولتنا هذه ، أليس كذلك ؟

وكان جايلز متألق الوجه ، ولكن بدأ الجزع والقلق على مس ماربل وقالت :

- بل ربما يكون فى ذلك ضرر كبير .. وأنصحكما معا أن تتخليا عن هذه الفكرة

- نتخلى عن جريمتنا الغامضة ؟ .. هذا على فرض ان هنالك جريمة .

- هناك جريمة ما فى ذلك شك .. ولو أنى مكانك لتركت كل شئ كما هو .. لا يجب الاستخفاف بجريمة القتل

- ولكن لو أن كل شخص فكر كما تفكرين يا مس ماربل ..

قاطعته مس ماربل تقول :

- أوه .. اننى أعلم أن هناك حالات يدعونا الواجب أن نتدخل فيها .. مثال ذلك ، اذا قامت الشبهات حول شخص برئ ،... ولكن يجب أن تفهم أن القضية التي نتحدث عنها الآن تنتمى الى ماض بعيد ، وأنه من المحتمل أن أحدا لم يشتبه فى وقوعها .. أما اذا كان الأمر على عكس ذلك لسمعنا عنها ، سواء من البستانى العجوز أو من أى شخص آخر ، لأن جريمة القتل مهما قدمت تظل حدثا له اهميته ، خصوصا فى بلد صغيرة كهذه .. ولكن لاريب ان الجثة اخفيت بطريقة ما وأن أحدا لم يشتبه فى وقوعها، فهل انت واثق أن من الحكمة نبش الماضى .

صاحت جويندا فجأة :

- انك تعطينا انطباعا بالقلق يا مس ماربل .

- الحق اننى شديدة القلق يا عزيزتى .. فأنتما ، أنت وزوجك شخصان ظريفان ، ثم انكما تزوجتما منذ وقت قريب .. فلا تعرضا نفسيكما للخطر .

نظرت جويندا اليها فى دهشة شديدة وقالت :

- هل تفكرين فى شئ .. بالذات ؟ الى أى شئ تشيرين ؟

- لا شئ بالذات يا عزيزتى .. انما يكفينى أن أقدم لكما نصيحة لأن لى تجارب كثيرة علمتنى ألا أحاول ايقاظ القطط النائمة.

قال جايلز يحتج فى لهجة خطيرة :

- ولكن الأمر لا يتعلق بشئ من هذا .. ان هيلين أصبحت ملكا لنا ، أنا وجويندا

لقد قتلت امرأة فى بيتنا .. أو نعتقد ذلك على الأقل ، ولا نستطيع أن نتجاهل الأمر حتى اذا كانت الجريمة قد وقعت منذ سنين عديدة .

تنهدت مس ماربل وقالت :

- أرجو المعذرة .. أظن أن أكثر الشبان العقلاء يتصرفون مثلكما .. اننى شديدة الاعجاب بكما ، ولكننى أتمنى على الرغم من ذلك أن تنسيا هذه القصة .

* * *

- ٢ -

سرعان ما انتشر النبأ فى اليوم التالى بأن مس ماربل عادت الى قرية سنت مارى ميد ، فقد شوهدت فى الساعة الحادية عشرة فى الشارع العمومى بالقرية ثم شوهدت بعد ذلك فى حديقتها وهى تقوم باقتلاع بعض الأعشاب الضارة .

ولكنها بدت فى اليوم التالى شاردة الذهن ، وقد لحظ أناس كثيرون ذلك ، ومن بينهم زوجة القس وأعلنت فى نفس المساء أنها تشعر ان صحتها ليست على ما يرام .

وأوت الى فراشها مبكرة ، بعد أن طلبت من الدكتور هايدوك أن يمر لكى يراها فى الصباح .

وقال لها بعد أن فحصها فحصا دقيقا :

- على الرغم من تقدمك فى السن ومن مظهرك الخادع فانك فى صحة جيدة .

أجابته العانس العجوز :

- أعترف ان صحتى جيدة عموما ولكننى ، مع ذلك ، أشعر بشئ من التعب والارهاق .

سأصف لك دواء منعشا .

- أشكرك ، فلدى شراب الأيستون الذى وضعته لى أخيرا وهو لم يفقد فعاليته بعد .

وحدقت فيه بعينيها الزرقاوين البريئتين وقالت :

- اننى اتساءل اذا لم يكن فى تغيير الهواء خير لى .

- ولكنك أمضيت ثلاثة شهور فى لندن .

- هذا صحيح .. ولكن جو لندن مرهق ، ثم اننى كنت فى قلب منطقة صناعية ، ويجب أن نعترف أنه ليس هناك مثيل لهوا ء البحر المنعش .

نحى الدكتور هايدوك حقيبة أدواته جانبا ثم رفع عينيه اليها وقال وهو يبتسم :

- هل أستطيع أن أعرف السبب الحقيقى لاستدعائك لى .. قولى لى ماذا يجب أن أقول فأكرره وراءك .. انك تريدين أن أصف لك هواء البحر حتما .. أليس كذلك ؟

أجابت العانس العجوز :

- كنت أعرف عن يقين انك ستفهم .

- الواقع أن هواء البحر شئ ممتاز ، ويجب أن تذهبى الى ايستبورن دون تأخير والا تعرضت حياتك لخطر كبير .

- أظن أن ايستبورن شديدة الرطوبة فى هذا الوقت بسبب الكثبان الرملية التى بها ..

اذهبى الى بورنموث اذن أو الى جزيرة وايت .

غمزت مس ماربل بعينيها وقالت :

- أظن اننى أفضل أن أمضى الى مصيف صغير هادئ .. ما رأيك فى ديلموث .

- هو مصيف صغير وهادئ حقا ، ولكنه كئيب شيئا ما . ولماذا ديلموث بالذات ؟

- لنفترض انك اكتشفت صدفة أن جريمة قتل ارتكبت منذ ثمانية عشر عاما أو عشرين عاما .. وأن ما من أحد قد اشتبه فى هذا الأمر ، فماذا تفعل ؟

فكر هايدوك لحظة ثم قال :

ألم تقع أية غلطة قضائية ؟ أو أى ضرر على أحد ما نتيجة لهذه الغلطة ؟

- ليس على ما أعلم .

- اذا كان الأمر كذلك فاننى أترك الأمور كما هى لأن التدخل فيها قد يكون خطرا . .

- هذا ما أخشاه فى الواقع .

- يقال أن القاتل يكرر جريمته دائما .. هناك أشخاص يرتكبون جرائمهم ويدبرون أمورهم لكى لا يلحقهم أى ضرر ويحرصون بعد ذلك على عدم التكرار .. ولا أزعم أنهم يعيشون سعداء بعد ذلك لأن هناك أنواعا كثيرة من العقاب ، ولكنهم يبدون سعداء فى الظاهر .. ولعل الأمر كذلك فى قضية مادلين سميث أو ليزى بوردن ، ففى الأولى أخلى سبيل مادلين سميث لعدم ثبوت الأدلة ، وفى الثانية برئت ساحة ليزى بوردن . ولكن هناك أناسا كثيرين ما زالوا يعتقدون أن هاتين المرأتين مذنبتان .. وأستطيع أن أذكر لك مجرمين كثيرين لم يكرروا جريمتهم لأنهم حصلوا على ما يريدون ولكن لو أن خطرا ما هدد أمنهم .. اننى أتصور أن قاتلك ، مهما يكن امره ، ينتمى الى هذه الطبقة الأخيرة ، فقد ارتكب جريمته ولم يشتبه فيه أحد ، وأصبح يعتقد أنه آمن مطمئن ، ولكن اذا تدخل أى شخص الآن ونبش الماضى وبحث عن أدلة أو آثار ، وقلب السماء والأرض ، واذا حدث واهتدى الى شئ ما فماذا يفعل صاحبنا ؟ .. هل يظل هادئ الأعصاب ثابت الجنان وهو يرى الخطر يتحدد ويقترب ؟ .. لا أظن ذلك . صدقينى يا عزيزتى مس ماربل .. لا شئ يرغمك على التدخل ، ومن الحكمة أن تبقى بعيدة عن كل ذلك .

وسكت الطبيب لحظة ثم عاد يقول : - وهذه هى وصفتى لك اذا أردت .. لا تتدخلى فى هذه القضية .

- ولكن الأمر لا يتعلق بى ، وانما بشابين ظريفين . دعنى أذكر لك كل شئ بالتفصيل .

وروت له العانس العجوز كل القصة ، وقال بعد أن فرغت :

- مدهش ... يا لها من مصادفة .. أظن أنك تعرفين العواقب التى قد تنتج عن ذلك ؟

- أوه ، تماما .. ولكن لا أظن أن ذلك قد خطر بعد لهذين الشابين المسكينين .

- انهما قد يتعرضان للخطر ، وقد يندمان كل الندم لتدخلهما فى هذه القضية القديمة . من الأوفق أن يتخليا عن فضولهما وأن يتركا أسرار الأسرة فى هدوء .. ولكننى أفهم وجهة نظر الشاب جايلز وأظن اننى كنت اتصرف مثله لو اننى كنت مكانه.

وحدق فى مس ماربل وقال فى لهجة خطيرة :

- اذن فأنت تصرين على الذهاب الى ديلموث لهذا السبب ؟ .. لكى تحشرى أنفك فى قضية لا شأن لك بها أبدا .

- أبدا يا دكتور .. ولكننى شديدة القلق على هذين الشابين ، فانهما لم يختبرا الحياة تماما ، ثم انهما ساذجان ومغروران وأرى أن من واجبى أن أسهر عليهما .

وقالت وهى تتكلف الابتسام :

- ومن رأيى أن بضعة أسابيع فى ديلموث ستصيبنى بخير كبير .

- أخشى أن تضع هذه المغامرة حدا لحياتك .. ولكننى أعرف انك صلبة الرأى وانك لن تستمعى لنصيحتى .

* * *

تحريات

- ١ -

قال جايلز :

- أين تظنين كانت الجثة ؟ .. هنا ؟

كانت جويندا تقف هى وزوجها فى بهو هيلسايد ، وكانا قد وصلا ليلة الأمس ، وكان الشاب شديد الانفعال بصفة خاصة ، كصبى قدموا له لعبة جديدة .. وأجابته جويندا :

- نعم ، تقريبا .

وصعدت السلم القهقرى ، ثم ألقت نظرة فاحصة الى البهو وقالت :

- نعم ، أظن أن هذا هو المكان .

انحنى قليلا وتصورى انك فى الثالثة من عمرك . أطاعته المرأة الشابة دون احتجاج ، وعاد يسألها :

- ألم ترى حقا الرجل الذى نطق بتلك العبارة ؟

- لا أذكر اننى رأيته .. لاريب انه كان يقف الى الخلف قليلا .. نعم .. هناك .. لم أر غير يديه .. وكانتا أشبه بكفى قرد .

قطب جايلز حاجبيه وقال :

- ولكننا لسنا أزاء جريمة شارع مورج يا جويندا .

لزمت جويندا الصمت لحظة ثم قالت :

- اذا أردت الحق فلا ريب اننى تصورت ذلك . انئى أمعنت الفكر وأشعر ان كل هذا لم يكن الا حلم من تلك الأحلام التى يراها الأطفال فى منامهم .. وربما كان هذا هو التفسير الصحيح لأنه يبدو أنه لا يوجد فى ديلموث من يدرى أن جريمة قتل وقعت فى هذا البيت .. أو أن شخصا قد اختفى .

وبدا جايلز عندئذ كالطفل حين تنتزع منه لعبته الجديدة ، وقال على مضض .

- أظن أن هذا ما حدث فى الواقع .

ولكن لم يلبث أن تألق وجهه من جديد وقال :

- ولكن لا .. لا أظن ذلك ، فما كان فى مقدورك أن تختلقى تلك العبارة المأخوذة من مسرحية دوقة أمالفى .

- ربما نطق بها أحد أمامى فى وقت ما ، وانطبعت فى ذهنى ثم عادت أحلامى فيما بعد .

- لا أظن أن فى مقدور طفلة صغيرة أن تستوعب مثل هذه العبارة الا اذا كانت واقعة تحت تأثير انفعال كبير ، وفى هذه الحالة تعود الى نفس النقطة .. ولكن لحظة واحدة .. يخيل لى اننى فهمت ما حدث .. انك رأيت الجثة ، وسمعت هذه الكلمات ، ثم تملكك الذعر فيما بعد ، ورأيت كابوسا تخللته كفا قرد ، ولا ريب لأنك كنت تخافين فى قرارة نفسك من القرود فى ذلك الوقت .

بدا الاضطراب على وجه جويندا وقالت فى غير اقتناع :

- لعل الأمور وقعت كما تقول .

- وددت لو أن تستطيعى تحديد ذكرياتك فى شئ من الدقة .. اهبطى الى البهو وأغمضى عينيك وحاولى التركيز .. ألا تتذكرين شيئا آخر ؟

- كلا يا جايلز .. كلما فكرت كلما بدأ لى أن كل هذا يبتعد عنى ، واننى اتساءل الآن هل رأيت شيئا حقا ؟ من الجائز اننى كنت فى المسرح فى تلك الليلة ضحية لنوع

من .. من توارد الخواطر .

- كلا .. لقد حدث شئ حقا .. ومس ماريل تعتقد ذلك .. وهيلين ؟ .. لا ريب أن هذا الاسم يعيد الى ذاكرتك شيئا .

- لا شئ على الاطلاق يا جايلز .. ليس أكثر من اسم .

- لعله ليس الاسم الذى سمعته حقا .

احتجت الفتاة وقالت فى اصرار :

- بل هو الذى سمعته .. لقد يقول " هيلين " .

- اذا كان الأمر كذلك فلابد أن تتذكرى شيئا عنها .. هل كنت تعرفينها جيدا ؟..هل كانت تقيم هنا أم أنها كانت زائرة فحسب ؟

قالت جويندا وقد بدأت تشعر بالتوتر والانفعال :

- أقول لك اننى لا أعرف شيئا ..

رأى جايلز أن يحاول طريقة أخرى فقال :

من تتذكرين أذن ؟ .. هل تتذكرين أباك ؟

كلا .. لا أستطيع التأكد على الأقل ..كانت هناك صورة له عند خالتى اليزون. وكانت تقول لى أحيانا : هذا أبوك . ولكننى لا أحتفظ بأية ذكرى منه فى هذا البيت .

ألم يكن هناك خدم ؟ أو مربية أطفال ؟

كلا .. كلما حاولت أن أتذكر كلما أحس بفراغ ذاكرتى بتسع .. ان الأشياء التى أعرفها موجودة كلها فى عقلى الباطن ، كما حدث عندما اتجهت بصورة آلية الى ذلك المكان من الجدار حيث كان يوجد الباب من قبل .. لم أتذكر انه كان موجودا حتما .. ويجوز انك اذا لم تلاحقنى هكذا فقد يعود الى ذاكرتى كل شئ .. أوه . أن محاولة اكتشاف ما حدث فى تلك اللحظة من العبث تماما . فقد مر وقت طويل

على ذلك .

– أرى أن الحالة ليس ميئوسا منها كما تتصورين .. وهذا رأى مس ماربل أيضا .

– ولكنها لم تذكر لنا كيف نتناول هذه المسألة .. ومع ذلك ، وطبقا لما ارتسم فى عينيها فاننى ادرك أنها كانت تواجه نظريات كثيرة ، واننى اتساءل بأية صورة يمكنها أن تتناول هذه المسألة .

– اعترف اننى لا أرى كيف يمكن أن تدرك أشياء لا نفهم لها نحن أى معنى .. اسمعى يا جويندا ... يجب أن نكف عن ابداء النظريات وأن نحاول دراسة الحقائق بترتيب وبطريقة منطقية .. ومهما يكن فقد بدأت أنا وذهبت الى المكتب المدنى ، وفحصت السجلات المدنية ولكننى لم أصل الى نتيجة ما لسوء الحظ ، فلم تمت أية امرأة باسم هيلين فى ذلك الوقت ولهذا يجب أن نحاول شيئا آخر .. اذا كان أبوك وزوجته قد أقاما هنا فلابد أنهما اشتريا البيت أو استأجراه على الأقل .

– اذا صدقنا فوستر البستانى فان البيت كان ملكا لمس آلوورثى واخواتها قبل آل هنجريف وكان ملكا قبل ذلك لامرأة تدعى مسز فنديزون .

– لاريب .. ان أباك اشتراه وأقام فيه فترة من الوقت ثم باعه فيما بعد .. ولكن يبدو لى أن من المعقول أن يكون قد استأجره مفروشا ، واذا كان الأمر كذلك فان الوسيلة الوحيدة هى أن نلجأ الى سماسرة العقارات ..

ولم يكن الطواف بمكاتب سماسرة العقارات بالأمر العسير لأنه لم يكن هناك غير مكتبين اثنين فى ديلموث وهما مكتب ويلكنسون ، وهو مكتب حديث لم يمر على انشائه أكثر من عشر سنوات ، ومكتب جالبريت ونبدرلى وهو المكتب الذى اشترت جويندا هيلسايد عن طريقه .

ومضى جايلز اليه فى اليوم التالى ، وذكر قصته الصغيرة وهى أنه وزوجته أحبا ديلموث كثيرا ، وأنهما يشعران بسرور كبير لأنهما اشتريا البيت .. وقد تذكرت مسز

ريد أخيرا أنها أقامت فترة من حياتها وهى طفلة صغيرة فى ديلموث وأنها لا تزال تحتفظ ببعض الذكريات ، وأنه يخيل لها أنها أقامت فى هيلسايد بالذات .. ولكنها غير متأكدة ، فهل من الممكن أن يعرف اذا كان الميجور هاليداى اشترى هذا البيت فى وقت من الأوقات أو اذا كان قد استأجره فحسب ؟..كان ذلك منذ ثمانية عشر عاما .

اعتذر مستر نبدرلى بحركة من يده وقال :

أخشى اننا لا نستطيع يا مستر ريد ، فان السجلات الموجودة لا ترجع الى هذا الوقت .. لو أن مستر ناراكوت العجوز لا يزال على قيد الحياة لاستطاع أن يساعدك بكل تأكيد لأنه كان يتمتع بذاكرة قوية وقد بقى فى المكتب نحو ثلاثين عاما .. ولكن لسوء الحظ ...

أليس هناك من يستطيع أن يتذكر ذلك ؟

ان جميع موظفينا من الشباب ، ولكن هناك مستر جالبريت نفسه بالطبع .. بيد انه اعتزل العمل منذ سنوات طويلة .

- هل نستطيع ان نراه ؟

- طبعا .. ولكننى أخشى ألا يتمكن من مساعدتكم فقد أصيب بأزمة فى العام الماضى ، وتدهورت قواه العقلية كثيرا .. أنه تجاوز الثمانين من عمره .

أما يزال مقيما فى ديلموث ؟

نعم .. وهو يقطن كلكتا لودج ، وهو بيت صغير جميل يقع فى طريق ستيون ، ولكننى لا أظن حقا ..

٢

قال جايلز : يبدو أن لا أمل هناك .. ولكن من يدرى ؟..

وفى كلكتا لودج استقبلتهما مس جالبريت ، وهى امرأة متوسطة العمر ، فى شئ من الشك ، ولكن عندما قالت لها جويندا الغرض من زيارتهما انبسطت أساريرها حين رأت أنهما لا يحاولان أن يبيعاها شيئا وقالت :

– أظن أنه لن يستطيع أن يقدم لكما أية مساعدة فان الأمر يرجع الى عهد بعيد جدا .. تقولين الميجور هاليداى ؟ .. لا أذكر اننى سمعت هذا الاسم فى ديلموث قط .

قالت جويندا :– ربما يتذكر أبوك شيئا ما .

– يمكنك أن تتحدثى اليه اذا أردت .. ولكننى لا أدرى ان كانت صحته تسمح له باستقبالكما .

وتقدمت زائريها الى مكتب صغير يقع خلف البيت حيث يجلس رجل طاعن فى السن فى مقعد كبير .. له شارب ضخم أبيض .. نظر الى جويندا فى استحسان .. وقامت ابنته بواجب التعارف .. وقال بعد أن أصغى الى القصة .

– ان ذاكرتى لم تعد كما كانت .. تقولين هاليداى كلا .. اننى لا أتذكر هذا الاسم..

– اننا نظن أن الميجور هاليداى ربما استأجر هيلسايد .

– هيلسايد ؟ .. أكان البيت معروفا بهذا الاسم فى ذلك الوقت ؟ .. كانت تقيم فيه سيدة تدعى مسز فنديزون .

– من المحتمل أن يكون أبى قد استأجر منها البيت مفروشا .. كان قد عاد من الهند فى ذلك الوقت .

– من الهند ؟ .. اننى أتذكر رجلا .. ضابطا .. كانت معه زوجة شابة ... وطفلة صغيرة قالت جويندا :

– أنا هذه الطفلة .

– أهذا صحيح ؟ .. يا آلهى ! .. ان الوقت يمر سراعا .. كان يبحث عن بيت

مفروش .. وكانت مسز فنديزون قد سافرت الى مصر حيث كانت تنوى قضاء الشتاء بسبب صحتها .. ماذا كان اسمه ؟

عادت جويندا تقول : - هاليداى .

- آه .. صحيح .. هاليداى .. الميجور هاليداى .. كان رجلا ظريفا .. وكانت زوجته جميلة ، وفى مقتبلِ العمر .. وكان لها شعر أشقر .. لم تكن تريد الابتعاد عن أهلها .. نعم ، كانت جميلة جدا .

- ومن هم أقاربها ؟

- ليس لدى أية فكرة ، ولكنك لا تشنهينها .

همت جويندا أن تقول أنها ليست الا زوجة أبيها ، ولكنها رأت أن لا فائدة فى تعقيد الأمور أكثر من ذلك واكتفت بأن سألته :

- وكيف كانت ؟

وجاء رد جالبريت مثيرا للدهشة اذ قال :

كانت تبدو قلقة .. لقد كان الميجور هاليداى رجلا ظريفا .. اغتبط حين علم اننى كنت فى كلكتا .. لم يكن يشبه أبدا هؤلاء الرجال الذين لم يغادروا انجلترا أبدا .. هؤلاء الرجال الأغبياء البلداء الذهن .. ولكن ماذا كان اسم ذلك الضابط الذى أراد أن يستأجر بيتا مفروشا .

وبدأ كالحاكي القديم الذى يردد اسطوانة مستهلكة وعاد يقول :

آه .. سنت كاترين .. استأجر سنت كاترين لمدة ثمانية شهور .. فى الوقت الذى ذهبت فيه مسز فنديزون الى مصر .. انها ماتت هناك على كل حال ، وبيع البيت فى المزاد العلنى بعد ذلك .. من الذى اشتراه ؟ .. آه نعم مسز الوورثى واخواتها .. ولكنهن غيرن اسمه ، وكن يعملن بالتبشير ..

وتنهد تنهيدة عميقة ثم اضطجع فى مقعده الى الخلف وقال : لقد انقضى على ذلك

وقت طويل ، ولم أعد أتذكر الأسماء .. رجل جاء من الهند .. شاب شهم ... وأظنه ضابطا ... وزوجة جميلة ... وطفلة صغيرة ... اننى متعب يا جلاديس . أريد قدحا من الشاى .

وشكره جايلز وجويندا كما شكرا ابنته . وقالت جويندا وهى تجلس فى السيارة : ثبت لنا الآن اننى أقمت أنا وأبى فى هيلسايد ... ماذا نفعل الآن :

صاح الشاب فجأة :- ما أغبانى ! ... هناك سومرست هاوس طبعا .

- وما هو ؟

- هو مكتب يحتفظ بصورة من جميع وثائق الزواج . سأمضى اليه لكى أبحث فيه عن وثيقة زواج أبيك . ان خالتك تقول أنه تزوج زوجته الثانية بمجرد عودته الى انجلترا.

وكان يجب أن نفكر فى ذلك من قبل . من الجائز أن هيلين التى تتكلمين عنها تمت بصلة القرابة الى زوجة أبيك ، ولعلها أختها . ومهما يكن فما أن نعرف اسم أسرتها حتى نستطيع أن نجد من يقدم لنا ما نريد من معلومات عنها . ولا تنسى أن العجوز جالبريت قال ان زوجة أبيك لم تشأ الابتعاد عن أهلها . واذا كان هؤلاء الأهل لا يزالون على قيد الحياة فربما نهتدى الى شئ آخر .

- ٣ -

ولكن جايلز رأى انه ليس من الضرورى أن ينتقل الى لندن وأن فى مقدوره أن يكلف غيره بالبحث عن هذه الصورة . ولهذا اتصل تليفونيا بمكتبه فى العاصمة . وجاءه الرد بعد يومين من ذلك . وفض المظروف وأخرج منه صورة لوثيقة زواج ألقى اليها نظرة ثم أعطاها لزوجته وهو يقول :

- ها هى الوثيقة . لقد تزوج أبوك يوم الجمعة ٧ أغسطس فى مكتب مدنى

ليفنجستون ... كلفن جيمس هاليداى وهيلين سبنلوف كيندى .

هتفت جويندا تقول : هيلين !

وتبادل الزوجان النظر فى صمت ، وقال جايلز أخيرا : ولكن لا يمكن أن يكون ... أعنى ... انهما افترقا بعد سنة ... ثم تزوجت بعد ذلك .

خفضت المرأة الشابة عينيها ونظرت الى الاسم من جديد ... هيلين سبنلوف كيندى.

هيلين !

* * *

الدكتور كيندى

- ١ -

بعد بضعة أيام كانت جويندا تجتاز الميدان عندما هبت ريح قاسيه فتوقفت فجأة أمام استراحة أقامتها البلدية قاعدتها مبنية بالطوب ونصفها [illegible] وسقفها عبارة عن ألواح زجاجية ، وصاحت تقول فى شئ من الدهشة :

- مس ماربل !

وكانت هذه الأخيرة جالسة داخل الاستراحة وقد التفت فى معطف سميك من الصوف وأحاطت عنقها بوشاح . وقالت :

- اننى أفهم دهشتك وأنت ترينني هنا . ولكن طبيبى وصف لى هواء البحر ، وأنت قد أطريت جمال ديلموث بحيث رأيت أن أمضى بها بضعة أيام .

-- ولماذا لم تأت لزيارتى ؟

- انت تعرفين ان الأشخاص المسنون متعبون فى بعض الأحيان ، ثم ان الشبان المتزوجين يجب أن يعيشوا فى جو هادئ . وقد نزلت فى بنسيون تديره طاهية قديمة لاحدى صديقاتى .

وأسرعت تقول وهى تبتسم ردا على احتجاج جويندا : أوه ! ... اننى واثقة انك كنت ستحسنين استقبالى . ولكن كيف حالكما ؟ .. هل جلوتما السر ؟

أجابت جويندا وهى تجلس بجوار العانس العجوز :

- ليس بعد . ولكننا اهتدينا الى أثر .

وأطلعتها على حقيقة تحرياتهما ، واختتمت حديثها قائلة : وقد نشرنا فى جميع الجرائد المحلية اعلانا ، كما نشرنا نفس الاعلان فى جريدة التايمز نطلب الى كل من عرف هيلين سبنلوف هاليداى المولودة باسم كيندى الاتصال بنا وأظن أنه لابد من أن يأتينا بعض الردود ، فما رأيك .

قالت مس ماربل فى بطء :

- وأنا الأخرى ، أظن ذلك .

وكان صوتها هادئا كالعادة ، ولكن نطقت عيناها بالقلق . وألقت نظرة سريعة الى المرأة الشابة الجالسة بجوارها والتى بدت لها كلماتها جوفاء . كانت جويندا قلقة ، ولاريب أنها بدأت العواقب المحتملة لفضولها . ولكن فات الأوان الآن لكى ترجع الى الوراء . ولا شك أنها أصبحت تدرك ذلك الآن .

وعادت مس ماربل تقول فى هدوء .

أعترف ان هذه المسألة تثير حيرتى واهتمامى . وأنت تعرفين أن حياتى رتيبة جدا ، وأرجو ألا ترمينني بالفضول اذا طلبت منك أن تطلعينى على نتائج تحرياتكما أولا بأول .

صاحت جويندا تقول فى حماس :

أعدك انك سوف تعرفين كل شئ ، فاننى لا أنسى انه لولا وجودك معى فى لحظة معينة لكنت الأن ألاحق الأطباء لكى يرسلوننى الى احدى مصحات الأمراض العقلية . اذكرى لى عنوانك ... ولكن يجب أن تأتى وتتناولى معنا كأسا .. أعنى . قدحا من الشاى . يجب أن تشاهدى مسرح الجريمة . أليس كذلك ؟

وراحت المرأة الشابة تضحك ، وبدت ضحكتها مصطنعة بعض الشئ وعندما انصرفت هزت مس ماربل رأسها فى رفق وقطبت حاجبيها

* * *

- ٢ -

راح جايلز وجويندا ينتظران البريد كل يوم فى لهفة ، وقد شعرا بخيبة أمل فى البداية فان الردين الوحيدين اللذين تلقياهما جاءا من مكتبين للابحاث الخاصة يعرضان عليهما القيام بالتحرى والتحقيق . وقد قال جايلز :

- لا داعى للعجلة من هذه الناحية . ولكن اذا اضطررنا أن نلجأ الى مكتب للأبحاث فيجب أن نختار بكل عناية ، فأننى لا أثق أبدا فى تلك الدعاية التى تقوم بها الصحف .ثم اننى لا أدرى ماذا يستطيعون أن يفعلوا أكثر منا .

ووجد مكافأته بعد بضعة أيام ، عندما جاءه خطاب مكتوب بذلك الخط الواضح الذى يتعذر قراءته تقريبا والذى يتميز به أصحاب المهن الحرة . وهذا نصه .

جولز هول - وودلى بولتون .

سيدى العزيز

ردا على اعلانكم المنشور بجريدة التايمز أحيطكم علما بأن هيلين سبنلوف كيندى هى أختى ، وان أخبارها انقطعت عنى منذ سنوات طويلة ، وأكون سعيدا لو عرفت شيئا عنها .

جيمس كيندى

طبيب ممارس سابقا

قال جايلز : - وودلى بولتون . انها لا تبعد عنا بأكثر من ثلاثين كيلو مترا . سنكتب للدكتور كيندى ونسأله اذا كان يمكن أن نزوره الا اذا كان يفضل أن يأتى بنفسه .

ولم يتأخر الرد ، فقد أرسل الدكتور يقول انه يسره أن يستقبلهما يوم الاربعاء المقبل .

وورودلى بولتون قرية بيوتها متناثرة وتقوم فى منحدر رابية . أما البيت المعروف باسم جولز هول فيقع فوق القمة ويشرف على البحر مباشرة .

وكان البيت نفسه كئيبا . وكان يبدو واضحا ان الدكتور كيندى يزدرى الاختراعات الحديثة كالتدفئة العامة . أما المرأة التى فتحت لهما الباب فكانت متجهمة الوجه هى الأخرى ، قادتهما عبر بهو يكاد يكون عاريا ، الى مكتب نهض من أمامه صاحب البيت لاستقبالهما . وكانت غرفة المكتب مستطيلة ذات سقف مرتفع ، غطيت جدرانها بالكتب

وكان الدكتور كيندى رجلا تقدمت به السن ، ذا شعر أبيض وعينين حادتين فوقهما حاجبان كثيفان .

مستر ومسز ريد ؟ اجلسى هنا يا سيدتى ، فان هذا المقعد أفضل . هل أستطيع الآن أن أسألك عن حقيقة الأمر ؟

وكان يتكلم بلهجة جافة وفى تحفظ كبير .

وانطلق جايلز يروى القصة التى سبق أن أعدها هو وجويندا ، فقال أنهما تزوجا حديثا فى نيوزيلنده وانهما أقبلا الى انجلترا حيث سبق أن أقامت زوجته فيها فترة وهى طفلة صغيرة ، وانها تتمنى أن تهتدى الى أقاربها أو الى أصدقاء الأسرة .

وظل الطبيب محتفظا بجموده . وكان رقيقا طبعا ، ولكنه بدا محنقا لاصرارهما على تجديد روابط أسرية قديمة . وقال :

وتحسبان أن أختى ... أو بالأحرى أختى غير الشقيقة من أقاربكما ؟

ونمت رقته عن شئ من العداء ، وقالت جويندا : انها زوجة أبى ، تزوجها بعد وفاة أمى ولكننى لا أتذكر شيئا عنها ، لأننى لم أكن غير طفلة فى ذلك الوقت واسمى قبل الزواج هو هاليداى

نظر الطبيب العجوز اليها بعينين متسعتين لفرط الدهشة . وفجأة أضاءت وجهه

ابتسامة وتخلى عن توتره وتحفظه وصاح :

- يا للسماء ... لا تقولى لى انك أنت جوينى .

أومأت المرأة الشابة برأسها وقالت : - نعم . أنا جوينى .

- سامحنى الله ... أهكذا كبرت وتزوجت ؟ ... لقد مرت خمس عشرة سنة ... بل أكثر من ذلك . أظن انك لا تتذكريننى .

- صراحة لا . بل اننى لا أتذكر أبى نفسه . ان تلك الفترة من حياتى ، على الأقل غامضة فى ذاكرتى .

- كانت زوجة هاليداى الأولى من مواليد نيوزيلنده طبعا ، وقد أخبرنى بذلك ذات يوم . انها بلد جميلة ، أليس كذلك ؟

- بل انها أجمل بلاد العالم بالنسبة لى . ولكننى أحب انجلترا أيضا .

- أجئتها فى زيارة ؟...أم انك تنوين البقاء فيها ؟ قرع الجرس وهو يتكلم وقال :

- سوف نتناول الشاى .

وأقبلت المرأة ذات الوجه المتجهم فقال لها الطبيب الشاى من فضلك ... واحضرى معه بعض التوست أو البسكويت .

وكانت المرأة تبدو خشنة الطباع ، ولكنها أحنت رأسها فى اذعان ثم خرجت ، وعاد الطبيب يقول :

- اننى لا أشرب الشاى عادة . ولكن يجب الاحتفال بهذه المناسبة .

قالت جويندا :

- هذه مكرمة منك . كلا . اننا لم نأت لزيارة انجلترا ... اننا اشترينا بيتا ... اشترينا هيلسايد .

- آه ... أظن انه يقع فى ريلموث ؟ ... فقد كتبتمالى من هناك .

- نعم . وهذه مصادفة غريبة حقا ... أليس كذلك يا مايلز ؟

- هو ذلك ... مصادفة غريبة جدا .

واستطردت جويندا تقول :

كان البيت معروضا للبيع ...

وأردفت تقول وهى ترى ان الطبيب لم يفهم شيئا :

أنه نفس البيت الذى سبق أن أقمت فيه مع أبى.قطب كيندى حاجبيه وقال :

- هيلسايد ! ...الواقع اننى سمعت انهم غيروا اسمه ...كان اسمه فيما مضى ... سنت ... لا أذكر ... اذا كان هو نفس البيت الذى نتكلم عنه على الأقل فانه يقع على طريق ليهامبثون ، على اليمين قبل أن تبلغى البلدة بقليل .

- هذا صحيح .

من العجيب أن المرء ينسى الأسماء دائما ... ولكن لحظة واحدة ... أظن ان اسمه كان سنت كاترين ...

وهل صحيح اننى أقمت به حقا ؟

- طبعا .

ونظر اليها فى شئ من الطرب وقال :

ولكن لماذا اشتريته بالذات ... لم يكن لديك ذكريات معينة عنه .

- هذا صحيح . ومع ذلك فما كدت أراه حتى شعرت بطريقة ما انه بيتى .

تمتم الطبيب يقول مستفهما :

- بيتك ؟

لم يكن فى صوته أية رنة خاصة ، ومع ذلك فقد تساءل جايلز فجأة فيم عساه يفكر . وعادت جويندا تقول :

- كنت أرجو أن تستطيع أن تحدثنى عن ذلك الماضى البعيد ... عن أبى ، وعن هيلين ... وأخيرا عن كل شئ .

نظر كيندى اليها فى تفكير من جديد وقال :

– أظن ان أقاربك فى نيوزيلنده لم يعرفوا شيئا أبدا . ومهما يكن فلم يكن هناك الكثير . كانت هيلين عائدة من الهند على نفس الباخرة التى استقلها أبوك . وكانت زوجته قد ماتت منذ أيام وخلفت له طفلة صغيرة ، ولاريب أن هيلين أشفقت عليه ، أو لعلها أحبته ... لا أدرى ... وكان أبوك يحس بالوحدة فأحبها هو الآخر . ومن العسير أن نعرف كيف تقع هذه الأمور . ومهما يكن فقد تزوجا فى لندن بمجرد وصولهما اليها ثم أقبلا الى ويلموث حيث كنت أمارس مهنتى هناك فى ذلك الوقت ، وكان كلفن هاليداى شابا ظريفا ، وان كان عصبيا بعض الشئ . ولكنهما كانا سعيدين .

وسكت الطبيب لحظة لكى يسترد أنفاسه ثم عاد يقول :

– ومع ذلك فقد هربت هيلين مع رجل آخر بعد أقل من سنة ... ولاريب انك تعرفين ذلك .

سألته جويندا :

– ولأى سبب هربت ؟

حدق كيندى فيها بعينيه الثاقبتين وقال :

– انها لم تقل لى ذلك . لم تبح لى بأسرارها أبدا ولكننى كنت قد لاحظت ، وكان من المستحيل أن أفعل غير ذلك ، انه يوجد بينها وبين كلفن خلاف لا أدرى سببه ، فقد كنت متحشما دائما ، ثم اننى من أنصار الأمانة الزوجية ، وهذا هو السبب فى ان هيلين لم تطلعنى على ما كان يدور بينهما من خلاف . وكنت قد سمعت بعض الاشاعات ، كما يحدث عادة فى مثل هذه الحالات ، ولكن دون ذكر أية أسماء . وكان كلفن وهيلين يستقبلان الكثير من الضيوف والزوار الذين يأتون من لندن أو من أماكن أخرى من انجلترا . وأظن انها هربت مع واحد منهم .

– أظن انه لم يقع طلاق بينهما ؟...

- كلا . فقد أبت هيلين ذلك . وقد اعترف كلفن نفسه لي بذلك ، وهذا ما حملني على الظن بأنها هربت مع رجل متزوج ... وربما كنت مخطئا في ظني هذا

- وأبي ؟

أجاب الطبيب في لهجة جافة :

- لم يشأ هو الآخر أن يطلقها .

قالت جويندا :

- حدثني عنه . لماذا قرر فجأة ان يبعث بي الى نيوزيلنده ؟

فكر كيندي لحظة قبل ان يقول :

- أظن ان خالتك أقنعته هي وخالك بذلك . ولعله رأى أن هذا هو أفضل حل بعد فشل زواجه الثاني .

ولماذا لم يذهب اليهما هو بنفسه ؟

لا أدري ... لم تكن صحته على ما يرام منذ وقت طويل .

ومم كان يشكو ؟ .. ومم مات ؟

فتح الباب في هذه اللحظة ودخلت المرأة تحمل صينية الشاي وفوقها بعض التوست بالمربى والزبدة . وأشار الطبيب الى جويندا أشارة خفيفة لكي تصب الشاي

وعندما فرغت من ذلك استطرد كيندي يقول في مرح متكلف شيئا ما

حدثيني عن التغيرات التي قمت بها في البيت .. هل أدخلت به تعديلات كثيرة ؟ ... أظن انني لن أعرفه اذا رأيته ؟

قال جايلز :

لم ندخل أية تعديلات حتى الآن الا في غرفتي الاستحمام.

رفعت جويندا عينيها الى الطبيب وقالت :

مم مات أبي ؟

- لن أستطيع القول يا عزيزتى ، فكما قلت لك منذ لحظة ، لم تكن صحته على ما يرام منذ وقت ما . وقد دخل احدى المصحات فى شمال بريطانيا أخيرا ، ومات فيها بعد سنتين .

- وأين هذه المصحة ؟

- اننى آسف . ولكننى لا أتذكر . غير اننى شبه واثق من أنها فى شمال انجلترا .

وكان كيندى يتكلم فى شئ من التردد الآن . وتبادل جايلز وجويندا النظر . وقال الشاب فى اصرار :

- يمكنك أن تقول لنا على الأقل أين دفن ، فان جويندا تريد أن تزور قبره ، وهذا شئ طبيعى .

انحنى الطبيب فوق المدفأة لكى يفرغ غليونه ثم قال فى صوت أجش :

- لو اننى مكانك لما اهتممت بالماضى كثيرا ، فاننى أرى أن الاهتمام به خطأ كبير وان ما يهم الآن انما هو المستقبل . وأنتما فى ريعان الشباب وفى تمام الصحة ... انظرا الى الأمام ولا تلتفتا الى الخلف ، فليست هناك أية فائدة من وضع زهور على قبر شخص لم تعرفاه تقريبا .

قالت جويندا فى اصرار :

- ولكننى أريد أن أزور قبر أبى .

قال الطبيب فى صوت هادئ :

- يؤسفنى اننى لا أستطيع مساعدتك ، فان هذا الأمر أصبح بعيدا جدا ، وذاكرتى ليست أمينة أبدا ، كما كانت من قبل . هذا فضلا عن اننى فقدت الصلة بأبيك بعد انتقاله من ويلموث . وأظن أنه كتب لى مرة من المصحة ، ولكننى لست واثقا ، وليست عندى أية فكرة عن المكان الذى دفن فيه .

قال جايلز :

- أليس هذا شيئا غريبا ؟

ليس تماما . فقد كانت هيلين هي الرابطة التي تربطني به ، وكنت أحبها كثيرا . انها أختي غير الشقيقة ، وهي أصغر مني بكثير ، وقد بذلت قصارى جهدي لكي أحسن تربيتها ، وألحقتها بأحسن المدارس . ولكن مما يؤسف له ، يجب أن أعترف بأنها لم تكن أبدا على أخلاق متينة . فقد واجهت مشاكل كثيرة وهي ما تزال صغيرة بسبب شاب فاسد الأخلاق تعلقت به . ولكن لحسن الحظ أنني أنقذتها من هذه الورطة من غير أن يلحقها أي أذى . ثم حاولت بعد ذلك السفر الى الهند لكي تتزوج والترفين ابن محام كبير في ويلموث ، وهو شاب كريم شهم الا أنه يثير الملل . وقد أحبها جدا ولكنها لم تهتم به ، وغيرت رأيها فجأة وأبحرت الى الهند وفي نيتها أن تتزوجه ، غير أنها ما كادت تراه حتى غيرت رأيها من جديد وأبرقت تطلب مني أن أبعث اليها قيمة تذكرة العودة . وماذا كنت أستطيع أن أفعل ؟ أرسلت اليها النقود طبعا . ولكنها تعرفت بكلفن أثناء الرحلة وتزوجا قبل أن أعلم بنيتهما . وهكذا ترين انني واجهت المتاعب مع أختي دائما . وهذا هو السبب في انني لم أستمر في مخالطة كلفن. ولكن ، قولا لي أين هي الآن ؟ ... هل تعرفان ذلك ؟ ... انني أحب أن أعثر عليها أو أن أسمع أنباءها على الأقل .

أجابته جويندا :

- ولكننا لا نعرف عنها شيئا . لا نعرف عنها أي شئ على الاطلاق .

اوه ... خيل لي ... عندما قرأت اعلانكما ... وتنقلت عيناه بين جويندا وجايلز في شئ من الحيرة . وقال :

وبهذه المناسبة ، لماذا نشرتما هذا الاعلان ؟

اننا نتمنى الاتصال ...

قاطعهما كيندي في دهشة :

بشخص لا تذكرين عنه أى شئ ؟

خطر لى اننى اذا اهتديت اليها فقد تحدثنى عن أبى .

– آه ، نعم . اننى أفهم . ولكن يؤسفنى جدا اننى لا أستطيع أن أقدم لكما أية مساعدة ، فقد أصبح كل هذا بعيدا عن ذاكرتى .

تدخل جايلز وقال :

– ولكنك ، مع ذلك ، تستطيع أن تعرف المصحة التى دخلها الميجور هاليداى ... هل هى خاصة بالأمراض الصدرية ؟

تجهم وجه الطبيب وقال :

– نعم .. أظن ذلك .

– اذا كان الأمر كذلك فيجب أن نجدها دون صعوبة ... أشكرك يا دكتور على كل ما أخبرتنا به .

ونهض جايلز ، وحذت زوجته حذوه وهى تقول :

– شكرا لك . وأرجو أن تأتى لزيارتنا فى هيلسايد .

وفيما هى تجتاز العتبة التفتت ونظرت الى الدكتور نظرة أخيرة . كان واقفا على مقربة من المدفأة يداعب شاربه فى انفعال وقد ارتسمت امارات القلق على وجهه .

وقالت المرأة الشابة وهى تجلس فى السيارة بجوار زوجها :

انه يعرف شيئا لم يشأ ان يخبرنا به . نعم . ان هناك شيئا ما يا جايلز ، وشد ما أتمنى الآن لو اننى لم أدس أنفى فى هذه المسألة القديمة .

وتبادل الشابان النظر لحظة وقد سرى بينهما شئ من الخوف . واستطردت جويندا :

– كانت مس مابل على حق ... كان يجب ألا أنبش الماضى .

قال جايلز فى غير اقتناع :

– ليس هناك ما يرغمنا على الاستمرار . لعل من الأوفق أن نتخلى عن كل ذلك

الآن يا عزيزتى .

هزت جويندا رأسها وقالت :

– كلا يا جايلز . اننا لا نستطيع أن نتوقف الآن . سنظل نلقى أسئلة لن نجد لها جوابا . وسنتخيل أشياء كثيرة . يجب أن نستمر ، فليس لنا الخيار .من المؤكد أن الدكتور كيندى أخفى بعض الحقائق ، ربما بدافع الطيبة والكرم ، ولكننا لسنا بحاجة الى هذا النوع من الكرم . لابد لنا أن نكتشف ما حدث حقا ... حتى ... حتى اذا كان أبى هو الذى ...

وتحطم صوتها وسكتت .

* * *

أوهام كلفن هاليداى

وفى صباح اليوم التالى كان جايلز وجويندا فى الحديقة عندما جاءتهما مسز كوكر تقول :

- معذرة يا سيدى . ولكن رجلا يدعى الدكتور كيندى يطلبك فى التليفون .

وترك جايلز جويندا تتحدث مع فوستر البستانى وعاد الى البيت وأمسك السماعة وقال :

- آلو ... جايلز يتكلم ...

- أنا كيندى. اننى فكرت فى حديث الأمس يا مستر ريد ، وانتهيت الى رأى وهو انه يجب أن أطلعك على بعض الحقائق التى خطر لى أن من الأوفق أن تعرفها أنت وزوجتك . هل أستطيع زيارتكما بعد ظهر اليوم ؟

- طبعا ... فى أية ساعة ننتظرك ؟

- الساعة الثالثة ، اذا ناسبكما ذلك .

- حسنا .

وفى نفس الوقت كان البستانى يسأل جويندا قائلا : هل الدكتور كيندى هذا هو الذى كان يقيم فى وست كليف فيما سبق .

- أظن ذلك . هل تعرفه ؟

- اننى سمعت عنه . والناس يقولون انه طبيب ممتاز ، ولكن الدكتور لازنبى كان يتمتع بشعبية أكثر . كان رقيق المعاملة دائما ويحب مداعبة مرضاه . أما الدكتور

كيندى فكان جافا فى طباعه على الرغم من انه كان قديرا فى مهنته .

- ومتى تخلى عن عملائه ؟

- اوه ، منذ وقت طويل ... نحو خمسة عشر عاما .. بسبب صحته كما قيل .

وقال جايلز ردا على سؤال زوجته الصامت الذى بدا فى عينيها :

- سيأتى بعد ظهر اليوم .

وتحولت جويندا الى البستانى من جديد وقالت :

- هل عرفت أخت الدكتور كيندى ؟

- أخته ؟ ... لا أظن ذلك . كانت صبية وكانت لا تزال تذهب الى المدرسة الثانوية ، ثم رحلت بعد ذلك الى الخارج . ولكن يخيل لى انها عادت بعد أن تزوجت ، ثم هربت بعد ذلك مع رجل غريب .. كانت المسكينة مجنونة بعض الشئ . ولكن أظن اننى لم أرها أبدا لأننى كنت أشتغل فى بليموث فى ذلك الوقت .

ابتعدت جويندا مع زوجها وقالت :

- لماذا يأتى ؟

- سوف نعرف ذلك قريبا .

وأقبل الدكتور كيندى فى تمام الساعة الثالثة . وقال بعد أن ردد البصر فى الصالون :

- من العجيب أن أجد نفسى هنا من جديد .

ثم انتقل الى الغرض من زيارته فقال دون أى مقدمات :

أدركت انكما مصممان على معرفة المصحة التى مات فيها كلفن هاليداى ، وانكما تريدان معرفة المزيد عن مرضه وعن أيامه الأخيرة .

قالت جويندا :

- هذا صحيح .

- يمكنكما معرفة كل ذلك دون أية صعوبة طبعا . ويخيل لى أن الصدمة ستكون أخف وقعا اذا أطلعتكما بنفسى على الحقائق التى أخفيتها عنكما أمس . ويؤسفنى أن أطلعكما عليها لأنها قد تسبب لك بعض الضيق يا جوينى . ولكن أباك لم يكن مصابا بمرض صدرى ، وانما مات فى مستشفى للامراض العقلية .

- مستشفى ... للامراض العقلية ... انه فقد عقله اذن ؟

وامتقع وجه المرأة الشابة حتى أصبح يحاكى وجوه الموتى . وقال الطبيب :

- لم يعلن أنه أصيب بالجنون رسميا ، ومن رأيى انه لم يكن مجنونا بالمعنى المعروف لهذه الكلمة . كان قد أصيب بانهيار عصبى ، وكان يشكو من تخيلات استحواذية . وقد دخل تلك المصحة برضاه التام . وكان فى مقدوره أن يغادرها فى أى لحظة لو أنه أراد ذلك . ولكن حالته لم تتحسن ومات فيها .

قال جايلز :

- تخيلات استحواذية ... أى نوع من التخيلات ؟

أجاب الدكتور كيندى بلهجة أكثر جفاء :

- كان يعتقد أنه خنق زوجته .

كتمت جويندا صيحة صغيرة . واقترب جايلز منها مسرعا وأمسك بيدها الباردة وضغطها فى يده وقال :

- وهل ... هل كانت هذه هى الحقيقة ؟

نظر الطبيب اليه فى دهشة وقال .

- طبعا لا ... لم يفعل شيئا من هذا .

سألته جويندا فى صوت مضطرب :

- ولكن ... كيف تعرف هذا ؟

- لم يكن هذا موضوع نقاش أبدا يا ابنتى العزيزة ، فقد هجرته هيلين بسبب رجل

آخر . وكان يشكو منذ بعض الوقت من انهيار عصبى . وكانت هذه الصدمة شديدة الوقع عليه .. والنفسانيون لهم رأى فى مثل هذه الحالة فان الرجل الذى يحب زوجته يؤثر ان يراها ميتة بدلا من خائنة .

وينتهى به الأمر الى الاعتقاد بأنها ماتت حقا وانه قتلها بيديه الاثنتين .

تبادل جايلز وجويندا النظر فى شئ من الحذر وقال الشاب :

- اذن فأنت تعتقد انه لم يرتكب الجريمة التى اتهم بها نفسه .

- أوه . طبعا . فقد تلقيت من هيلين بعد ذلك خطابين ، الأول من فرنسا ، بعد اسبوع من رحيلها والثانى بعد ذلك بنحو ستة شهور . كلا . صدقنى أن الأمر ليس بأكثر من تخيلات وأوهام .

تنفست جويندا نفسا عميقا وقالت :- هل لك أن تذكر لى كل شئ من فضلك ؟

- سأذكر لك كل ما استطيع طبعا . كان أبوك كما سبق أن قلت لك ، يشكو من حالة عصبية . وقد أقبل لاستشارتى فى هذا الموضوع . وقال لى أنه يرى احلاما تثير القلق ، وانه يراها دائما وتنتهى دائما بنفس الطريقة . كان يرى نفسه وهو يخنق هيلين. وقد حاولت الوصول الى اصل الداء . وخطر لى انه لابد شاهد نزاعا ما فى طفولته ، وعرفت أن اباه وأمه كانا غير متفقين تماما . ولكننى لن أقف عند هذه النقطة فهى لا تهم الا الطبيب . ونصحته بأن يمضى لاستشارة طبيب نفسانى ، ولكنه رفض نصيحتى مقتنعا بأن كل هذا ما هو الا لغو .

وأحسست بأنه ليس بينه وبين هيلين أى اتفاق أو وئام ، ولكنه لم يحدثنى فى ذلك، ولم الق عليه أى سؤال . وبلغ الأمر نهايته فى اليوم الذى جائنى فيه ، وأذكر أن هذا اليوم كان يوم جمعة ، وانا عائد من المستشفى فوجدته فى انتظارى فى غرفة العيادة ، وما أن رآنى حتى رفع عينيه الى وقال " اننى قتلت هيلين " .

ومضت بى لحظة لم ادر فيها ماذا اقول ، لأنه كان شديد الهدوء

والبرود . وسألته ان كان رأى أحد هذه الكوابيس التى يراها عادة ولكنه اجابنى يقول : " هذه المرة لم أحلم وانما اتكام حقا " . ثم أردف يقول وهو لا يزال محتفظا بهدوئه " من الأوفق أن تأتى معى الى البيت ، وهناك نستدعى رجال البوليس " . ولم ادر ماذا أفعل ، ولكنى أخرجت السيارة من الجاراج وانطلقنا . وعندما وصلنا كان البيت هادئا ومظلما ، وصعدنا الى غرفة النوم .

تدخلت جويندا على الفور وسألت :- غرفة النوم ؟

وتم صوتها عن دهشة شديدة . وتأملها الطبيب فى شئ من الحيرة وقال :- نعم . ولكن لم يكن بها احد لم تكن على الفراش أية امرأة . وكانت الغرفة مرتبة والفراش كذلك . لم يكن الأمر غير تخيلات مرة أخرى .

- و ... ماذا قال أبى ؟ .

- أصر على قصته طبعا . وكان يعتقد انه قتلها حقا . واعطيته مسكنا وارقدته فى الغرفة الصغيرة المجاورة . وفى سلة المهملات بغرفة الصالون وجدت ورقة مكورة عليها بضعة سطور بخط هيلين " هذا وداع ، وانني آسفة ، ولكن زواجنا كان غلطة منذ البداية . اننى راحلة مع الرجل الوحيد الذى أحببته . وأرجو أن تغفر لى اذا استطعت . هيلين " .

وسألت الخادمة بعد ذلك . وكان اليوم يوم أجازتها . وعادت فى وقت متأخر . وأخذتها الى غرفة هيلين لكى تجرد ثياب أختى . كان كل شئ يبدو واضحا فقد أخذت هيلين حقيبة صغيرة وشنطة سفر وملأتها بالثياب . ومع ذلك فقد فتشت البيت تفتيشا دقيقا دون أن أجد أى أثر يدل على أن أختى قتلت .

وفى صباح اليوم التالى قضيت لحظة عصيبة مع كلفن ، ولكنه أدرك فى النهاية أنه توهم ، أو على الأقل هذا ما قاله لى . وقبل أن يدخل احدى المصحات للعلاج .

وبعد أسبوع من ذلك جاءنى خطاب من هيلين كما قلت لك . ألقته فى صندوق

بريد بيارتيز . تخبرنى فيه بأنها راحلة فورا الى أسبانيا وطلبت منى أن أقول لكفلن انها لا تريد الطلاق ، وأن يحاول أن ينساها بأسرع ما يمكن

وعرضت الخطاب على كلفن فلم ينطق بكلمة ، ولكنه كتب لأقارب زوجته فى نيوزيلنده يطلب منهم أن يتكفلوا بابنته . ثم رتب أموره ، ودخل مصحة خاصة تتمتع بسمعة طيبة ، ولكن العلاج فشل معه مع الأسف ، ومات بعد سنتين . واستطيع أن أعطيكما عنوان المصحة ، وتقع فى نورفولك ، ومديرها الحالى كان يعمل فيها طبيبا فى ذلك الوقت . وفى مقدوره أن يزودكما بكل التفاصيل عن مرض أبيك .

سألته جويندا :

أظن انك قلت لنا انه جاءك خطاب آخر من هيلين ؟

نعم بعد ستة شهور وقد جاءنى من فلورنسا وذكرت فيه عنوانها على أنه يحفظ بشباك البريد باسم مس كيندى . وقد قالت فى هذا الخطاب انها تدرك انها ظلمت كلفن برفضها الطلاق ، وانه اذا أراد الطلاق فما عليه الا أن يخبرها بذلك وستحرص عندئذ على أن ترسل اليه كل المستندات الضرورية .

وذهبت بالخطاب الى كلفن ولكنه قال لى انه لا يريد الطلاق . وكتبت الى هيلين على الفور لكى أخبرها بذلك . ولكننى لم أسمع عنها أبدا فيما بعد ، ولا أدرى أين هى ، بل اننى لا أعرف هل مازالت على قيد الحياة ، وهذا هو السبب فى أن اعلانكما لفت نظرى وكنت أرجو أن تذكروا لى أنباءها . .

وأمسك لحظة ثم أردف يقول فى رفق :

- وأنا آسف حقا يا جوينى . ولكن كان لابد أن تعرفى كل ذلك . وآسف كذلك لأنك نبشت كل هذا الماضى البعيد .

* * *

عنصر جديد

- ١ -

عندما عاد جايلز الى الصالون بعد أن شيع الدكتور كيندى وجد جويندا جالسة فى نفس المقعد الذى تركها فيه . وكان وجهها مضطربا وعيناها محمومتين ، وقالت فى لهجة قاسية جافة لم يألفها منها قبل ذلك :

- ماذا يقول هذا المثل القديم ... " الموت من ناحية أو الجنون من ناحية أخرى " . هذا هو الموقف يا جايلز ... الموت أو الجنون .

- جويندا ... حبيبتى .

اقترب جايلز من زوجته وأحاط كتفيها بذراعيه . وأحس بها متوترة ومتصلبة فقالت :

- لماذا نبشنا كل ذلك ؟ ... لماذا ؟ ... ان أبى هو الذى قتلها . وصوته هو الذى سمعته وهو ينطق بتلك الكلمات ، وليس من العجيب أن يعود كل شئ الى ذهنى ... ليس من العجيب أن يتملكنى كل هذا الذعر ... أبى بالذات .

- مهلا يا جويندا ... مهلا .... اننا لا نعرف حقا اذا ...

- بل نعرف بكل تأكيد ... ألم يقل للدكتور كيندى انه قتلها ؟

- ولكن كيندى يؤكد انه لم يفعل شيئا من ذلك .

- لأنه لم يجد الجثة . ومع ذلك فقد كانت هناك جثة ، وقد رأيتها بنفسى .

- ولكنك رأيتها فى البهو ... وليس فى غرفة النوم .

وما الفرق ؟

الواقع أنه أمر غريب . فلماذا قال أبوك انه قتل زوجته فى غرفة النوم اذا كانت قد قتلت فى البهو فى الواقع ؟

اوه اننى لا أدري ولكن هذه نقطة لا أهمية لها .

لست واثقا من دلك لا تنسى يا عزيزتى ان فى هذه المسألة بعض النقاط الغريبة لنفرض . اذا أردت ، أن أباك خنق هيلين فى البهو ، فما الذى حدث بعد ذلك ؟

ذهب الى الدكتور كيندى .

نعم . وقال له أنه قتل زوجته فى غرفته ، وجاء به معه .. ولكن عندما وصلا لم تكن هناك أية جثة لافى غرفة النوم ولا فى البهو .. فماذا حدث لها ؟

ربما كانت هناك جثة ، وساعد الدكتور أبى فى اخفائها .. وهذا شئ لا يسعه الاعتراف به

هز جايلز رأسه فى غير اقتناع وقال :- كلا يا جويندا .. لا أستطيع أن أتصور كيندى يتصرف بهذه الطريقة . أنه رجل اسكتلندى وغير عاطفى ، وعملى الى أبعد الحدود وتأتين الآن فتقولين أنه استطاع أن يورط نفسه بقبوله أن يكون شريكا لأبيك بعد أن قتل زوجته . لا أعتقد أبدا أنه أقدم على مثل هذا العمل .. لا ريب أنه كان يبذل قصارى جهده لمساعدة زوج أخته بأن يشهد فى التحقيق بأنه مختل العقل .. هذا ممكن حقا ، ولكن لأى سبب يخفى الجريمة .. ومهما يكن فان كلفن هاليداى لم يكن قريبا له ولا صديقا حميما ، فى حين أن أخته هى التى قتلت ، وهى أخت كان يحبها جدا على الرغم من أنه لم يكن ، بطبيعته المتحفظة ، يقرها على تصرفاتها .. كلا .. اننى مازلت مقتنعا بأنه غير جدير بالتستر على جريمة قتل .. كل ما كان فى مقدوره أن يفعله هو أن يحرر شهادة بأنها ماتت ميتة طبيعية .. كأن توقف قلبها عن الحركة

فجأة أو أى شئ من هذا القبيل .. نعم .. أظن أنه كان فى مقدوره أن يفعل ذلك ، ولكننا نعرف أنه لم يفعل ما دامت السجلات المدنية لا تذكر عن الوفاة .. ثم أنه اذا كان قد تصرف هكذا لقال لنا أن أخته ماتت .. والآن قولى لى ، اذا استطعت ، ما الذى حدث للجثة ؟

- ربما دفنها أبى فى مكان ما .. فى الحديقة مثلا .

- لكى يمضى بعد ذلك ويقول أنه قتل زوجته ؟ . لماذا ؟ .. ولماذا لا نقر بكل بساطة بأنها هجرته .

أبعدت جويندا شعرها عن جبينها .. كانت الآن أقل توترا .. وأخذ وجهها يسترد منظره الطبيعي شيئا فشيئا وقالت :

- لا أدري .. اعترف بأن كل هذا غريب .. هل تعتقد أن كيندى قال لنا الحقيقة ؟

- أكاد أكون واثقا من ذلك .. ان القضية واضحة جدا من وجهة نظره .. أحلام وأوهام ، وأخيرا وهم أقوى من كل الأوهام الأخرى . والمزعج فيما يتعلق بنا اننا نعرف أنه كانت هناك جثة .. بالنسبة لكيندى ، كل شئ يبدو طبيعيا .. رسالة الوداع والحقيبة وشنطة السفر والثياب التى اختفت ، ثم الخطابان اللذان أرسلتهما له أخته فيما بعد .

- نعم .. بماذا نفسر هذين الخطابين ؟

- اذا انطلقنا من مبدأ أن كيندى قال لنا الحقيقة وهذا هو رأيى ، فلابد لنا من ان نجد لهما تفسيرا .

- أظن أن هذين الخطابين كتبتهما أخته وأظن أنه عرف فيهما خطها .

- لا أظن أنه يجب أن نعلق أهمية كبيرة على هذه النقطة بالذات .. فلسنا هنا أمام توقيع شيك مثلا .. واذا كان خط هذين الخطابين يشبه بما فيه الكفاية خط أخته فان كيندى لم يخطر له أن يشتبه فى أمرهما ، فقد كان مقتنعا منذ البداية بأن هيلين

هربت مع رجل آخر . وجاء هذان الخطابان فأكدا هذا الاقتناع . أما اذا كانت لم تأته أنباء منه فقد كان من الممكن أن تخامره الشكوك ، وعلى الرغم من ذلك فهناك بعض النقاط يبدو أنه لم يعرها أى إهتمام وتثير حيرتى أنا ، فان هذين الخطابين لا يدلان على شئ اطلاقا ، وليس فيهما عنوان ثابت معروف فيما عدا " يحفظ بشباك البريد .

وليس فيهما أى دليل ولا أية اشارة عن الرجل الذى هربت هيلين معه .. وفى هذا تصميم أكيد لقطع كل العلاقات القديمة .. وهذا هو نوع الخطابات الذى يمكن لقاتل أن يتصوره لكى لا يثير شبهات أسرة القتيل ... ثم أن ارسال الخطابات من الخارج عمل سهل نسبيا .

هل تظن أن أبى ؟ ..

كلا .. هذا ما لا أظنه بالذات .. تصورى رجلا صمم على التخلص من زوجته .. أول كل شئ ينشر اشاعة بأنها تخونه ، ثم يدبر الأمر لكى يبدو أنها هربت رسالة وداع واختفاء حقيبتين وبعض الثياب ثم يرسل أحدهم خطابات من الخارج فى فترات متفاوتة ، وهى خطابات يكون قد أعدها مسبقا ، فى حين أنه قتل زوجته بكل هدوء فى الواقع وأخفى جثتها ، لنقل تحت بلاط القبو .. ومثل هذه الجريمة سبق تنفيذها أكثر من مرة ، ولكن مثل هذاالقاتل لا يسرع بعد ذلك الى أخى روجته لكى يقول له أنه قتل زوجته ويطلب منه استدعاء البوليس .. ومن ناحية أخرى ، لو أن أباك مثال القاتل السريع التأثير ، الذى يحب زوجته الى حد الجنون ، ولو أنه خنقها فى احدى نوبات الغيرة الجنونية على طريقة عطيل ، وهذا يتفق مع الكلمات التى سمعتها أنت ، لما قام بكل التدبير .. أعنى الثياب والخطابات قبل أن يطلع الرجل الوحيد الذى لا قبل له بكتمان السر على جريمته .

ماذا تقصد من وراء كل هذا يا جايلز ؟

لا أدرى ولكن يبدو أن هناك عنصرا مجهولا ..شخصا لم يظهر حتى الآن

ولكننا بدأنا ندرك ما كان يخطط له

قالت جويندا :

- انك تختلق كل هذا لكى تواسينى يا جايلز

- كلا . وأقسم لك . ألا تفهمين أنه من المستحيل أن نتصور مخططا يتفق مع كل هذه الحقائق ؟ اننا نعرف أن هيلين هاليداى خنقت لأنك أنت نفسك رأيت

وأمسك فجأة عن الكلام ثم هتف يقول :- يا الهى ماأغبانى ! . اننى أفهم كل شئ الآن انك على صواب ، وكيندى على صواب هو الآخر . اسمعى يا جويندا

كانت هيلين تستعد للفرار مع عشيقها من هو ؟ لا نعرف ذلك ولكنها تكتب رسالة لزوجها ويدخل هذا الأخير الغرفة فى هذه اللحظة ، ويقرأ ما تكتبه فيجن جنونه ويكور الورقة ويلقى بها فى سلة المهملات ويهجم على زوجته ويتملكها الذعر وتجرى الى البهو ، وهناك يلحق بها ويمسكها من عنقها فتنهار فوق الأرض . وعندئذ . وعلى بعد خطوات منها ينطق بتلك الكلمات المأخوذة من تمثيلية دوقة أما لفى فى نفس اللحظة التى تنظر فيها اليه طفلة صغيرة من خلال قضبان الدرابزين

وبعد ذلك ؟

النقطة التى تهمنا أن هيلين لم تمت .. خطر له أنها ماتت . ولكنها كانت قد فقدت وعيها ، ولعل عشيقها جاء فى هذه اللحظة ، بعد انصراف زوجها الذى أسرع الى الدكتور كيندى ، فى الناحية الأخرى من المدينة .. أو لعلها عادت الى رشدها وحدها .. مهما يكن فى أن عادت الى الرشد حتى بادرت بالهرب من غير أن تضيع دقيقة واحدة .. وهذا يفسر كل شئ .. اقتناع كلفن الذى يعتقد أنه خنق زوجته . واختفاء الثياب التى لا ريب أن هيلين كانت قد أعدتها من قبل . والخطابين . ولاريب انهما بخط يدها حقا

- ولكن نظريتك هذه لا تفسر مع ذلك لماذا قال أبى أنه قتل زوجته فى غرفة النوم ؟

- كان شديد الاضطراب بحيث لم يتذكر ما حدث تماما .

- أود لو أن أصدقك .. ولكنني اقتنعت وما زلت مقتنعة بأنها كانت ميتة حين نظرت اليها وهى فى البهو .

- وكيف كان فى مقدورك معرفة ذلك ؟ لا تنسى انك كنت فى الثالثة من عمرك .

تأملت المرأة الشابة زوجها بطريقة غريبة وقالت :

- أظن أن الطفل فى هذه السن يمكن أن يتذكر أشياء لا يمكنه أن يتذكرها بعد ذلك، تماما كالكلاب التى تستشعر الموت وتظل تنبح .. وأظن أن الأطفال يستشعرون الموت هم الآخرون .

- كل هذا هراء .

ودق جرس الباب فى هذه اللحظة فقال :

- اننى أتساءل من يكون الطارق .

بدا الذهول على جويندا وقالت :

- يا الهى ! .. اننى نسيت تماما ..اننى دعوت مس ماربل لكى تتناول الشاى معنا اليوم .. لن نتحدث اليها فى ذلك .

- ٢ -

خشيت جويندا ألا تمر حفلتها الصغيرة كما تود وتشتهى .. ولكن لحسن الحظ لم تلحظ مس ماربل أن مضيفتها تتكلم دون ترو أو تفكير وأن مرحها كان متصنعا شيئا ما ، فقد كانت العانس العجوز مشغولة عنها بحديثها عن ويلموث وعن اقامتها فيها ،

واستطردت تقول :

- هكذا تريان أن المرء لا يشعر بالغربة تقريبا عندما يفلح فى التعرف ببعض الأهالى المقيمين منذ وقت طويل ، فأنا مثلا يجب أن أتناول الشاى مع مسز فين ، أرملة المحامى المعروف بهذا الاسم ، ومع ابنها الذى يتولى مهام المكتب حاليا بدلا من أبيه .

ثم راحت تتكلم عن صاحبة البنسيون الذى نزلت به فقالت انها امرأة ظريفة وأن الطعام فى البنسيون شهى وجيد واسترسلت تقول :

- ومن عجائب الصدف انها كانت قد اشتغلت طاهية سنوات عدة عند صديقتى العزيزة مسز بانترى ، وقد ورثت البنسيون عن عمتها عقب موتها .. وهى تقيم هنا الآن منذ بضع سنوات وهذا هو السبب فى أنها تعرف الكثير من القصص والشائعات التى تدور فى البلد .. وبهذه المناسبة هل أنت راضية عن البستانى الذى يشرف على حديقتك ؟ .. سمعت أنه يقال عنه أنه رجل غريب الاطوار يتكلم أكثر مما يعمل .

أجاب جايلز :- نعم .. ان الشئ الذى يهمه أكثر من أى شئ آخر هو الثرثرة واحتساء العديد من أقداح الشاى .. ولكنه يعمل بجد عندما نكون بجواره .

وعرضت جويندا على مس ماربل أن تريها الحديقة والبيت .. وكانت تخشى أن تسمع نقدا من العانس العجوز ، ولكن مخاوفها لم يكن لها محل فقد انتهت الزيارة على ما يرام ، ولم تجد مس ماربل ما يثير الدهشة أو الاستغراب .. والعجيب أن جويندا هى التى تصرفت بطريقة متوقعة ، نقاطعتها بينما كانت تنطق باحدى الدعابات . وقالت لزوجها :

- سأخبرها ، وليكن ما يكون .

التفتت مس ماربل اليها .. وفتح جايلز فمه لكى يتكلم ولكنه لم يلبث أن هز كتفيه ، وبدا عليه التردد ثم قال أخيرا :

- هذا شأنك أنت على كل حال .

وتكلمت المرأة الشابة فروت القصة كلها .. ولم تنس أن تشير الى زيارتهما للدكتور كيندى وزيارة هذا الأخير لهما ، ثم اختتمت حديثها قائلة فى صوت متقطع :

- هذا ما كنت تقصدين قوله فى لندن ، أليس كذلك ؟ .. ظننت أن أبى ربما .. تورط فى هذه المسألة .

اعترفت العانس العجوز فقالت فى رفق :- لقد مر بخاطرى هذا الاحتمال فعلا .. خطر لى أن هيلين ربما تكون زوجة أبيك ، وفى حالة كهذه نجد الزوج متورطا فى أكثر الأحيان .

وكانت مس ماربل تتكلم فى صوت واضح وبدون أى انفعال ، كأى شخص يبدى نظرية تافهة وعادية تماما .

قالت جويندا :- فهمت الآن لماذا نصحتنا بأن نتخلى عن كل ذلك ، وليتنا استمعنا اليك .. ولكننا لا نستطيع أن نتخلى الآن للأسف .. من المستحيل أن نعود الى الوراء .

قالت مس ماربل : - نعم .. هذا مستحيل .

- يجب أن تصغى الآن الى جايلز ، فاننى أظن أن لديه بعض الملاحظات .

قال الشاب : - انما أقول أن هناك شيئا لا يتماشى مع الأحداث .

وفى بطء ووضوح عرض النقاط التى سبق أن أبداها لزوجته ثم قال مختتما : ليتك تستطيعين اقناع جويندا بأنه ربما تكون هذه الطريقة هى الوحيدة التى وقعت بها الأحداث .

حدجت مس ماربل المرأة الشابة لحظة ثم عادت فنظرت الى زوجها وقالت : - هذه النظرية معقولة تماما ، ولكن يبقى . كما قلت أنت نفسك احتمال وجود شخص مجهول

- نعم .. وهو العنصر المجهول .. رجل يمكن القول بأنه لا يزال فى الكواليس ، ولكن يبدو أن هناك بعض النقاط التى تثبت وجوده .

قالت جويندا :

- سنمضى الي تلك المصحة بنورفولك حيث مات أبى .. قد نكتشف فيها شيئا .

* * *

خفايا القضية

- ١ -

كانت مصحة سالتمارش هاوس تقع فى مكان جميل ، على بعد ستة أميال من الساحل ، وعلى مسيرة بضعة أمتار من محطة ساوث بنهام .

وخف الدكتور بنروز لاستقبال جايلز وجويندا وقال : - اننى استلمت خطابكما ، وخطاب الدكتور كيندى كذلك ، ودرست حالة أبيك يا مسز ريد .. وأننى أتذكره جيدا ، ولكننى طلبت الملف الخاص به زيادة فى التأكد لكى أخبرك بكل ما تريدين معرفته .. وقد فهمت انك عرفت الحقائق أخيرا .

قالت له جويندا أنها نشأت فى نيوزيلنده مع أقارب أمها ، وأن كل ما تعرفه عن أبيها أنه مات فى احدى المصحات .

أجاب الطبيب : - هو ذلك .. وكانت حالته تتسم ببعض السمات الغريبة .

سألته جويندا : - وكيف ذلك ؟

- كانت وساوسه .. أو اذا أردت ، أوهامه شديدة الخطورة .. كان يؤكد بصفة قاطعة أنه خنق زوجته الثانية أثناء نوبة من الغيرة .. ومع ذلك فقد كانت هناك علامات كثيرة خاصة بهذه الحالة العصبية مفقودة ، ولا أتردد فى الاعتراف صراحة يا مسز ريد أنه لولا اعتراف الدكتور كيندى الذى يؤكد فيه أن مسز هاليداى ما زالت على قيد الحياة لصدقت فى ذلك الوقت مزاعم أبيك .

سأله جايلز : - اذن فقد كان لديك احساس بأنه قتل زوجته حقا ؟

- قلت " فى ذلك الوقت " .. غير اننى وجدت فيما بعد اسبابا جعلتنى أعيد النظر فى رأيى ، وذلك عندما أصبحت حالة الميجور هاليداى مألوفة لدى .. ان أباك يا مسز ريد لا ينتمى الى هذه الفئة التى تصاب بالهذيان الهذائى .. لم يكن يشكو من أى اضطهاد ، كما أنه لم يكن يميل الى العنف .. ولم يكن مجنونا كما أنه لم يكن يمثل أى خطر للغير .. ولكن كانت تلح عليه فكرة ثابتة تتعلق بموت مسز هاليداى ، غير أنها تفسر حالته الذهنية ، واننى واثق بأنه كان لابد لنا أن نرجع الى الماضى البعيد ، وعلى الأرجح الى تجربة قاسية تعرض لها فى طفولته .. ومع ذلك فيجب أن أعترف أن كل وسائلنا التحليلية اخفقت معه ، واننا عجزنا عن معرفة سبب متاعبه بالتحديد .. وأن تحطيم مقاومة مريض لعمل شاق وطويل فى بعض الأحيان ، قد يقتضى سنوات .. وفى حالة أبيك بالذات كنا فى حاجة الى الوقت .

وأمسك عن الحديث لحظة ثم رفع عينيه فجأة وقال : - اعتقد انك تعرفين أن الميجور هاليداى انتحر ؟

صاحت جويندا :

- أوه .. كلا .

- التمس معذرتك يا مسز ريد ، ولكننى كنت أظنك تعلمين .. مهما يكن ربما يحق لك أن تحقدى علينا بعض الشئ لأننى أعترف أننا لو أقمنا عليه مراقبة شديدة لما حدث ما حدث .. ولكننى صراحة لم اكتشف عند أبيك أية اشارة تحملنا على أن نعتقد أنه ممن يلجئون الى الانتحار .. لم يكن لدية أى ميل للسوداوية أو الانهيار .. كان يشكو من الأرق فحسب .. وقد رأي زميلى أن يعطيه بعض الحبوب المنومة ، ولكنه بدلا من أن يتناولها كان يضعها جانبا حتى أصبح لديه كمية كافية لكى ..

وترك عبارته معلقة وأتى بأشارة مبهمة من يديه .

- هل كان يشعر بالتعاسة الى هذا الحد ؟

- لا أظن ذلك .. من رأيى أنه كان يشكو من عقدة ذنب ورغبة فى عقاب كان يظن أنه يستحقه .. وأنت تعرفين أنه كان قد ألح فى اليوم الذى اختفت فيه زوجته لاستدعاء البوليس ، وعلى الرغم من أنهم صرفوه عن ذلك مؤكدين له أنه لم يرتكب أية جريمة ، فانه رفض أن يقتنع .. ومع ذلك فقد أثبتوا له أكثر من مرة ، واضطر هو الى الاعتراف بذلك ، بأنه ليس لديه أية ذكرى حقيقية بأنه اقترف العمل الذى يتهم به نفسه .

وقلب الدكتور بنروز فى الأوراق التى أمامه ثم استرسل يقول : - أن أقواله فيما يتعلق بتلك الليلة لم تتغير أبدا .. عندما عاد الى بيته كان الوقت ليلا ومضى الى غرفة الطعام كعادته ، وصب لنفسه كأسا احتساء على الفور ثم انتقل الى الصالون عبر الباب الفاصل ، ولكنه لا يذكر بعد ذلك شيئا فيما عدا أنه وجد نفسه واقفا فى غرفة النوم يتأمل جثة زوجته ، وكانت ميتة خنقا فوق الفراش .. وقد اقتنع على الفور بأنه هو الذى ارتكب الجريمة .

قال جايلز : - معذرة يا دكتور .. ولكن لماذا كان مقتنعا الى هذا الحد .

- يبدو أنه لم يكن هناك أى شك فى ذهنه فى أنه هو القاتل ، فقد كانت تخامره ، منذ شهور ، شكوك جنونية فى أن زوجته تدس له العقاقير خلسة وخفية عنه ، وقد أقام فى الهند . وكانت المحاكم تنظر قضايا كثيرة تتهم فيها الزوجة بأنها أصابت زوجها بالجنون عن طريق تعاطيه الداتورة .. وقد عانى أكثر من مرة من أوهام وتخيلات كانت تشوش على ذهنه ، وخصوصا فيما يتعلق بالوقت والمكان .. وقد أنكر بشدة أنه شك فى أن زوجته تخونه .. ولكن على الرغم من انكاره فاننى مقتنع أن هذا هو السبب الحقيقى ، ويبدو أن الأمور وقعت هكذا : حين عاد الى الصالون وجد الرسالة التى كتبتها له زوجته والتى تقول له فيها انها ستهجره . والطريقة التى يراها لكى يتلافى هذه الضربة الشديدة الوقع هى اقتناعه بأنه يؤثر أن يراها ميتة على أن

يراها خائنة ، وأنه يفضل أن يقتلها ، ومن هنا كانت أوهامه وتخيلاته .

تمتمت جويندا :

- معنى هذا أنه كان يحبها كثيرا .

- هذا واضح تماما يا مسز ريد .

- ولم يشأ الاقرار أبدا أن جريمته لم تقع الا فى مخيلته .

- لقد اضطر الى أن يعترف بأن الأمر لابد قد حدث كذلك ، ولكنه فى قرارة نفسه بقى على ايمانه بأنه هو الذى قتلها حقا .. كانت الفكرة المستحوذة عليه أقوى من أن تخضع للمعقول . ولو أننا استطعنا أن نكتشف طبيعة العقدة الثابتة التى عاناها فى طفولته .

قاطعته جويندا فقالت للمرة الثانية :

- ولكنك واثق تماما انه لم يرتكب هذه الجريمة ، أليس كذلك ؟

- اذا كانت هذه الفكرة هى التى تؤرقك يا مسز ريد فيمكنك استبعادها عن ذهنك تماما . ان الميجور هاليداى على الرغم من غيرته على زوجته لم يكن قاتلا على الاطلاق .

وسعل الطبيب ، وأخذ دفترا صغيرا أصاب غلافه البلى وقال :

- اذا أردت يا مسز ريد فاننى أستطيع أن أعطيك هذا . ان بة خواطر كتبها أبوك أثناء أقامته هنا . عندما أعاد الدكتور ماكجير ، مدير المؤسسة فى ذلك الوقت ، حاجيات الميجور هاليداى لمحاميه خطر له الاحتفاظ بهذا الدفتر لأن فيه تفسيرا لمعاناة الميجور .

قالت جويندا وهى تأخذ الدفتر الصغير منه :

- اننى أشكرك كثيرا يا دكتور .

* * *

وفى قطار العودة الى لندن فتحت جويندا الدفتر صدفة وقرأت :

" أعتقد أن هؤلاء الأطباء يعرفون مهنتهم ... وكل هذا يبدو غريبا وسخيفا . هل كنت عاشقا لأمى ؟ .. وهل كنت أكره أبى ؟ لا أصدق كلمة واحدة من كل ذلك ولا يسعنى الا أن أفكر فى أن هذه قضية تخص البوليس ... وينظرها القضاء ، ولا تدخل فى اختصاص الأطباء النفسانيين . ومع ذلك فلا يسعنى الا أن أعترف أيضا ان هناك مرضى كثيرين يعالجون فى هذه المصحة وانهم يبدون طبيعيين ومعقولين ... كجميع الناس ... الا عندما نلمس نقطة الضعف فيهم . ويبدو لى اننى أنا الاخر لى نقطة ضعف .

" اننى كتبت لجيمس ... وطلبت منه أنه يتصل بهيلين ... لكى يسمحوا لها أن تأتى لزيارتى ، اذا كانت على قيد الحياة ، ولكنه يزعم أنه لا يعرف أين هى ... وذلك لأنه يعرف تماما انها ميتة واننى انا الذى قتلتها . انه شاب شهم ولكن توكيداته لا تخدعنى ... ان هيلين ماتت .

متى بدأت أشك فيها ؟... منذ وقت طويل ... وبعد وصولنا الى ديلموث بقليل ، فقد تغير سلوكها ... كانت تخفى شيئا ما ... وكنت أراقبها ، وكانت هى أيضا تراقبنى .

هل كانت تضع بعض العقاقير فى طعامى ...:هذه الكوابيس الفظيعة الغريبة ؟ .. ليست أحلاما عادية ، ولكنها كوابيس حية ، حقيقية ... اننى أعلم ان العقاقير هى السبب ... وهى وحدها التى استطاعت أن تفعل هذا ، فلماذا ؟ ... كان هناك رجل... رجل كانت تخاف منه .

يجب أن أكون شريفا مع نفسى ... اننى ارتبت فى أن لها عشيقا ... من المؤكد أنه كان هناك رجل . اننى أعرف ذلك ... فقد حدثتنى عنه فى غموض ونحن فوق ظهر

السفينة ... رجل كانت تحبه ولا تستطيع أن تتزوجه ... كنا متشابهين ، أنا وهى ... لأننى لم أكن أستطيع نسيان ميجان ... شد ما تشبهها صغيرتى جوينى ... كانت هيلين تلاعب جوينى فى رفق فوق السفينة ... هيلين ... أنت رقيقة جدا يا هيلين .

أما زالت على قيد الحياة ؟ .. أو ترانى خنقتها وطوقت عنقها بيدى حقا ؟ ... ورحت أضغط حتى كتمت أنفاسها ... اننى عبرت غرفة الطعام ورأيت رسالتها فوق المكتب فى غرفة الصالون ... وبعد ذلك ... بعد ذلك ... أظلمت الدنيا فى عينى ... ولم أعد أرى شيئا ... ولكن ليس هناك أى شك . اننى قتلتها . وأحمد الله على أن جوينى فى أمان فى نيوزيلنده . ان خالها وخالتها كريمان سيسهران عليها من أجل ميجان ... ميجان ... كم أود لو انك لا تزالين معى .

هذه هى الوسيلة المثلى ... دون أية فضائح ... أحسن وسيلة للطفلة ، فانه يستحيل على الاستمرار هكذا سنوات وسنوات ... يجب أن أسلك أقصر طريق ... ولن تعلم جوينى شيئا أبدا ... لن تعلم ان أباها قاتل .

* * *

نظرت جويندا الى جايلز وقد أغرورقت عيناها بالدموع . ولكن الشاب كان ينظر الى الناحية الأخرى . وعندما أحس بأن زوجته تنظر اليه التفت اليها .

كان هناك مسافر آخر يجلس على بعد ويطالع جريدة فى صفحتها الأولى عنوان مكتوب بالخط العريض :

" من هم الرجال الذين فى حياتها " .

وفى بطء أشارت جويندا برأسها وخفضت عينيها من جديد الى المذكرات التى كتبها أبوها فى الدفتر الصغير .

" من المؤكد أنه كان هناك رجل ، وأننى أعرف ذلك ".

* * *

رجال فى حياتها

- ١ -

عبرت مس ماربل الميدان وانعطفت الى شارع فور وألقت نظرة سريعة على فترينة محل لبيع خيوط الصوف . وكانت هناك بائعتان منهمكتان مع بعض الزبائن . ولكن كانت هناك بائعة أخرى متوسطة السن تجلس فى آخر المحل . ودفعت مس ماربل الباب ودخلت . ومضت الى البائعة الأخيرة وقالت لها انها تبحث عن صوف أصفر اللون كادر لكى تغزل منه ثوبا لطفل ، ثم راحت بعد ذلك تتصفح مجلات المودة الخاصة بالأولاد فى بطء كبير ، ولم تبد البائعة أى ضجر ، اذ كانت قد اعتادت منذ وقت طويل على التعامل مع عميلات مسنات يهوين الحديث والثرثرة .

- نعم ... أظن أن هذا اللون جميل ، ثم انه من نوع جيد لا ينكمش مع الغسيل .

وقالت البائعة وهى تربط اللفافة :

- ان الطقس اليوم شديد البرد .

أجابت مس ماربل :

- نعم وقد أحسست ببرودته وأنا أعبر الميدان . ولكننى أرى أن ديلموث تغيرت كثيرا . اننى لم آت اليها منذ ... منذ ما يقرب من سبعة عشر عاما .

- ستجدين فيها تغييرات كثيرة اذن ، فان سينما سوبرت لم تكن قد شيدت بعد ، ولا الفندق الجديد هو الآخر .

- هذا صحيح . كانت ديلموث صغيرة جدا ، وكنت أقيم عند بعض الأصدقاء ... فى فيلا سنت كاترين ، على طريق مبتون ، ولكن ربما تعرفينها .

ولكن البائعة قالت انها لا تقيم فى ديلموث الا منذ عشر سنوات .

وشكرتها مس ماربل ، وأخذت منها لفافتها ثم غادرت المحل ، ودخلت المحل الذى بجواره . وهناك قصدت بائعة متقدمة فى السن راحت تثرثر معها وهى تفحص بعض الأقمشة . وقد ردت عليها البائعة هذه المرة على الفور فقالت :

- لا ريب اذن انك كنت تقيمين مع الآنسة فنديزون .

- آه . أظن ان هذا هو اسم صاحبة الفيلا ، ولكن الأصدقاء الذين أتحدث عنهم كانوا قد استأجروا الفيللا مفروشة ، وهم الميجور هاليداى وزوجته وابنته الصغيرة ، ولم تكن هذه الأخيرة قد تجاوزت الثالثة من عمرها فى ذلك الوقت .

- اننى أتذكرهم تماما . وقد أقاموا فى الفيللا نحو سنة .

- نعم ، فقد عاد الميجور من الهند ، وكانت لديهما طاهية ممتازة أعطتنى وصفة جميلة لعمل البودنج بالتفاح ، وكذلك وصفة بسكويت بالينسون . ولكنى لا أذكر اسمها ، واحب أن أعرف ماذا جرى لها .

- آه . أظنك تتكلمين عن أديث باجيت يا سيدتى . انها مازالت فى ديلموث ، ولكنها تعمل الآن فى وندروش لودج .

- وقد التقيت كذلك بأناس آخرين ، منهم آل فين ... وأظن ان مستر فين كان يشتغل بالمحاماة .

- هذا صحيح ، ولكنه مات منذ سنوات عديدة ، ومازال ابنه ، مستر والترفين ، يقيم مع أمه لأنه لم يتزوج حتى اليوم . وهو الذى يشرف على المكتب الآن .

- حقا ؟ ... ولكننى كنت أعتقد انه سافر الى الهند .

- انك لست مخطئة يا سيدتى ، فقد سافر وهو شاب صغير ، ولكنه عاد بعد سنة أو سنتين ، ومكتبه مشهور فى الاقليم كله ، وأعماله رائجة ، ومستر فين نفسه رجل ظريف ومحبوب جدا .

- كان قد خطب مس كيندى ، أليس كذلك ؟ ولكن الفتاة فسخت الخطبة لكى تتزوج الميجور هاليداى .

- نعم . كانت قد رحلت الى الهند لكى تتزوج مستر فين ، ولكنها غيرت رأيها أخيرا ووقع اختيارها على الميجور .

وكانت لهجة العاملة تنم عن شئ من الاستهجان ، وانحنت مس ماربل الى الأمام وخفضت صوتها وهى تقول :

- انني رثيت كثيرا للميجور هاليداى ولابنته الصغيرة . وقد فهمت ان زوجته الثانية هجرته وهربت مع رجل آخر ، ولا ريب انها كانت امرأة متقلبة .

- كانت امرأة رعناء تماما . ومع ذلك فان أخاها الطبيب كان رجلا ظريفا ، وقديرا جدا فى عمله .

- مع من هربت ؟ ... انني لم أعرف ذلك أبدا .

- لن أستطيع أن أخبرك بذلك يا سيدتى . فان البعض يزعمون أنه أحد الضيوف الذين استقبلهم الميجور أثناء الصيف . أما ما أعرفه أنا عن يقين فهو ان الميجور أصيب بصدمة عنيفة وترك ديلموث ، وقد سمعت ان صحته تدهورت تماما ... اليك الباقى يا سيدتى .

أخذت مس ماربل الباقى والتقطت لفافتها وهى تقول : - أشكرك كثيرا .. اننى أتساءل اذا .. اذا كانت أديث باجيت .. أظن أنك قلت ان هذا اسمها .. اذا كانت لا تزال محتفظة بوصفة البسكويت بالينسون ، لأننى فقدتها ، وأنا أحب هذا النوع من البسكويت كثيرا .

- أرجو أن تكون محتفظة بها يا سيدتى . وبهذه المناسبة فان أختها تقطن بالبيت المجاور ، وهى متزوجة وزوجها يدعى مستر مونتفورد ، وهو صاحب محل الحلوى بالبلدة . وأختها تأتى لزيارتها مرة كل أسبوع ... وأنا واثقة أن مسز مونتفورد سوف

تنقل لها رسالتك .

- هذه فكرة طيبة . وأشكرك كثيرا .

وعندما خرجت ألقت نظرة الى ساعتها وقالت : - ما زال أمامى خمس دقائق على موعدى مع هذين الشابين الظريفين فى مشرب جنجر كات ، وأرجو ألا يكونا قد سمعا ما يكدرهما فى تلك المصحة .

- ٢ -

كان جايلز وجويندا جالسين فى ركن من المشرب والدفتر الأسود الصغير أمامهما عندما دخلت مس ماربل وانضمت اليهما .

وبعد أن طلبت جويندا لها فنجانا من القهوة وبعض البسكويت ، ناولتها الدفتر الصغير قائلة :- يجب أن تقرئى هذا أولا ثم تتحدث بعد ذلك . ان أبى هو الذى كتب هذه المذكرات أثناء اقامته فى تلك المصحة .

ثم تحولت الى زوجها وقالت : - أوه ، هل لك أن تطلع مس ماربل على ما ذكره لنا الدكتور نبروز .

وأطاعها الشاب على الفور ، وبعد أن فرغ من قصته فتحت مس ماربل الدفتر الصغير وبدأت تقلب صفحاته ثم أطبقته أخيرا . وكان من الصعب معرفة ما يدور فى ذهنها ولكن خيل لجويندا أنها ترى وميضا من الغضب فى عينيها . وقالت المرأة الشابة :

- انك نصحتنا ألا نهتم بهذه المسألة ، ولم نقدر نصيحتك فى ذلك الوقت ، فلم نصغ اليك ، وها أنت ترين ما وصلنا اليه . ولكن يبدو أننا بلغنا الان نقطة أخرى نستطيع أن نتوقف عندها اذا أردنا ، فهل تظنين أنه يجب أن نفعل ؟

هزت مس ماربل رأسها فى بطء ، كانت بادية القلق والحيرة . وأجابت : - لا أدرى . لا أدرى حقا . لعل من الأوفق أن تفعلا ، لأنه ليس هناك ما يمكنكما عمله

بعد هذه المدة الطويلة .. لا شئ بناء على كل حال .

سألها جايلز :

- أظن أنك تقصدين القول أننا لا يمكن أن نكتشف شيئا بعد طول هذا الوقت .

- أوه ، كلا . ليس هذا ما أقصد أن أقول على الاطلاق . ان تسعة عشر عاما ليست مدة طويلة ، فما زال هناك أناس سيتذكرون ويردون على أسئلتك .. أناس كثيرون . وعلى سبيل المثال الخدم . لا ريب أنه كان هناك خادمان فى البيت فى ذلك الوقت على الأقل ، غير المربية والبستانى طبعا . ويكفى أن نتذرع بالصبر ونتحمل المشاق لكى نحملهم على أن يرووا لنا ما يعرفون . وقد اكتشفت واحدة منهم ، وأعنى الطاهية . كنت أقصد على العموم النتيجة العملية التى يمكنكما أن تصلا اليها . وأميل الى الظن أنها لن تكون ايجابية أبدا . ومع ذلك ..

وأمسكت لحظة ثم عادت تقول :- أشعر أن هناك شيئا ، وأعترف أنه قد لا يكون ملموسا تماما .. شيئا يحملنا على المجازفة ، ولكننى لا أستطيع أن أحدد طبيعته بالذات ..

- يخيل لى .

سكت جايلز فجأة . وحولت مس ماربل عينيها اليه وقالت : - ان الرجال قديرون على ترتيب الحقائق بوضوح أكثر . وأنا واثقة يا مستر ريد أنك قد بنيت لنفسك رأيا .

- اننى فكرت فى المسألة طبعا وأظن أنه لا يمكننا الا أن نصل الى نتيجتين . الاولى سبق أن قدمتها وهى أن هيلين هاليداى لم تكن قد ماتت عندما رأتها جوينى طريحة فى البهو ، وانها عادت الى وعيها وهربت مع عشيقها . وهذه النظرية تتفق مع كل الحقائق التى تعرفها . فانها تتماشى مع اقتناع هاليداى الذى يعتقد أنه قتل زوجته ، وكذلك مع رسالة الوداع والثياب المختفية . ولكنها تترك بعض النقاط فى الظلام ، مثال ذلك انها لا تشرح سبب اقتناع هاليداى بأنه خنق هيلين فى غرفة النوم .

ومن ناحية أخرى لا ترد على سؤال يبدو لى مهما وهو : - أين توجد هيلين هاليداى حاليا لاننى أعتقد أنه ليس معقولا ألا نعرف أنباءها طوال هذه المدة . واذا فرضنا أن الرسالتين اللتين تلقاهما الدكتور كيندى حقيقيتان فماذا حدث لها بعد ذلك ؟ ولماذا لم تكتب من جديد ؟ ان علاقاتها طيبة مع أخيها ، وهو نفسه كان شديد التعلق بها . كان فى مقدوره أن يستهجن سلوك أخته ، ولكن ليس هذا بسبب كاف لكيلا ترسل اليه خطابات أخرى . ومن رأيى أن هذه النقطة أزعجت الدكتور كثيرا . لقد تقبل فى ذلك الوقت القصة التى ذكرها لنا : هرب أخته وانهيار زوجها . ولكن كلما مرت السنون دون أن يأتيه نبأ منها ، ومع اصرار هاليداى واعتقاده بأنه خنقها فلا ريب أن الشك قد بدأ يتسرب الى ذهنه ؟ ... واذا كانت قصة كلفن صحيحة ؟ اذا كان قد خنق زوجته كما كان يزعم ؟ .. هذا هو السؤال المزعج الذى ظل يلح عليه ، لا أنباء أخته ، تحت أية صورة ، اذا كانت قد ماتت فى مكان ما بالخارج أفما كانوا يخطرونه ؟ أظن أن هذا هو سبب لهفته عندما رأى الاعلان الذى نشرناه . كان يأمل طبعا أن نقول له ماذا حدث لاخته منذ اختفائها ، وأين توجد فى هذه اللحظة . ومهما يكن فاننى اعتقد أن من الغريب أن يختفى تماما هكذا ، فهذه النقطة وحدها تثير الشك الى حد بعيد .

قالت مس مابل : - اننى أوافقك على ذلك .. وما هى النظرية الأخرى يا مستر ريد ؟

قال جايلز فى بطء : - هى شديدة الغرابة .. ومخيفة بعض الشئ أيضا لأنها تنطوى على نوع من " سوء النية " . وتقوم على أساس أن كلفن هاليداى لم يقتل زوجته ولكنه يعتقد صادقا أنه فعل ذلك .. وهذا ما يظنه الدكتور نبروز .. كان انطباعه الأول أن هاليداى ارتكب الجريمة وأراد لهذا السبب أن يسلم نفسه للبوليس .. ولكنه لم يلبث أن انضم الى رأى كيندى فسلم بأن كلفن كان يشكو من عقدة ثابتة .. ولكن هذا الحل لم يرق له أبدا لرجل له مثل تجاربه مع مثل هؤلاء المرضى ، فقد كان

هاليداى يبدو مختلفا ، وكلما زادت معرفته به كلما ازداد اقتناعا بأنه لا ينتمى الى هذه الفئة التى تقدم على خنق امرأة ، حتى وهو فى ثورة الغضب .. وبهذا قبل نظرية العقدة الثابتة .. ولكن فى ريبة وتردد .. ومعنى هذا فى رأيى أن نظرية واحدة يمكن تطبيقها فى حالة الميجور هاليداى ، وهى أن شخصا آخر دفعه الى الاعتقاد بأنه قتل زوجته ... وبصفة أخرى نصل الآن الى شخص مجهول ولنقل أنه " س " .. واذا نحن درسنا الحقائق بعناية تامة فانه يبدو ان هذه هى النظرية المعقولة على الأقل ، فانه طبقا لأقوال هاليداى نفسه ، يتضح أنه عندما عاد الى البيت دخل الى غرفة الطعام لكى يشرب كأسا كما كان يفعل عادة ، ثم انتقل بعد ذلك الى غرفة الصالون المجاورة ورأى الرسالة على المكتب ، وأصابه دوار ..

أبدت مس ماربل موافقتها فى حين استطرد جايلز يقول : - ولا ريب أنه لم يكن دوارا بسيطا ، وانما دوخة شديدة سببها مخدر وضع فى زجاجة الويسكى ، والبقية واضحة بما فيه الكفاية ، أليس كذلك ؟ .. خنق " س " . هيلين فى البهو ثم نقلها الى غرفتها بالدور الأول وألقاها فوق الفراش ، ودبر لكى تبدو الجريمة غرامية .. وعندما رد كلفن الى صوابه رأى زوجته أمامه .. ولما كانت الغيرة قد عذبت المسكين فانه يعتقد أنه ارتكب جريمته فى لحظة اضطراب فماذا يفعل بعد ذلك .. يمشى على قدميه لكى يمضى الى أخى زوجته ، وهو فى الطرف الآخر من البلدة . وهذا الغياب يسمح لـ"س " . بأن يفرغ من الخطة التى سبق أن أعدها فيدس بعض الثياب فى حقيبة صغيرة وشنطة سفر ينقلهما مع الجثة ... أما ما فعله بالجثة فأعترف بأنه يتجاوز اداركى .

قالت مس ماربل :

- يدهشنى أن أسمع كل هذا منك يا مستر ريد ، لأننى أرى أن هذه المسألة ليست بمثل هذه الصعوبة ، ولكن أرجو أن تستمر .

قال جايلز :

- " من هم الرجال الذين كانوا فى حياتها " . اننى رأيت هذا العنوان فى الصفحة الأولى من احدى الصحف أثناء عودتنا فى القطار . ورأيت ان هذه هى النقطة الأساسية فى مسألتنا هذه لأنه اذا كان هناك رجل مجهول كما نظن حقا فان كل ما نستطيع أن نفترضه عنه هو انه كان يحب المرأة الشابة الى حد الجنون .

قالت جويندا :

- لهذا السبب كان يكره أبى ويتمنى ان يضربه .

- هذا ما وصلنا اليه اذن . اننا نعرف الآن أى نوع من الفتيات كانت هيلين ...

وأمسك جايلز عن الكلام كما لو كان يشمئز من ابداء رأيه وقالت جويندا مكملة : مجنونة بالرجال .

رفعت مس ماربل رأسها فى حدة ولكنها لم تقل شيئا .

- وجميلة جدا . ولكننا لا نملك أى دليل بخصوص الرجال الآخرين ، الذين ربما كانوا فى حياتها ... فمن المحتمل أن هناك عددا كبيرا منهم ، فيما عدا زوجها .

هزت مس ماربل رأسها وقالت :

- هذا قليل الاحتمال . لا تنسيا انها كانت فى ميعة الصبا ، ثم انك ترتكب غلطة صغيرة يا مستر ريد لأننا نعرف من هم الرجال الذين كانوا فى حياتها . هناك ذلك الذى كان يجب أن تتزوجه قبل أن تلتقى بالميجور هاليداى .

- آه ، نعم . إنه المحامى . ما اسمه ؟

- والتر فين .

- هذا صحيح . ولكن لا يمكن أن تحسبيه من بين المشبوهين لأنه كان فى الهند .

- هل أنت متأكد من ذلك ؟ لا تنس انه لم يبق هنا مدة طويلة . وانه عاد لكى يعمل بمكتب أبيه .

صاحت جويندا :

- لعله عاد فى أثر هيلين .

- هذا جائز . ولكننا لا ندرى شيئا .

تأمل جايلز العانس العجوز فى شئ من الفضول وقال :

- كيف اكتشفت كل هذا ؟

ارتسمت ابتسامة على شفتى مس ماربل وقالت :

- اننى ثرثرت قليلا ... فى المتاجر ، وأثناء انتظارى للأوتوبيس . ان السيدات المسنات معروفات بالفضول ، وبهذه الطريقة يمكن جمع ما نشاء من معلومات .

تمتم جايلز فى تفكير :

- والتر فين ... ان هيلين صدته ، ولا ريب انه تكدر لذلك كثيرا . هل تزوج ؟

أجابت مس ماربل :

- كلا . انه يقيم مع أمه . وأنا مدعوة لتناول الشاى معهما فى آخر الأسبوع .

قالت جويندا فجأة :

- هناك رجل آخر سمعنا عنه أيضا . رجل تورطت هيلين معه عند خروجها من المدرسة ... رجل فاسد الأخلاق ، اذا استعملنا تعبير الدكتور كيندى . واننى أتساءل على كل حال لأى سبب كان فاسد الأخلاق .

قال جايلز :

- وهكذا نجد أنفسنا أمام رجلين ... وربما احتفظ كل منهما بضغينة نحو الفتاة التى صدته ... وربما يشكو الأول منهما من قصور عقلى .

قالت جويندا :

- يستطيع الدكتور كيندى أن يفيدنا فى هذه النقطة . ولكن قد يكون من الصعب القاء مثل هذه الأسئلة عليه ... ان أحاول معرفة ما حدث لزوجة أبيه التى أكاد لا

أذكرها شئ معقول ولكن أن أتدخل فى شئون قلبها وعلاقاتها السابقة فان هذا أمر يتطلب بعض التفسيرات ، لأن الاهتمام بشخص لم أعرفه تقريبا ليبدو زائدا عن الحد شيئا ما .

قالت مس ماربل :

- هناك وسائل أخرى للاستعلام مثلا .

وقال جايلز :

- اننا نملك الآن احتمالين على كل حال .

- وأظن انه يمكننا ان نضيف اليهما احتمالا ثالثا . وقد لا يعدو الأمر أكثر من نظرية ولكن تبررها الأحداث .

ونظرت جويندا وزوجها الى العانس العجوز فى شئ من الدهشة ، فى حين استطردت مس ماربل تقول وقد اضطرم وجهها قليلا :

- ليس هذا الا مجرد استنتاج . لقد سافرت هيلين كيندى الى الهند وفى نيتها أن تتزوج والتر فين ، وحتى اذا لم تكن أحبته الى حد الجنون فلا ريب انها كانت تشعر من نحوه بود ما دامت قد هيأت نفسها لكى تقضى بقية حياتها معه . ومع ذلك ، وبمجرد أن وصلت هناك فسخت خطبتها له وأبرقت لأخيها لكى يرسل اليها ثمن تذكرة العودة الى انجلترا ، فلماذا ؟

قال جايلز :

- أظن انها غيرت رأيها .

هزت جويندا كتفيها وقالت :

- طبعا . ونحن نعرف ذلك . ولكن مس ماربل أرادت أن تقول :

- لماذا غيرت رأيها .

- هذا أمر شائع الحدوث مع الفتيات .

قالت مس ماربل موضحة :

- فى ظروف معينة .

اقرها جايلز قائلا :

- طبعا . لاريب ان شيئا قد حدث .

وأسرعت جويندا تقول :

- بكل تأكيد ... رجل آخر .

وتبادلت المرأتان النظر كما لو كانت كل منهما تفهم الأخرى . وأردفت جويندا تقول:- فوق الباخرة التى سافرت بها الى الهند . اللقاء الطارئ ، ثم ضوء القمر على سطح الباخرة ... ولكن لاريب ان الأمر كان متسما بطابع الجدية ... ولم يكن مجرد غزل أثناء رحلة .

تمتمت مس ماربل :

- نعم . أظن انه كان أمرا جديا .

تدخل جايلز فقال :

- اذا كان الأمر كذلك فلماذا لم تتزوج ذلك الرجل ؟

قالت زوجته فى بطء :

- ربما لم تكن تحبه حبا حقيقيا .

ولكنها لم تلبث أن هزت رأسها فى رفق واستدركت قائلة :

- كلا . لو أن الأمر كما أقول لتزوجت فين .. ولكن يا الهى ! ... ما أغبانى ! .. من المؤكد انه كان رجلا متزوجا .

ونظرت الى مس ماربل فى زهو وانتصار فقالت هذه الأخيرة :

- تماما ... هكذا أرى الأمر . وقع كل منهما فى غرام الآخر ولكن الرجل كان متزوجا . وربما كان له أولاد ... وكان شريفا طبعا ، ولم تذهب الأمور الى أبعد من

هذا .

وعادت جويندا تقول :

- ولكن هيلين لم تشأ أن تتزوج والتر فين بعد ذلك . وصممت على العودة الى انجلترا . نعم . ان كل شئ يتطابق تماما ... ثم التقت بأبى على الباخرة التى عادت بها الى هنا .

وأمسكت المرأة الشابة بضع لحظات لكى تفكر ثم أردفت تقول :

- ومن المؤكد انها لم تكن مجنونة بحبه دائما انجذبت اليه . كان كل منهما تعيسا ، ووجد كل منهما عزاءه فى الآخر . وقد حدثها أبى عن أمى ، ولعلها حدثته عن الرجل الآخر .

وأمسكت جويندا الدفتر الصغير وراحت تقلب صفحاته فى نشاط ثم قالت :

- نعم ... هذا أكيد ... من المؤكد انه كان هناك رجل آخر ... اننى أعرف ذلك ، فقد حدثتنى عنه فى غموض ونحن فوق سطح الباخرة .. رجل كانت تحبه ولا تستطيع أن تتزوجه ... نعم ، هو ذلك . كانت هيلين وأبى يشعران انهما متماثلان ، ولابد أنها قالت لنفسها انها قد تستطيع إسعاده . بل لعلها اعتقدت انها ستكون سعيدة معه هى الأخرى فى نهاية الأمر .

وأمسكت مرة أخرى ونظرت الى مس ماربل فقالت هذه الأخيرة فى اقتناع :

- هو ذلك .

أما جايلز فقد احس بشئ من الاستياء وقال :

- ولكنك تتوهمين أشياء كثيرة يا جويندا ، ثم تزعمين فيما بعد انها وقعت حقا .

- ولكنها وقعت يا جايلز ... يجب أن تكون قد وقعت . ولدينا الآن شخص ثالث يمكن أن يكون هو صاحبنا " س " .

- هل تقصدين ؟

- الرجل المتزوج ... اننا لا نعرف من هو ... ربما لا يكون شريفا كما كنا نقول منذ لحظة ، بل لعله كان مجنونا شيئا ما ولاحق هيلين حتى هنا .

- ولكنك قلت لنا منذ لحظة انه كان راحلا الى الهند .

- من غير شك ، ولاحظ اننى لا أؤكد ان صاحبنا المجهول قد عاد ، ولكنه يمثل مع ذلك احتمالا آخر . كنت تريد أن تعرف من هم الرجال الذين كانوا فى حياة هيلين ... حسنا ، لدينا الآن ثلاثة ... والتر فين ، وشاب لا نعرف اسمه ، ورجل متزوج ...

قال جايلز مختتما :

- ولا نعرف هل كان موجودا حقا ؟

- سوف نتحرى هذه النقطة . أليس كذلك يا مس ماربل ؟

- اذا عرفنا كيف نتصرف فلابد أن نكتشف أشياء كثيرة . واليكما الآن مساهمتى فى التحقيق ، ففى خلال حديث لى مع احدى البائعات عرفت ان اديث باجيت ، التى كانت تعمل طاهية فى فيللا سانت كاترين فى الوقت الذى يهمنا ، ما زالت تعيش فى ديلموث . وأظن يا جويندا ان من الطبيعى أن تحاولى مقابلتها فقد يكون فى مقدورها أن تخبرك بالكثير.

صاحت المرأة الشابة :

- هذا رائع ... ولدى فكرة أخرى أنا أيضا ... سأحرر وصية جديدة ... لا تقلق يا جايلز ... سأوصى بثروتى لك كما هى ، ولكن مستر فين هو الذى سيعد الوصية هذه المرة .

- أرجو يا جويندا أن تتوخى الحذر .

- ان اعداد الوصية عمل عادى جدا ، والطريقة التى تصورتها لا بأس بها . اننى أريد أن أرى هذا الرجل يا جايلز . أريد أن أرى كيف هو واذا كان قد استطاع كما أظن...

ولم تكمل عبارتها وانما قالت :

– ان الذى يدهشنى ان ما من أحد آخر قد رد على اعلاننا ... فان اديث باجيت هذه مثلا ...

هزت مس ماربل رأسها وقالت :

– ان الناس فى الريف يفكرون طويلا قبل الاقدام على أية خطوة .

* * *

ليلى كيمبل

وضعت ليلى كيمبل البطاطس فى المقلاه فوق النار ثم نشرت جريدتين فوق مائدة المطبخ وهى تدندن باحدى الأغنيات الشائعة ، وجرت بعينيها على أقرب جريدة اليها وأمسكت عن الغناء فجأة وصاحت تقول :

– جيم ... جيم ... أرأيت هذا ؟

وكان جيم كيمبل يغسل يديه فى الحوض ، وهو رجل متوسط العمر ، متجهم الوجه وقال متذمرا :

– ماذا ؟

– هذا الاعلان الذى فى الجريدة ... " على كل من لديه أنباء عن هيلين هاليداى ، المولودة باسم كيندى أن يتصل بالسادة ريد وهاردى بساوثهامبتنرو " ... لاريب انهم يقصدون مسز هاليداى التى كنت أشتغل عندها فى فيللا سنت كاترين ، فقد استأجرت هى وزوجها الفيلا من مسز فنديزون . وأذكر أن اسمها هيلين ... وانها أخت الدكتور كيندى ، ذلك الذى كان يطلب منى دائما أقتلع الأعشاب الضارة .

ولزمت مس كيمبل الصمت ريثما تقلب البطاطس ؛ فى حين راح جيم كيمبل يجفف يديه . وعادت ليلى كيمبل تقول وهى تنظر الى تاريخ الجريدة .

– انها قديمة طبعا . صدرت منذ أسبوع تقريبا ... أتظن ان هناك نقودا يمكن أن نكتسبها من هذه المسألة يا جيم ؟

زمجر كيمبل ولم ينطق فعادت تقول :

- قد تكون هناك وصية . ولكن انقضت مدة طويلة ... تسعة عشر عاما ... أو ربما عشرون ... وانني أتساءل لماذا يعودون الى هذه المسألة الآن ... هل تظن أن البوليس هو الذى نشر هذا الاعلان يا جيم ؟

- لأى سبب ؟

أجابت فى شئ من الغموض :

- لعمرى ... انك تعرف ما كان يدور فى ذهنى دائما ... وقد رويت لك كل شئ فى ذلك الوقت عندما كنا نخرج معا ، فقد قيل انها هربت مع رجل ، ولكن هذا ما يزعمه الأزواج الذين يتخلصون من زوجاتهم دائما . قلت لك ان فى الأمر جريمة بالتأكيد ... قلت لك هذا ولايدى فى نفس الوقت . ولكن ادى لم تشأ أن تصدق ذلك لأنها لم تكن تتمتع بأى خيال . هل تتذكر الثياب التى زعموا أن سيدتى أخذتها ... حقيبة وشنطة سفر وبعض الثياب . حسنا . ولكنها لم تأخذ ما كان يجب أن تأخذه من ثياب . وقد قلت لها " صدقينى ان السيد هو الذى قتلها ودفنها فى البهو " . ولكنها لم تكن فى القبو ، لأن ليونى المربية السويسرية رأت شيئا من النافذة . لم يكن يجب أن تبرح البيت ولكنها بارحته مع ذلك ورافقتنى الى السينما . فان الطفلة لم تكن تصحو أبدا أثناء الليل ، وسيدتى لم تكن تصعد الى غرفتها أبدا . ولهذا قلت لليونى ان أحدا لن يعرف أنها خرجت معى . ولكن عندما عدنا كان هناك هرج ومرج كبيران . وكان السيد مريضا وراقدا فى الغرفة الصغيرة والطبيب يرعاه . وعندئذألقى الطبيب على بضعة أسئلة عن الثياب . ولم أهتم بالأمر فى ذلك الوقت وخطر لى أنها هربت فعلا مع ذلك الرجل الذى كانت مولعة به ، وأعنى به ذلك الرجل المتزوج . لا أستطيع أن أتذكره . كان اسمه يبدأ بحرف الميم ... أو لعله حرف الراء ... لا أدرى ، ولا ريب اننى بدأت أفقد الذاكرة .

ولم ينطق مستر كيمبل ، واكتفى بأن راح يزمجر . وعادت زوجته تقول :

- سأصفى البطاطس . ولكن سأذهب أولا وأبحث عن جريدة أخرى ، فمن الأوفق أن نحتفظ بهذه الجريدة فمن يدرى ، مهما يكن من أمر فلا يمكن أن يكون البوليس هو الذى نشر هذا الاعلان .. لعلهم بعض المحامين ، واذا صح هذا فقد يكون هناك مبلغ من المال ... انهم لم يذكروا ان هناك مكافأة ، ولكن قد تكون هناك مكافأة على كل حال ... ما رأيك يا جيم ؟

واكتفى جيم بأن زمجر ولم ينطق .

* * *

والتر فين

- ١ -

رفعت جويندا عينيها الى والتر فين ، وكان جالسا أمامها ، فى الناحية الأخرى من المكتب . ورأت فيه رجلا فى الخمسين من عمره ، مرهقا مكدودا ، حلو التقاطيع يبدو كما لو كان لا شأن له . كان من نوع الرجال الذين يصعب على المرء أن يتذكرهم اذا ما التقوا بهم فى الشارع . ولكنه عندما تكلم كان صوته بطيئا ورخيما ، وحدثت المرأة الشابة نفسها فقالت لا ريب أنه محام قدير .

وألقت نظرة حولها فى الغرفة . كانت غرفة جميلة ، مفروشاتها قديمة تنسجم مع صاحبها ، وقد اصطفت لصق جدرانها دواليب خاصة بملفات العملاء .

وكانت للنوافذ مصاريع كبيرة ، الواحها الزجاجية قذرة وتطل على المنور . والبيت نفسه قديم يرجع عهده الى القرن السابع عشر .

وفرغ والتر فين من الكتابة ، ورفع عينيه الى المرأة الشابة الجالسة أمامه وقال :

- هذا واضح جدا يا مسز ريد ... وصية بسيطة جدا . متى تعودين للتوقيع عليها ؟

أجابته جويندا بأنها ليست على عجل ، وأردفت تقول :

- اننا اشترينا بيتا فى ديلموث ... فيللا هيلسايد .

خفض المحامى عينيه الى مذكراته وقال :

- نعم أنك ذكرت لى العنوان .

ولم يكن هناك اى تغيير فى لهجته . وقالت جويندا :

- انه بيت جميل . ونحن نحبه كثيرا .

ابتسم والتر فين وقال :

- حقا ؟ ... هل يقع على شاطئ البحر ؟

- كلا . كان معروفا باسم فيلا سنت كاترين فيما سبق ثم تغير اسمه .

رفع مستر فين نظارته ، وراح يمسح زجاجها بمنديل حريرى صغير وهو يحدق بعينيه فى المكتب وقال :

آه على طريق ليهامبتون ، أليس كذلك ؟

ورفع رأسه . ولاحظت جويندا مرة أخرى ان الناس الذين يتعودون على لبس النظارات يبدون مختلفين جدا اذا ما رفعوها عن أعينهم .. وكانت عينا والتر فين رماديتين وشاحبتين جدا وتبدوان غير واضحتين تماما بما فيهما من حول ظاهر .

وأعاد والتر النظارة الى عينيه وقال فى صوت واضح :

قلت لى انه سبق أن حررت وصية عند زواجك .

نعم ولكننى أوصيت فيها ببعض الهبات لأناس فى نيوزلندة توفوا الآن ، ولهذا رأيت أن أسهل شئ هو أن أحرر وصية جديدة خصوصا اننى نويت انا وزوجى الاقامة فى انجلترا بصفة دائمة .

أتى والتر باشارة تدل على الاستحسان وقال :

- هذا قرار حكيم جدا . حسنا ، أظن أننا سوينا كل شئ يا مسز ريد . هل لك أن تعودى بعد غد ، فى الساعة الحادية عشرة ؟ اذا كان هذا يناسبك .

ونهضت جويندا . وحذا والتر حذوها ثم أسرعت تقول فى عجلة مقصودة :

اننى .. اننى لجأت اليك لأننى أعتقد انك عرفت أمى فيما مضى ...

قال فين بلهجة شابها الاهتمام فجأة :

- حقا . وماذا كان اسمها ؟

- هاليداى ... ميجان هاليداى ... قيل لى انكما كنتما مخطوبين فى وقت من الأوقات .

أحست جويندا بأن قلبها ازدادت خفقاته . كان وجه مستر فين جامدا لا يعبر عن شئ . وقال فى صوت عادى :

- كلا . اننى لم أعرف أمك ابدا يا مسز ريد ، ولكننى كنت مخطوبا فى وقت من الأوقات الى هيلين كيندى ، التى أصبحت فيما بعد الزوجة الثانية لأبيك .

- أوه ، اننى أفهم . وهذا غباء منى ، وقد أسأت الفهم . كنت مخطوبا اذن لهيلين، زوجة أبى . اننى لا أتذكر ذلك طبعا ، فلم أكن الا طفلة عندما فشل الزواج الثانى لأبى . ولكن قيل لى انك كنت مخطوبا لمسز هاليداى فى الهند ، فظننت انهم يتحدثون عن أمى لأن ... لأن أبى تعرف بها هناك .

قال والتر فين :

- ذهبت هيلين كيندى الى الهند لكى تتزوجنى ، ولكنها غيرت رأيها والتقت بأبيك على السفينة التى عادت بها الى انجلترا .

كان قوله هذا مجرد بيان بما حدث ، ومجردا من كل انفعال . وقالت جويندا :

- أرجو المعذرة . هل أثرت أحزانك ؟

ارتسمت على شفتيه احدى ابتساماته النادرة وقال :

- لقد مر على كل هذا تسع عشرة سنة أو ربما عشرون يا مسز ريد . وبعد مثل هذا الوقت لا يكون هناك أى أثر للاحزان أو الأشجان ... اذن فأنت ابنة كلفن . أظن انك لم تنسى ان أباك وهيلين أقاما فترة من الوقت فى ديلموث ؟

- لم أنس ذلك طبعا : - ولهذا السبب بالذات أتيت أنا وزوجى للاقامة هنا . لم

أعد أتذكر أى شئ طبعا . ولكن عندما فكرنا فى اختيار مكان للاستقرار فيه أتيت لالقاء نظرة على ديلوث قبل أى شئ . وقد وجدت البيت جميلا ، واجتذبنى بحيث قررت الاقامة فيه على الفور . وحالفنى الحظ واشتريت نفس البيت الذى أقمت فيه من قبل .

قال والتر فين وهو يبتسم :

- اننى أتذكر ذلك يا مسز ريد ، ولكن أظن انك لا تتذكريننى طبعا اننى حملتك فوق كتفى وأنت صغيرة .

وراحت جويندا تضحك وقالت :

- حقا ؟ أنت صديق قديم اذن . لا أستطيع أن أزعم اننى أتذكرك طبعا لأننى كنت فى الثانية أو الثالثة من عمرى فى ذلك الوقت . ولكن هل أتيت من الهند فى ذلك الوقت لقضاء أجازتك فى انجلترا ؟

- كلا . وانما غادرت الهند نهائيا . مضيت اليها لكى اشتغل بزارعة الشاى ، ولكن لم تناسبنى الحياة هناك ، فقد ولدت لكى أسير على نهج أبى وأغدو محاميا عاديا .. وكنت قد حصلت على الدبلوم قبل رحيلى فعدت الى المكتب الأبوى على الفور . وبقيت فيه حتى اليوم .

وبسط يده الى زائرته وقال :

- حسنا . حيث اننا متعارفان منذ وقت طويل كما يبدو ، فلابد لك أن تأتى فى يوم قريب لتناول الشاى أنت وزوجك . سأقول لأمى ان ترسل اليك بطاقة . وفى انتظار ذلك فليكن موعدنا يوم الخميس المقبل .

غادرت جويندا الغرفة . كان هناك عنكبوت يعشش فى مكان ما من بير السلم ، وكان يبدو فى وسط خيوطه كدويبة صغيرة تافهة ، كما لو كانت بعيدة عن الواقع . لم تكن من تلك العناكب الكبيرة السمينة التى تمسك بالذباب لكى تأكله ، بل كان يبدو

كشبح عنكبوت ، كما كان والتر فين يشبه هو الآخر نوعا من الأشباح .

- ٢ -

كان جايلز ينتظر زوجته على شاطئ البحر وسألها يقول دون أية مقدمات :

- حسنا ؟

أجابت :

- كان قد عاد من الهند فى الوقت الذى يهمنا ، وكان موجودا فى ديلموث . بل انه قال انه حملنى فوق ظهره . ولكنه لم يستطع أن يقتل أحدا . ليس هذا ممكنا فى الواقع ، فانه شديد الهدوء والدعة ورقيق جدا حقا . انه من هؤلاء الرجال الذين لا يتلفت اليهم أحد .. من هؤلاء الرجال الذين يحضرون الحفلات الاجتماعية ولا يدرى أحد متى انصرفوا ، وأظن انه رجل شريف شديد الاخلاص لأمه ويتمتع بعدد كبير من الصفات . ولكن اذا نظرنا اليه من وجهة نظر امرأة فهو كئيب ، وانى أفهم الآن لماذا لم يثر اهتمام هيلين أبدا . انه من هؤلاء الرجال الذين يمكن الاعتماد عليهم فى الزواج ولكن ... لا تحب أية امرأة الزواج بهم .

- يا للمسكين ! ... وأظن انه كان يحبها الى حد الجنون ؟

- أوه ، لا أدرى ... بل أظن ذلك . ومهما يكن فاننى واثقة انه ليس هو قاتلنا الذى نبحث عنه . لا أستطيع أن أتصوره قاتلا ...

* * *

أديث باجيت

كان صالون مسز مونتفورد مريحا ، يشعر الجالس فيه بالاطمئنان والهدوء ، تقوم في وسطه منضدة مستديرة يغطيها مفرش نظيف ، ومقاعد كبيرة على النمط القديم بجوار المدفأة وأريكة كبيرة بسيطة . وفوق المدفأة بعض التحف الجميلة . ولصق الحائط اطار يضم صورة قديمة للأميرتين اليزابيث ومرجريت روز ، وعلى الحائط صورة لأبيهما الملك جورج السادس وهو بثياب أمير البحرية الملكية . وفي مكان آخر صورة لمستر مونتفورد وسط جماعة من أصحاب محلات الحلوى والفطائر . وكانت هناك أشياء أخرى بعيدة عن الأناقة والجمال ولكنها كانت تضفي على ذلك الصالون المتواضع جوا من المرح والهدوء .

ومسز مونتفورد ، وكانت تعرف باسم باجيت قبل الزواج ، امرأة قصيرة القامة ، بدينة الجسم ، ذات شعر أسود وخطه المشيب . أما أختها ، فكانت على العكس منها طويلة القامة نحيفة الجسم لم يتخلل الشيب شعرها الأسود على الرغم من أنها قد بلغت الخمسين .

وكانت أديث باجيت تقول في هذه اللحظة : - من كان يظن ذلك ؟ .. مس جويني الصغيرة ! ... معذرة يا سيدتي إذ أدعوك بهذا الاسم حتى الآن . ولكن من المدهش جدا أن أراك هنا بعد هذه السنوات فما زلت أتخيلك كما كنت عندما كنت تأتين الى المطبخ وأنت طفلة صغيرة وجميلة وتطلبين بعضا من الزبيب .كنت تقولين "عايزه ويني" ولا أدري من أين أتيت بهذه الكلمة التي كنت تشيرين بها الى الزبيب .

نظرت جوينى الى المرأة الجالسة أمامها ، ذات العينين السوداوين والوجنتين المتوردتين . ولكنها لم تتذكر شيئا ... ان الذاكرة شئ غريب حقا . وتمتمت تقول :

- أود لو أستطيع أن أتذكر .

- من المستبعد أن تتذكرى ذلك يا سيدتى ، فانك كنت صغيرة جدا . هل تتذكرين ليونى يا مس جوينى ؟ ... أوه ، أرجو أن تعذرينى مرة أخرة . كان يجب أن أقول مسز ريد .

- ليونى ... أهذا اسم مربيتى ؟

- نعم . كانت قد قدمت من سويسرا ، ولم تكن تجيد الانجليزية . كانت شديدة الحساسية . وكانت تبكى اذا ما قالت لها ليلى شيئا يكدرها . وليلى أبوت كانت تعمل خادمة فى البيت فى ذلك الوقت ، وكانت فتاة وقحة رعناء ، وكانت تلهو معك كثيرا ، وكان يحلو لك أن تختبئ فى السلم .

ارتجفت جويندا رغما عنها .. السلم ! .. وقالت فجأة :- اننى أتذكرها ... أليست هى التى وضعت شريطا حول عنق القط .

- من العجيب انك ما زلت تتذكرين ذلك ... نعم ، انها هى . كنا نحتفل بعيد ميلادك ، وصممت ليلى على أن تضع شريطا حول عنق القط ، ولكن توماس تملكه الغضب وانطلق الى الحديقة كالمجنون وراح يحتك بالأشجار حتى استطاع التخلص من تلك الحلية التى لم ترق له .ان القطط لا تحب هذا النوع من المزاح .

- كان قطا أبيض وأسود ، أليس كذلك ؟

- نعم . وكان شجاعا ، لم يكن له مثيل فى مطاردة الفئران .

وأمسكت مس باجيت لحظة ثم سعلت وقالت : -- أرجو أن تغفرى لى ثرثرتى يا سيدتى . ولكن يخيل لى اننى أعيش الأيام الماضية من جديد . ربما كنت تريدين أن تسألينى شيئا ؟

قالت جويندا : - اننى أحب أن أسمعك تتحدثين عن الماضى . والواقع ان هذا هو كل ما أريد ، فاننى نشأت فى نيوزيلندة ، ولم يتمكن أحد أن يحدثنى عن أبى ولا عن زوجته ... كانت جميلة ، أليس كذلك ؟

- نعم . وكانت تحبك كثيرا . كانت تصحبك الى البلاج وتلعب معك فى الحديقة . وهى نفسها كانت صغيرة جدا . لم تكن أكثر من صبية فى الواقع . وكنت أقول لنفسى دائما انه يسرها أن تمرح وتلهو مثلك تماما . ولا عجب فقد كانت ابنة وحيدة . وكان أخوها الدكتور كيندى يكبرها بكثير .

وكانت مس ماربل جالسة عن كثب ، لصق الحائط ، فسألتها فى صوت رقيق :- انك أقمت فى ديلموث دائما أليس كذلك ؟ .

- نعم يا سيدتى . اننى قضيت طوال حياتى هنا .

- لا ريب انك تعرفين الكثير عن الأهالى اذن .

- هذا صحيح يا سيدتى . لم تكن ديلموث فيما سبق غير بلدة صغيرة على الرغم من انه كان يؤمها مصطافون كثيرون . ولكنهم كانوا أناسا هادئين مسالمين كانوا يعودون كل سنة .

قال جايلز بدوره : - أظن انك كنت تعرفين هيلين كيندى قبل أن تتزوج بالميجور هاليداى .

- كنت قد سمعتها ورأيتها مرارا . ولكننى لم أعرفها حقا الا بعد أن التحقت بخدمتها عقب زواجها .

سألتها مس ماربل : - وهل ... هل كنت تحبينها ؟

التفتت أديث باجيت اليها وقالت : - نعم يا سيدتى . كنت أحبها كثيرا . وعلى الرغم مما كان يقال عنها فقد كانت ظريفة وكريمة جدا معى ، وما كنت أظن أبدا أن تقدم على ما أقدمت عليه . وقد أحزننى ذلك كثيرا ، ولكن كانت هناك شائعات طبعا .

وأمسكت مرة أخرى ، وألقت نظرة الى جويندا كما لو كانت تريد أن تعتذر ، فأسرعت المرأة الشابة تقول :

- اننى أريد أن أعرف . فلا تظنى انك تغضبيننى بما ستقولين . ثم انها لم تكن أمى حقا . ويهمنى أن نجدها ، ، فان أحدا لم يسمع عنها أى شئ منذ أن غادرت ديلموث ، ولا نعرف اذا كانت لا تزال على قيد الحياة . وهناك أسباب الان ...

وترددت فقال جايلز : - أسباب قانونية ، لاننا لا ندرى هل نعتبرها ميتة أو ...

- اننى أفهم ما تعنيه يا سيدى ، فان زوج ابنة عمى ظل مفقودا بعد الحرب ، وصادفتنا مشاكل واجراءات كثيرة ، واذا كان فى مقدورى تقديم مساعدة ما بأية طريقة فانى لن أتردد .

قال جايلز : - جميل منك هذا القول . واذا لم يكن هناك أى مانع فسوف ألقى عليك أول سؤال ... لقد غادرت مسز هاليداى البيت فجأة تماما ، أليس كذلك ؟

- نعم يا سيدى . وكان ذلك صدمة كبيرة لنا جميعا ، وخصوصا للميجور المسكين فقد اعتلت صحته تماما .

- اغفرى لى خشونتى هذه ولكن ... هل لديك فكرة عن الرجل الذى هربت معه ؟

هزت أديث باجيت رأسها وقالت : - كلا . وهذا السؤال بالذات ألقاه على الدكتور كيندى فى ذلك الوقت ولم أستطع الرد عليه ، وكذلك ليلى لم تستطع أن ترد عليه هى الأخرى . أما ليونى فكانت أجنبية ولم تكن تجيد الانجليزية ، وكانت لا تفهم أشياء كثيرة .

- أنت لست متأكدة اذن . ولكن ألا يمكنك التخمين ؟ ان كل هذا ينتمى الان الى ماض بعيد جدا ، ولم تعد هناك أية أهمية حتى اذا أخطأت فى تخمينك . لا ريب انه كانت لديكم بعض الشكوك .

- طبعا . كانت لدينا شكوك ، ولكنها لم تكن بأكثر من شكوك . وفيما يتعلق

بى فاننى لم أر شيئا أبدا ولكن ليلى كانت داهية . وكانت لها نظرية فى هذا الشأن كانت تقول " أقول لك أن ذلك الرجل يحبها . يكفى أن تريه كيف ينظر اليها وهى تقدم له الشاى ... يالزوجته المسكينة . كانت تنظر اليه وشرر الغضب يتطاير من عينيها " .

– ومن كان ... ذلك الرجل ؟

– اننى آسفة ... فقد نسيت اسمه بعد كل هذه المدة . كان اسمه الكابتن اسديل كلا .... بل أظن أنه ايمرى .... ولا هذا أيضا . ولكن يخيل لى أن اسمه يبدأ بحرفى الألف ... وهو اسم مألوف على كل حال . غير اننى لم أفكر فى كل هذا منذ ثمانية عشر عاما ... أقام هو وزوجته فى فندق رويال كلارنس .

– وهل كانا يصطافان ؟

– نعم . ولكن أظن أنهما عرفا مسز هاليداى قبل ذلك ، وكانا يذهبان كثيرا الى الفيللا ، وكانت ليلى تقول انه يحبها .

– ولم يرق هذا الأمر لزوجته طبعا ؟

– كلا . ومع ذلك فاننى لم أصدق فى ذلك الوقت انه كانت بينهما أية علاقة ... بل اننى لا أدرى حتى الان .

قالت جويندا :– أكانا ما يزالان يقيمان فى رويال كلارنس عندما هربت زوجة أبى ؟

– أتذكر أنهما رحلا فى نفس الوقت تقريبا . ربما قبل أن تهرب بيوم أو بعد ذلك بيوم . ولكننى لم أستطع التأكد من ذلك . واذا كانت هناك علاقة بينهما حقا فان كل شئ قد تم فى الكتمان غير اننى مازلت أشك فى ذلك . وانه لما يثير الدهشة ان مسز هاليداى هربت هكذا فجأة . ولكن الناس يزعمون انها كانت متقلبة دائما على الرغم من اننى ، من ناحيتى ، لم ألحظ شيئا من ذلك . ولو اننى صدقت كل الشائعات لما

رضيت ان أرافقهما الى مقاطعة نورفولك .

حدق الضيوف الثلاثة فى أديث باجيت وقد ارتسمت على وجوهم امارات الدهشة الشديدة ، وقال جايلز : - مقاطعة نورفولك ؟ ... هل كانا ينويان الانتقال هناك ؟

- نعم يا سيدى . كانا قد ابتاعا منزلا هناك . وقد أخبرتنى مسز هاليداى بذلك من قبل . قبل تلك الأحداث بنحو ثلاثة أسابيع . كانت قد سألتنى اذا كان يطيب لى أن ارافقها وأجبتها بالايجاب . ولم أكن قد غادرت ديلموث أبدا ، وقد خطر لى أن أغير الجو قليلا .

وعاد جايلز يقول : - لم أسمع أبدا أنهما ابتاعا بيتا فى مقاطعة نورفولك .

- كان يبدو أن مسز هاليداى تريد الاحتفاظ بالأمر سرا ، وقد طلبت منى ألا أطلع أحدا على ذلك . وقد أطعتها طبعا . كانت تريد مغادرة ديلموث منذ وقت طويل . وكانت تلحف على الميجور هاليداى لكى يوافقها على رأيها . ولكن كان يروق له البقاء هنا ، بل أظن أنه كتب لمسز فنديزون يسألها اذا كانت على استعداد لكى تبيع له البيت . ولكن مسز هاليداى اعترضت على ذلك كل الاعتراض ، وكان يبدو أنها تكره ديلموث وتخشى أن يستقر بها المقام فيها نهائيا .

ونطقت أديث بالعبارة الأخيرة فى لهجة طبيعية ، مع ذلك توتر الضيوف الثلاثة عند سماعهم لها . وقال جايلز :

- ألا تظنين أنها كانت تريد الانتقال الى نورفولك لكى تكون على مقربة من ذلك الرجل ؟

فكرت أديث باجيت لحظة وهى بادية القلق ثم قالت : - الحقيقة ياسيدى اننى لا أظن ذلك . ثم اننى أذكر أن ذلك الرجل كان يقيم هو وزوجته فى شمال انجلترا ، فى نورثمبرلاند كما يخيل لى ، ولهذا كانا يأتيان لقضاء الصيف فى الجنوب لاعتدال الجو فيه .

تدخلت جويندا وقالت : قلت لى منذ لحظة أن زوجة أبى كانت تبدو خائفة ، فهل كانت خائفة من شئ أو من رجل ؟ ...

- الآن ، وأنت تسألينني هذا أتذكر ...

ماذا ؟

كانت ليلى تنظف السلم ذات يوم ، وجاءتنى الى المطبخ وقالت لى : " فى الجو غيم " ... كانت لها تعبيرات غريبة ، وقد سألتها ماذا تعنى فقالت ان السيد دخل الصالون من النافذة هو وزوجته ، وان الباب المؤدى الى البهو كان مواربا فسمعتهما يتحدثان ، وقد تحدثت مسز هالبداى الى زوجها قائلة : " اننى خائفة منك " . واتضح لى من أقوال ليلى أن مسز هاليداى كانت شديدة الخوف ، وقد أردفت تقول " اننى أخاف منك منذ وقت طويل ... أريد أن أكون وحدى . اننى خائفة منك وأظن انك اخفتنى طوال الوقت " .

وسكتت أديث باجبت لحظة . وبدا أنها هى نفسها كانت خائفة . وعادت تقول : من العسير طبعا أن أعيد عليكم نفس الكلمات بعد كل هذه المدة . ولكنها كانت هكذا تقريبا . ومهما يكن فان ليلى حملت هذا الحديث محمل الجد ، وهذا هو السبب فى أن ليلى ، وبعد كل الذى حدث ...

وترددت مرة أخرى ثم قالت : " كانت تدور فى رأس ليلى أفكار غريبة ، ولكننى لم أكن أهتم بها كثيرا . كانت تقضى كل أوقات فراغها فى السينما وتروى لنا كل ما تراه فيها من غرائب وعجائب . وفى الليلة التى هربت فيها مسز هاليداى كانت ليلى قد ذهبت الى السينما ، واصطحبت ليونى معها . ولم يكن هذا بعمل طيب منها وقد صارحتها برأيى هذا ولكنها قالت : ليس لهذا أية أهمية ، فاننى لا أترك الطفلة وحدها تماما حيث انك موجودة فى المطبخ .ثم أن السيد لن يلبث أن يعود هو وسيدتى ، والصغيرة لا تصحو أبدا بعد أن تنام ، وقلت لها أن هذا غير صحيح . ولكننى لم أعرف

أن ليونى خرجت هى الأخرى الا فيما بعد . ولو انى عرفت ذلك لصعدت لكى أرى اذا كنت بحاجة الى شئ يا مس جويندا ، لأننى لا يمكننى ، وأنا فى المطبخ ، أن أسمع شيئا مما يدور فى الدور الأول .

واستردت أديث باجيت نفسها قبل أن تستطرد قائلة : كنت أقوم بكى بعض الملابس . وكانت الأمسية تمضى سريعا حين دخل الدكتور كيندى المطبخ فجأة وسألنى أين ليلى . وأجبته بأنها خرجت وأنها ستعود ما بين دقيقة وأخرى . ولم أخطئ . وما كاد يراها حتى أخذها الى غرفة السيدة . كان يريد أن يعرف ماذا أخذت معها من ثياب . وعادت ليلى بعد ذلك الى المطبخ وهى شديدة الاضطراب وقالت : انها هربت... هربت مع رجل آخر ... وقد أصيب السيد بأزمة شديدة ، وما أغباه ! كان يجب أن يتوقع ذلك ... وقلت لها : " لا يجب أن تتكلمى هكذا . كيف تعرفين أنها هربت مع رجل ؟ ربما جاءتها برقية تدعوها لرؤية قريب مريض . فقالت : انها تركت رسالة تقول فيها أنها هربت ، وسألتها : ومع من تظنين انها هربت ؟ " .أجابت : انها لم تهرب طبعا مع مستر فين العبوس على الرغم من أنه يكاد يلتهمها بعينيه .. وسألتها : " أتظنين أنها هربت مع الكابتن ؟ .. أجابت : اننى لأقسم على ذلك ، ما لم تكن قد هربت مع ذلك الرجل الغامض صاحب االسيارة " الأنيقة " .

وسكتت أديث باجيت مرة أخرى قبل أن تسترسل فى قصتها-قائلة : - كان ذلك فى البداية أول الأمر . ولكن بعد قليل ، كنت نائمة عندما هزتنى ليلى فى خشونة وقالت لى : اسمعى . ان هذا غير معقول ... وسألتها عما تعنيه فأجابت : - اننى فحصت ثيابها كما طلب الدكتور منى ... هناك حقيبة صغيرة وشنطة سفر ناقصتان ، وكذلك ما يكفى لملئهما من ثياب ، ولكنها لم تأخذ من الثياب ما ينبغى ان تأخذه منها فقد أخذت الفستان الحريرى الرمادى والفضى ، وتركت الحزام الذى يجب أن تلبسه معه ولم تأخذ السوتيان والجونلة اللذين تلبسهما عادة مع ذلك الفستان ، وكذلك

لم تأخذ أى حذاء من الأحذية التى لا غنى لها عنها ، وانما أخذت الحذاء الرياضى الخفيف ، وأخذت التايير الأخضر مع أنها لم تعد تلبسه أخيرا ، والأكثر من ذلك انها لم تأخذ البلوفر الجميل الذى تحبه كل الحب . ثم انها أساءت اختيار الثياب الداخلية ، فأخذت القديم المستهلك منها وتركت الجديد . افهمى جيدا ما أقوله لك . انها لم تبرح البيت اطلاقا . لقد قتلها زوجها ..

ورمت أديث باجيت جويندا بنظرة يشوبها القلق قبل أن تستطرد قائلة : - وكنت قد استيقظت عندئذ تماما فجلست فى فراشى وسألتها عما تعنيه فأجابت : لقد اكتشف السيد انها تخونه فقتلها ودفنها فى القبو ، وأنت لم تسمعى شيئا لان القبو فى أسفل البيت وبعيد عن المطبخ . ولكنى أؤكد لك أن الأمور وقعت كما أقول ، ثم حشر بعض الثياب فى الحقيبتين لكى يبدو أنها هربت . ولكنها مدفونة فى القبو ، وليست فى أى مكان آخر . صدقينى أنها لم تبرح البيت .. وعنفت ليلى وصارحتها برأيى فيها ، ولكنى مع ذلك أعترف بأننى هبطت فى صباح اليوم التالى الى القبو فوجدته كما هو ، وليس فيه أي أثر للحفر ، وصعدت ، وقلت لليلى أن كل ما ذكرته لى انما هو من بنات أفكارها . ولكنها ظلت على رأيها ولم تتزحزح عنه وقالت : " ان الميجور قتل زوجته . ولا تنس انها كانت تخاف منه ، وقد سمعتها تقول له ذلك . وقاطعتها على الفور وقلت لها أنها مخطئة لأن مسز هاليداى لم تكن تخاطب زوجها فى ذلك اليوم ، لأنك بعد أن ذكرت لى هذه القصة ألقيت نظرة من النافذة فرأيت الميجور يهبط المنحدر ومعه مضارب الجولف . لم يكن هو الذى دخل الصالون من النافذة فى ذلك اليوم ، وانما كان رجلا آخر .

وبدا كأن هذه العبارة الأخيرة راحت تتردد فى جوانب الغرفة بينما أخذ جايلز يقول فى صوت خافت :- كان رجلا آخر .

* * *

عنوان

كان فندق رويال كلارنس أقدم فندق بالبلدة . ولكن على الرغم من قدمه وشيخوخته . فقد كان المصطافون يؤمونه كل عام لقضاء شهر على شاطئ البحر .

وكانت مسز ناراكوت ، موظفة الاستقبال ، في السابعة والأربعين من عمرها ، ذات صدر عامر وكانت تصفف شعرها على الموضة القديمة .. انبسطت أساريرها عندما وقعت عيناها على جايلز وأدركت على الفور أنه من " أكارم الناس " . وذكر لها الشاب بصوته الرقيق المقنع القصة التى جاءها من أجلها ، فقال أنه وقع بينه وبين زوجته جدل كبير تزعم أن جدتها نزلت بفندق رويال كلارنس منذ ثمانية عشر عاما وأنه لا يمكن اثبات ذلك على الاطلاق لان من الواضح أن ادارة الفندق لابد قد تخلصت من سجلاتها القديمة . وانه خالفها فى هذا الرأى قائلا ان فندقا كبيرا كهذا الفندق لابد أن يحتفظ بسجلاته حتى ولو بعد مائة سنة .

وضحكت مسز ناراكوت وقالت : - يا الهى يا مستر ريد .. هذا غير صحيح . فاننا لا نحتفظ بسجلاتنا القديمة ، ولكننا نحتفظ بما ندعوه "كتاب النزلاء " . ونسجل فيه توقيع الشخصيات الشهيرة من كتاب وفنيين .. بل وتوقيعات بعض أفراد الأسر المالكة .

وتصرف جايلز كما يجب فتظاهر بالاهتمام والتقدير بحيث أنها لم تبد صعوبة فى احضار " كتاب النزلاء " . الخاص بالعام المذكور ، وراح يقلب صفحاته الى أن عثر على ما يريد ، وقرأ فى احدى الصفحات ما يلى :

الميجور سيتون ارسكين وزوجته ، قصر أنستيل بمدينة دابث بنورثمبرلاند . من ٢٧

يولية حتى ١٧ أغسطس .

ونظر جايلز الى مسز ناراكوت وقال يستأذنها :

هل أستطيع أن أنقل هذا ؟

- بكل تأكيد يا مستر ريد .

وعندما عاد الى هيلسايد وجد جويندا فى الحديقة ، منحنية فوق بعض الأزهار ، فاعتدلت فى وقفتها ونظرت اليه مستفهمة :

- هل عثرت على شئ ؟

- نعم . أظن هذا هو ما نبحث عنه .

أطلقت المرأة الشابة نظرة على الورقة التى أعطاها لها وتمتمت : - دايث .. نعم . ان اديث قالت أنه تكلم عن نور تمبرلاند فى الواقع . ولكننى أتساءل .. هل ما زال موجودا فى تلك المنطقة ؟

- سوف ننتقل الى هناك ونتأكد من ذلك .

- آه . هذا أفضل الحلول .. متى ؟

- بأسرع ما يمكن .. هل تريدين غدا ؟ .. سنذهب بالسيارة ، وبهذا يمكنك أن تشاهدى ناحية أخرى من انجلترا .

واذا كان قد مات أو انتقل الى مكان آخر ؟

هز جايلز كتفيه وقال : - سنعرف ذلك عندئذ ، ونبحث عن أثر آخر غيره وبهذه المناسبة ، كتبت لكيندى أسأله اذا كان من الممكن أن يأتينا بالخطابين اللذين أرسلتهما هيلين اليه بعد رحيلها ، ونموذج من خطها . ولكن من الجائز طبعا الا يكون قد احتفظ بهما .

- أما أنا فإنى أتمنى أن اهتدى الى أثر الخادمة ليلى ، تلك التى وضعت شريطا حول عنق القط .. اننى أتساءل ماذا حدث لها . يبدو أن أديث لا تعرف عنها شيئا

أبدا ، فهى ليست من أهالى المنطقة ، ثم انها غادرت البلدة بعد الذى حدث فى فيللا سنت كاترين .. وقد راسلت أديث مرة أو مرتين ، وسمعت أديث انها تزوجت ولكنها لا تعرف بمن تزوجت ، ولو أستطيع الاهتداء اليها فانه يمكننا أن نعرف منها الكثير ..

– وليونى .. الممرضة ؟

– ربما . ولكنها أجنبية كما تعلم ، ويبدو أنها لم تفهم الموقف جيدا . وانا لا أتذكرها على الاطلاق . كلا . أظن أن ليلى هى التى ستفيدنا كثيرا ، فهى فتاة ماكرة وكثيرة الدهاء كما قالت أديث . أوه .. سوف ننشر اعلانا لكى نجدها .. كان اسمها ابوت .. ليلى أبوت .

– نعم . انك على حق . يمكننا أن نحاول . وسننتقل غدا الى نور ثمبرلاند بحثا عن الميجور ارسكين على كل حال ..

* * *

الأم والابن

قالت مسز فين تخاطب كلبا ضخما تلمع عيناه بالشراهة والفهم : لزم الهدوء يا هنرى .. خذى كعكة أخرى يا مس ماربل .

- شكرا لك . أنه كعك لذيذ ، ولا ريب أن لديك طاهية ممتازة .

- ان لويز لا بأس بها على الرغم من أنها مهملة كأغلب الخدم . وبهذه المناسبة ، كيف حال دوروتى يارد ؟ .. كانت كثيرة الشكوى من أعصابها .

أسرعت مس ماربل تمدها بما تعانيه صديقتهما المشتركة بسبب صحتها . وخطر لها أنها محظوظة حقا اذ وجدت بين أصدقائها وأقاربها المتفرقين فى أنحاء انجلترا شخصا يعرف مسز فين . وقد تطوع هذا الشخص فكتب لمسز فين ينبئها بوجود العانس العجوز فى ديلموث ويرجوها أن تدعوها لزيارتها ذات يوم ..

كانت اليانور فين امرأة متقدمة فى السن ، مهيبة الطلعة ، ذات عينين سوداوين صلبتين ، وشعر أبيض مجعد ومتوردة الوجه .

وبعد أن فرغتا من صحة دوروتى تحدثتا عن صحة مس ماربل وعن جو ديلموث المنعش ، ثم تشعب بهما الحديث وانتقلتا الى الجيل الجديد وخموله . وقالت مسز فين فى لهجة قاطعة :-

- ان أبناء هذا الجيل يلاقون تدليلا كبيرا وهم من سن الطفولة . أما أنا فلم أدلل أولادى أبدا .

- ان لك أبناء كثيرين ، أليس كذلك ؟

- ثلاثة . الأكبر جيرارد ، فى سنغافورة ، ويشتغل فى مصرف الشرق الأقصى ،

وروبيرت فى الجيش ، وهو متزوج ، وقلما تأتينى أخبارهما . ان الجيل الجديد أنانى جدا .

- وأظن أن أصغر أبنائك لم يتزوج بعد ؟

انبسطت أسارير مسز فين وقالت : - كلا . ان دالتر بقى بالبيت . كانت صحته ضعيفة طوال حياته ، واضطررت أن أشمله برعايتى دائما . سترينه بعد لحظة ، ولا أستطيع أن أصف لك مبلغ اخلاصه لى . أننى أشعر وهو معى بأننى أسعد الأمهات .

- ألم يفكر فى الزواج ؟

- انه يقول دائما انه لا يستطيع الاهتمام بالفتيات العصريات ، وهو لا يشعر بأى ميل اليهن . ان بيننا أشياء كثيرة مشتركة ، منها انه لا يغادر البيت تقريبا . وفى المساء يقرأ لى بضع صفحات من فاكرى ، ثم نشترك معا فى لعب الورق بعد ذلك . انه رجل بيت حقا .

- هذا أمر لا ريب انه يسرك كثيرا . هل بقى هنا دائما ؟ سمعت ان لك ابنا رحل الى الهند للعمل بمزارع الشاى . ولكن لاريب أن هذا النبأ غير صحيح .

قطبت مسز فين حاجبيها . وقدمت كعكة أخرى لمس ماربل ثم قالت : - انه كان شابا فى مقتبل العمر وللشباب نوازعه . ان الواحد منهم يشعر دائما بالرغبة فى رؤية العالم . ويجب أن أعترف انه كانت هناك فتاة وراء كل هذا . ان الفتيات بغيضات أحيانا .

- أوه هذا صحيح . أتذكر أنه ابن أختى ..

ولكن مسز فين أسرعت تقول دون أن تبدى أى اهتمام بابن أخت مس ماربل : - كانت فتاة لا تناسبه أبدا ، كما يحدث غالبا . أوه ، لا أقول أنها كانت ممثلة أو شيئا من هذا القبيل ، والواقع أنها كانت أخت الطبيب ، ثم أنها كانت أصغر منه بكثير بحيث كانت تبدو كما لو كانت ابنته ، لم يكن المسكين يعرف شيئا عن الطريقة التى

لقيت تربيتها بها ، فان الرجال مجردون من ميزة العقل تماما ، أليس كذلك ؟ وقد بدأت حقيقتها تظهر ، وتورطت مع كاتب بسيط فى مكتب زوجى ، وكان شابا فاسد الأخلاق اضطررنا الى أن نطرده . يجب أن يكون كل هذا سرا بيننا طبعا . كانوا يقولون أنها جميلة ، أما أنا فلم أجدها جميلة أبدا . ولكن . ولكن والتر المسكين وقع فى هواها الى حد الجنون ، وكما سبق أن قلت ، لم تكن من ذلك النوع الذى يناسبه أبدا .. لا مال ولا جمال ولا أية آمال . ولكن ماذا تستطيع الأم أن تفعل . طلب والتر يدها غير أنها رفضت . وعندئذ خطرت له تلك الفكرة الخرقاء ، وهى أن يرحل الى الهند لكى يصبح مزارعا . وقال لى زوجى " دعيه يفعل " . وذلك على الرغم مما شعر به من خيبة أمل لأنه كان يريد أن يخلفه والتر فى المكتب . ولكن الأمور تقع على غير ما نشتهى دائما ، وما أكثر الضرر الذى يتسبب فيه هذا النوع من الفتيات .

- هذا صحيح . وقد كان ابن أختى ...

وللمرة الثانية أقصت مسز فين ابن الاخت من الحديث فى غير رفق وقالت : - وهكذا رحل الابن العزيز الى الهند ، وكنت شديدة القلق لأنه صحته ضعيفة لا تحتمل الجو هناك . ولم تمض عليه هناك سنة حتى غيرت تلك الصبية الوقحة رأيها وكتبت له تقول انها مستعدة لكى تتزوجه الان ..

قالت مسز ماربل وهى تهز رأسها : - رباه ! ... رباه ! ..

- وركبت البحر لكى تمضى اليه . ولكن ماذا تظنين قد حدث بعد ذلك ؟

قالت مسز ماربل وهى تنحنى الى الامام وتتظاهر بالاهتمام :

- لا أستطيع أن أخمن .

- انها ارتبطت بعلاقة مع رجل متزوج على نفس الباخرة التى أقلتها الى الهند . رجل متزوج له ثلاثة أولاد كما سمعت . وكان والتر فى انتظارها على الرصيف طبعا . وأول شئ قابلته به هو أن قالت له انها لا تستطيع الزواج به . أليس هذا أمرا فظيعا ؟

- لا شك فى ذلك . ان كل هذا التصرف كان جديرا بأن يحمل ابنك على عدم الثقة بالجنس البشرى .

- كان يجب أن يرى هذه الفتاة على حقيقتها حقا . ولكن هذا النوع من النساء يعرف كيف يتصرف دائما .

سألتها مس ماريل فى شئ من التردد : ولكن ألم يغضبه مسلكها هذا ؟

- ان والتر يعرف كيف يحتفظ بهدوئه دائما مهما بلغ ألمه . انه يعرف كيف يسيطر على مشاعره بحيث لا يبدو عليه شئ أبدا .

تأملت العانس العجوز مسز فين فى شئ من التفكير قبل أن تقول : - ربما يرجع هذا الى أن الأطفال يحتفظون بالاشياء فى أعمق أعماقهم ، ومع ذلك فطالما دهشنا من ردود الفعل عندهم . يحدث أن يثور أحدهم فجأة على غير انتظار ، كما يحدث أن طبيعة شديدة الحساسية لا تستطيع التعبير عما فى نفسها حتى اللحظة التى يطفح فيها الكيل .

- من العجيب أن تقولى هذا .. أتذكر ، كان جيرارد وروبيرت يحتدان ويثوران لاتفه الأسباب . وهذا أمر طبيعى عند أطفال يتمتعون بكامل صحتهم ، وكان هذا العزيز والتر هادئا جدا وصبورا . ولكننى أتذكر الان حادثا بالذات . كان والتر ماهرا بيديه ، وكان قد فرغ من بناء نموذج مصغر لطائرة . ولكن روبيرت تجرأ وأخذ الطائرة وحطمها . ودخلت الى غرفتهما على أثر ذلك واذا بى أرى روبيرت طريحا فوق الأرض ، والتر يمسك فى يده قضيب النار ، وكان قد ضربه به مرة وهم بأن يضربه ثانية واعترف بأننى وجدت مشقة كبيرة فى أن أمنعه من أن يضرب أخاه مرة ثانية . وكان لا ينفك يقول : - انه فعل ذلك عامدا .. عامدا .. سأقتله . وكنت شديدة الفزع ، وأن الأولاد يحسون أحيانا بمشاعر عنيفة .. أليس كذلك ؟

تمتمت مس ماريل فى تفكير : - هذه هى عين الحقيقة .

ثم عادت الى الموضوع الأصلى فقالت : - فسخ خطبته اذن مع .. هذه المدعوة هيلين كيندى نهائيا .. وماذا حدث لها بعد ذلك ؟

- عادت الى انجلترا ، ودبرت أمرها على سطح المركب لكى ترتبط بعلاقة أخرى مع رجل آخر . ولكنها تزوجت ذلك الرجل هذه المرة . وكان أرملا وله طفلة . كان قد فقد زوجته حديثا ، وكما ترين ، كان فريسة سهلة . تزوجته وأقامت معه فى الناحية الاخرى من المدينة ، على مقربة من المستشفى . ولم يدم الزواج طبعا ، فبعد سنة واحدة هجرته لكى تهرب مع رجل آخر ..

قالت مس ماربل وهى تتظاهر بالاستياء : - يا الهى ! .. لقد نجا ابنك بأعجوبة .

- هذا ما أقول دائما .

- وهل هجر عمله كمزارع بسبب صحته ؟

قطبت مسز فين جبينها وقالت : لم تطب له الحياة هناك ، وعاد بعد ستة شهور من عودة الفتاة .

- لو أن المقام استقر بها هنا فى هذه المدينة لكان أمرا مزعجا شيئا ما .

- ان والتر شاب فذ وقد تصرف كما لو أن شيئا لم يحدث اطلاقا . كنت أعتقد ، وقد صارحته بذلك فى ذلك الوقت ، ان من الأصوب أن يقطع علاقته بها لأن الشائعات يمكن أن تضايقهما معا . ولكن والتر أصر على أن تبقى العلاقات بينهما ودية ، فكان يمضى الى فيللا سنت كاترين بطريقة عادية ويلاعب الطفلة .. ومن الغريب أن هذه الطفلة ، بعد أن أصبحت امرأة ، أتت للاقامة هنا هى وزوجها . وقد ذهبت منذ أيام الى المكتب لكى تحرر وصية ، وياِلها من مصادفة عجيبة . انها تدعى الان مسز ريد .

مستر ومسز ريد ؟ ... ولكننى أعرفهما . انهما زوجان ظريفان . وحين يخطر لى أن مسز ريد هى تلك الطفلة التى ..

- نعم . ابنة الزوجة الأولى للميجور هاليداى . يا للرجل المسكين ! انه تحطم تماما عندما هجرته هذه البلهاء . وانه لمن الغريب أن تفلح أسوأ الفتيات فى استمالة الرجال اليهم . هذا سر لا أستطيع أن أفهمه .

- وذلك الشاب الذى تورطت معه ؟ .. ذلك الكاتب الذى كان يشتغل مع زوجك ، ماذا جرى له ؟

- جاكى افليك ؟ .. انه شق طريقه ، وهو يدير الآن شركة للرحلات المنتظمة ، تعرف باسم شركة سيارات دافوديك .. وسياراتها مدهونة باللون الأصفر الفاقع . اننا نعيش حقا فى دنيا كلها خشونة وفظاظة .

- أتقولين ان اسمه افليك ؟

- نعم . وهو رجل وصولى ، مصمم على أن يمضى الى الامام . ولا ريب أنه أراد أن يلقى شباكه على هيلين كيندى لهذا السبب . ومما لاشك فيه أنه خطر له أن ارتباطه بها سيحسن مركزه الاجتماعى نظرا الى أنها أخت الطبيب .

- ألم تعد هيلين هذه الى ديلوث بعد ذلك ؟

- أبدا . والى حيث ألقت حقا . ولا ريب أنها انتهت أسوأ نهاية . واننى حزينة من أجل الدكتور كيندى . ليس الذنب ذنبه طبعا ، فان الزوجة الثانية لابيه كانت امرأة طائشة . ولا ريب أن هيلين ورثت عنها خصالها .

وأمسكت مسز فين لكى تقول : - ها هو والتر .

كانت أذنها كأم قد تبينت بعض الخطوات المألوفة . وفعلا انفتح الباب ودخل والتر فين .

وقامت مسز فين بواجب التعارف ، ثم خاطبت ابنها قائلة : - هل لك أن تدق الجرس لكى تأتيك الخادمة بالشاى ؟

- لا تزعجى نفسك يا أمى ، فقد تناولت الشاى قبل أن آتى .

- ولكننا سنتناوله مرة أخرى كلنا الآن .

وكانت الخادمة قد أتت فى هذه اللحظة بالذات لكى تحمل الاقداح الفارغة فقالت لها مسز فين : - بياتريس .. هل لك أن تأتينا بالشاى مرة ثانية .

- حسنا يا سيدتى ..

جلس والتر فين وقال فى رفق :- ان أمى تدللنى كثيرا .

وكانت العانس العجوز تراقبه وهى تنطق برد عادى .

كان رجلا هادئ المنطق ، وديعا ، لا شأن له ، يفتقر الى الثقة فى نفسه .. كان شخصية مغلقة .. نوع الرجل المخلص الذى لا تبدى المرأة أى اهتمام به .. ولا تتزوجه الا اذا صدها الرجل الذى تحبه .. والتر الموجود دائما . ابن أمه العزيز .. والتر الذى ضرب أخاه بمحرك النار وقال انه يريد أن يقتله .

وفكرت مس ماربل وتلاحقت أسئلة كثيرة الى ذهنها .

* * *

ريتشارد ارسكين

- ١ -

كان قصر انستيل مانور كئيب المنظر ، أبيض اللون يقوم على سفح تل معتم ، ويؤدى اليه طريق معوج يخترق أرضا تغطيها الأعشاب الكثيفة .

وقال جايلز : - لماذا أتينا ؟ .. وماذا نقول ؟

- سبق أن تكلمنا فى هذا .

- نعم . ولكن الى نقطة معينة لحسن الحظ أن ابن خالة مس ماربل يقيم فى المنطقة وسنتخذ ذلك ذريعة لكى نتقدم الى أصحاب القصر ، وان كانت ليست بسبب كاف لكى نستجوب مضيفنا عن حبه القديم .

- هذا فضلا عن أن هذه القصة قديمة جدا ، ومن الجائز أن يكون نسيها تماما .

- هذا جائز . ثم انه ربما لم تكن هناك أية مغامرة غرامية على الاطلاق .

- جايلز .. الا تثير الضحك حقا

- لا أدرى .. يخامرنى هذا الاحساس أحيانا . اننى لا أفهم لماذا نهتم بكل ذلك . ما أهمية كل هذا الآن ؟ ..

- ان مس ماربل والدكتور كيندى نصحانا بالتخلى عن هذه القصة القديمة طبعا ، فلماذا لم نفعل يا جايلز ؟ .. هل هذا بسببها هى ؟

- هى ؟ .. من تعنين ؟

- أعنى هيلين . أتراني اتذكر بسببها هى ؟ هل تكون ذكريات طفولتى هى الرابطة الوحيدة التى تربطنى بحياتها .. وبالحقيقة ؟ .. هل تستخدمنى هيلين .. وتستخدمك

لكى تظهر الحقيقة ؟

- أتقصدين لأنها ماتت مقتولة ؟

- نعم . يقال .. بعض الكتب تقول على كل حال ان القتلى لا يمكن أن يجدوا الراحة فى قبورهم .

- أظن أنك تختلقين الان أوهاما يا عزيزتى جويندا .

- ربما . مهما يكن فما زال أمامنا الخيار ، يمكننا أن نقوم بزيارة ودية .. مجاملة ولسنا بحاجة الى أن نضيف اليها شيئا آخر ، الا اذا كنا نريد ذلك حقا .

هز جايلز رأسه وقال : - يجب أن نستمر . لا يمكننا أن نتوقف الآن ..

- نعم . أظن أنك على صواب . ومع ذلك فاننى أشعر بشئ من الخوف .

* * *

- ٢ -

قال الميجور ارسكين : - أنتما تبحثان عن بيت اذن ؟

وبسط لجويندا طبقا من الشطائر ، وأخذت المرأة الشابة شطيرة وهى ترفع عينيها الى مضيفهما . كان ريتشارد ارسكين قصير القامة ، أبيض الشعر ، له عينان مرهقتان وصوت خفيض رقيق .. لم يكن فيه ما يميزه ، ومع ذلك فان جويندا وجدته جذابا . والواقع انه لم يكن وسيما كوالتر فين ، ولكن فى حين كانت أغلب النساء تمر بهذا الأخير دون أن تلقى اليه أية نظرة فانهن كن يهتممن بارسكين كل الاهتمام . كان فين ضعيف الشخصية فى حين كان ارسكين ، على الرغم من هدوئه العادى قوى الشخصية . كان يتكلم عن الاحداث العادية بطريقة عادية ، ومع ذلك فقد كان فيه شئ . كان فيه ذلك الشئ الذى سرعان ما تكتشفه النساء ويتفاعلن معه بطريقة أنثوية تماما ، دون وعى منهن تقريبا . وأصلحت جويندا جونللتها وأعادت خصلة متمردة من شعرها الى مكانها ، وتحققت من أحمر شفايفها خلسة .. لا عجب ان وقعت هيلين

كيندى فى غرام مثل هذا الرجل منذ ثمانية عشر عاما .

وبينما هى ترفع عينيها ألتقت بعينى مسز راسكين فأضطرم وجهها غلى غير ارادة منها ، كانت مسز ارسكين مع جايلز ، ولكنها كانت تراقب جويندا من طرف خفى ، وكان فى عينيها ظل من الشك . وكانت امرأة طويلة القامة ، ذات صوت خفيض هى الأخرى ، متينة الجسم ، ترتدى تاييرا من التويد له جيوب واسعة وبدت أكبر سنا من زوجها . ولكن جويندا كانت واثقة ان هذا مظهر خادع ، فقد كان فى وجهها شئ من الحيرة وحدثت جويندا نفسها فقالت انها امرأة جائعة ، غيرى وتعيسة . وبينما كانت تتابع حديثها مع الميجور ارسكين كانت تفكر وتقول : - أننى واثقة انها تحيل حياته جحيما .

وكانت تقول لمضيفيهما فى هذه اللحظة : - أن البحث عن بيت فى هذه الأيام شئ صعب جدا ، فأن الأوصاف التى يذكرها لنا السماسرة أوصاف عجيبة ، ولكن عندما نذهب الى المكان المذكور لجد المبنى فظيعا جدا ..

- هل تفكرين فى الاستقرار فى هذه المنطقة ؟

- الحق انه أحد الأماكن التى فكرنا فيها ، فاننى لا أفضل مكانا بالذات ، فأنا من نيوزيلنده ، ولا أقارب لى هنا . وجايلز قضى كل أجازاته عند أقاربه العديدين ولا تربطه رابطة بأى مكان . والشئ الوحيد الذى نصبو اليه هو أن نبتعد عن لندن بقدر المستطاع ، لاننا نعشق الاقامة فى الريف .

ابتسم ارسكين وقال : - ستجدان ريف انجلترا الحقيقى هنا ، والواقع اننا هنا فى عزلة تامة ، فان جيراننا قليلون وبعيدون بعضهم عن البعض .

وخيل لجويندا أنها تتبين فى صوته رنة من الحزن .. أيام الشتاء القصيرة المعتمة بريحها التى تصفر فى المدفأة والابواب المقفلة والستائر المسدلة .. ولا جيران .. وهذه المرأة الغيرى ، الجائعة ، التعيسة .

ثم اختفت الرؤية .. ومن جديد الصيف بنوافذه المفتوحة على الحديقة وأريج الزهور وزقزقة العصافير .

وقالت : - هذا البيت قديم جدا .

- نعم انه يرجع الى عهد الملكة آن ، وهو ملك لأسرتنا منذ ثلاثمائة سنة .

- انه بيت جميل ، ويجب أن تكون فخورا به .

- طبعا . ولكنه ليس فى حالة جيدة لسوء الحظ ، فان الضرائب كثيرة وفادحة بحيث لا نستطيع أن نتعهده كما يجب . ولكن الأولاد الان توظفوا ، وانزاح العبء الأكبر .

- كم ولدا لديك ؟

- اثنان . أحدهما فى الجيش والثانى فرغ من دروسه فى اكسفورد ، وسوف يلتحق باحدى دور النشر الكبيرة .

وحول عينيه الى المدفأة . وتابعت جويندا نظرته فرأت صورة لشابين فى الثامنة عشرة أو التاسعة عشرة من العمر التقطت منذ بضع سنوات بالطبع . وكان فى عينى الاب نظرة حب وزهو كبيرين .

قال : - انهما شابان كريمان ، ولك أن تصدقينى على الرغم من أننى أنا الذى أقول ذلك .

- انهما يبدوان كما تقول حقا .

نظرت جويندا اليه مستفهمة فقال : - أعنى أنهما يستحقان التضحية التى اضطررت اليها من أجلهما .

- أظن أنك اضطررت الى التخلى عن بعض الاشياء أحيانا .

- بل عن أشياء كثيرة .

ومن جديد أحست المرأة فيه حزنا يحاول أن يخفيه . ولكن مسز راسكين تدخلت

فقالت بصوتها القوى :

- هل تبحثين حقا عن البيت فى هذا الجزء من العالم ؟ .. أظن على كل حال انه لا يوجد فى هذه النواحى ما يمكن أن يناسبك .

أسرعت جويندا تقول فى سرها : - وحتى اذا كنت تعرفين مكانا ما أيتها العجوز الساحرة فانك لن تقولى لى ذلك .. ان هذه المرأة الغبية غيرى لاننى أتحدث الى زوجها ولأننى شابة وجذابة

وقال أرسكين :- ان كل شئ متوقف عليكما طبعا ، واذا كنتما على عجل أم لا .

قال جايلز فى لهجة مرحة : - لسنا متعجلين حقا ، فاننا نريد أن نعثر على شئ يروق لنا . اننا نقيم حاليا فى بيت فى ديلوث ، على الساحل الجنوبى .

وقف الميجور ارسكين ومضى لكى يأتى بسجائره من فوق الطاولة بجوار النافذة فى حين قالت مسز ارسكين : ديلموث !

وكان صوتها خاليا من كل تعبير ،ولكنها كانت تنظر الى زوجها فى اهتمام كبير .

وقال جايلز : - انها مدينة صغيرة جميلة . هل تعرفينها ؟

وسادت لحظة صمت ، ثم تكلمت مسز ارسكين فقالت : - اننا قضينا فيها بضعة أسابيع ذات صيف منذ وقت طويل ، ولكننا لم نحب ذلك المكان أبدا فالجو فيه غير جميل .

قالت جويندا : - وهذا رأينا نحن أيضا ، وهذا هو السبب فى اننا ، أنا وزوجى ، نبحث عن مكان آخر .

وعاد ارسكين ومعه سجائره . وقدم الصندوق للمرأة الشابة وهو يقول : - ستجدين الطقس الجميل فى منطقتنا .

ونطق بعبارته هذه فى صوت أجش ، ورفعت جويندا عينيها اليه فى حين كان يقدم لها شعلة عود ثقاب . وسألته فى صوت عادى :

- هل تتذكر ديلموث ؟

عض ارسكين شفته كما لو أحس بألم مفاجئ وقال : - أننى أتذكرها جيدا . اننا أقمنا هناك فى فندق رويال جورج .. أو بالاحرى رويال كلارنس .

انه أقدم فندق فى المدينة ، وبيتنا يقع على مقربة منه ، ويعرف باسم هيلسايد .. وكان معروفا قبل ذلك باسم سنت مارى .. أليس كذلك يا جايلز .

قال زوجها مصححا : - بل سانت كاترين .

وفى هذه المرة لم يكن هناك أى شك فى التغيير الذى طرأ فقد أشاح ارسكين بوجهه فجأة ، فى حين ارتطم الفنجان الذى فى يد زوجته بالصحن فى صوت مسموع .

وأسرعت مسز ارسكين تقول : -

- لعلكما تريدان مشاهدة الحديقة .

- أوه . كما تريدين .

وخرجوا من النافذة الكبيرة . وكانت الحديقة جميلة نظيفة ، ممراتها معبدة والازهار بها . وأدركت جويندا أن الفضل فى ذلك للميجور ارسكين الذى راح يتحدث فى حماس شديد عن الزهور والنباتات ، كانت الحديقة تسليته فى وقت فراغه فعلا .

وبعد بضع لحظات ،بينما كان الزائران ينطلقان بعربتهما ، قال جايلز فى تردد : هل أوقعته ؟

- نعم . بجوار حوض الدلفينيون .

وتأملت جويندا بنصر يدها اليسرى وراحت تدير دبلتها فى شرود .

- واذا لم تجديه ؟

- انه خاتم آخر غير خاتم الخطبة .. فما كنت لأرضى أن يضيع منى هذا الأخير .

قال جايلز : - اننى أتساءل ماذا تفعل صديقتنا العجوز الآن . لا ريب أنها جالسة تحت الشمس مستغرقة فى الأحلام .

- بل أظنها تتطفل وتفتش فى كل مكان . وأرجو ألا تبالغ ذات يوم فى مثل هذه الأمور .

- ان الفضول أمر طبيعى عند كل امرأة مسنة ، ولا يهتم أحد بذلك ، على عكسنا نحن بالذات ، اذا ما حاولنا القاء عدد من الاسئلة خبط عشواء .

واستعاد جايلز وقاره وقال : - ولهذا لا يروق لى أن تذهبى وتستجوبى الناس هكذا . لا أستطيع أن أطيق فكرة البقاء هادئا والانتظار بينما تقومين أنت بالعمل القذر .

لمست جويندا خد زوجها فى رفق وقالت :

- اننى أعرف يا عزيزى . ولكن يجب أن تعترف انه ليس من الكياسة ولا اللياقة أن يستجوب رجل غيره فى شئونه القلبية . ولا يمكن أن يقوم بهذا العمل الا امرأة تكون على قدر ضئيل من الذكاء واللباقة .

- اننى لم أشك فى ذكائك أبدا ولا فى حزقك . ولكن اذا كان ارسكين هو الرجل الذى نبحث عنه ...

قالت جويندا فى تفكير :

- لا أظن انه هو .

- هل تعنين اننا تتبعنا أثرا خاطئا ؟

- ليس تماما ... اننى أعتقد أنه كان متيما بهيلين . ولكنه شاب ظريف يا جايلز، ورقيق جدا ، وليس من ذلك النوع الذى يخنق امرأة .

- دعينى أقول لك انك لم تعاشرى حتى الآن أغرابا كثيرين .

- هذا صحيح . ولكن لى غريزتى كامرأة ، وهى لا تخدعنى .

- أظن ان هذا هو ما تقوله أغلب الضحايا لمثل هذا الرجل . كلا يا جويندا . كفى نواحا وأرجوك أن تتوخى الحذر .

- أعدك بذلك ، ولكننى أرثى حقا لهذا الرجل ومعه مثل هذه المرأة الشرسة . اننى واثقة أنه كان تعيسا جدا فى حياته .

- أعترف بأنها امرأة غريبة الأطوار ، وانها تثير القلق شيئا ما .

- بل انها امرأة كئيبة جدا . هل رأيت كيف كانت تنظر الى وأنا أتحدث الى زوجها ؟

- ارجو أن تفلح الخطة .

***

- ٣ -

وتم تنفيذ الخطة المرسومة فى اليوم التالى .

وأحس جايلز بأنه ، كما قال ، كالمخبر الردئ الذى يتولى قضية طلاق ، فقد أخذ مكانه فى موقع يشرف منه على بوابة قصر انستل مانور . وفى نحو الساعة الحادية عشرة أسرع الى جويندا وأخبرها بأن كل شئ على ما يرام ، فقد خرجت مسز ارسكين فى سيارتها الصغيرة لكى تمضى الى السوق ، فى القرية المجاورة ، وتبعد بنحو ثلاثة أميال ، وأصبح الطريق حرا .

واتجهت جويندا الى القصر على الفور وأوقفت سيارتها أمام البوابة ثم هبطت منها وقرعت الجرس ، وسألتها عن مسز ارسكين ، وقيل لها انها خرجت طبعا ، وعندئذ طلبت الميجور ارسكين . ووجدته فى الحديقة منحنيا فوق أحد أحواض الزهور . واعتدل فى وقفته عندما اقتربت منه ، وابتدرته قائلة :

- اننى آسفة ، ولكن أظن اننى أضعت خاتمى أمس . كان فى أصبعى ونحن نتناول الشاى ، وعندما خرجنا الى الحديقة . وانه ليحزننى ألا أجده لأنه خاتم الخطبة ، وهو كبير على أصبعى قليلا .

وطفقا يبحثان عنه ، وسارت جويندا فى الطريق الذى سارت فيه بالأمس وهى

تحاول أن تتذكر الأماكن التى توقفت فيها والأزهار التى لمستها . وعثرا على الخاتم طبعا بجوار أحد الأحواض ، فى نفس المكان الذى أوقعته فيه بالأمس ، وتظاهرت بالارتياح . وقال يسألها عندئذ :

- هل أستطيع أن أقدم لك كأسا الآن يا مسز ريد ؟ ... بيرة أو ويسكى ... أو لعلك تفضلين فنجانا من القهوة ؟

- لست بحاجة الى شئ ... اننى أشكرك بسيجارة واحدة اذا تكرمت .

وجلست فوق مقعد خشبى . وجلس ارسكين بجوارها ، وراحا يدخنان لحظات فى صمت . وأحست جويندا بقلبها تشتد دقاته . ولكن لم يكن هناك غير طريقة واحدة لبلوغ الهدف . كان يجب أن تقدم على الخطوة التالية دون تردد .

قالت : - أريد أن أسألك شيئا يا ميجور ارسكين ، ولا ريب انك ستحسبنى فضولية . ولكنى أريد أن أعرف ... وأنت بالطبع الشخص الوحيد الذى فى استطاعته اخبارى ، لأننى أعتقد انك أحببت زوجة أبى فى وقت من الأوقات .

أدار ارسكين اليها وجها ارتسمت فيه الدهشة وقال :

- زوجة أبيك ؟

- نعم . هيلين كيندى التى أصبحت بعد ذلك مسز هاليداى .

- أوه ، اننى أفهم .

وبدا ارسكين هادئا جدا ، وراح ينظر الى الحديقة من غير أن يراها ، فى حين راحت سيجارته تحترق فى بطء بين أصابعه . ولكن على الرغم من هدوئه الظاهر أحست جويندا بأنه متوتر وشديد القلق . وتمتم أخيرا يقول كما لو كان يحدث نفسه : "الخطابات على ما أعتقد " .

ولم تنطق جويندا بشئ ، فعاد يقول :

- اننى لم أبعث اليها بخطابات كثيرة ... خطابين أو ثلاثة . وأكدت لى انها

مزقتها ، ولكن النساء لا تمزق الخطابات أبدا ، أليس كذلك ... وقد وقعت بين يديك وتريدين الآن معرفة ...

- أريد أن أعرف عنها المزيد ، فاننى كنت أحبها على الرغم من اننى كنت صغيرة جدا عندما رحلت .

- رحلت ؟

وحدجها ارسكين فى دهشة وصراحة وقال :

- اننى لم أعرف عنها شيئا أبدا ، منذ ذلك الصيف الذى قضيناه فى ديلموث .

- أنت لا تعرف أين هى الآن اذن ؟

- وكيف أعرف ذلك ؟ ... كان ذلك منذ سنوات ... وانتهى كل شئ الآن وطواه النسيان .

- النسيان ؟

وابتسم ارسكين ابتسامة صغيرة كلها حزن ومرارة وقال :

لعلنى لم أنس ... انك شديدة الملاحظة يا مسز ريد . ولكن ، حدثينى عنها ... انها لم تمت ... أليس كذلك ؟

هبت نسمة صغيرة من الهواء مست وجهيهما . وقالت جويندا :

- لا أعرف هل ماتت أم لا . بل حسبتك تستطيع أن تخبرنى بذلك .

هز رأسه فى بطء . وعادت المرأة الشابة تقول :

انها غادرت ديلموث ذات مساء من ذلك الصيف الذى تتكلم عنه ، من غير أن تذكر كلمة لأحد . ولم تعد بعد ذلك أبدا .

- وتظنين أننى ربما أعرف أنباءها ؟

نعم .

لم تأتنى منها كلمة واحدة . ولكن أخاها الطبيب ، الذى يقيم فى ديلموث لابد

يعرف شيئا ... أو لعله مات هو الآخر .

- انه مازال على قيد الحياة ... ولكنه لا يعرف شيئا ، فان الجميع يعتقدون انها هربت ... مع رجل .

حول ارسكين رأسه نحو المرأة الشابة ، وقرأت على وجهه حزنا كبيرا ، وقال :

- خطر لهم انها هربت معى .

- كان هذا احتمالا .

- أوه . لا أظن ان مثل هذا الاحتمال قد وقع أبدا . ولكن ربما كنا من الجنون بحيث تركنا السعادة تفلت منا من غير أن ننتهزها .

سكتت جويندا . ، ونظر ارسكين اليها من جديد وقال :

أظن ان من الأوفق أن أروى لك كل شئ ، لأننى لا أريد أن تسيئى الظن بهيلين أو أن تحكمى عليها حكما خاطئا . التقينا لأول مرة على الباخرة التى أقلتنا معا الى الهند . وكان واحدا من ولدى قد أصيب بالمرض وبقيت زوجتى معه فى انجلترا ، على أن تلحق بى بعد ذلك بسنة . وقد انتقلت هيلين الى الهند لكى تتزوج رجلا يعمل هناك. لم تكن تحبه ولكنه كان صديقا قديما ظريفا ورقيقا . وكانت تتمنى أن تهجر بيتها لأنها لم تكن سعيدة ، وقد أحب كل منا الآخر .

وسكت لحظة ثم عاد يقول فى بطء :

- ولكننى أحب أن تعرفى انها لم تكن مجرد مغامرة عابرة من تلك التى تقع عادة على ظهر الباخرة . كان الأمر أكثر جدية . كان كل منا مشغوفا بالآخر وحائرا ، لا نجد مخرجا ، لأنه كان من المستحيل أن أهجر جانيت والولدين . وقد أدركت هيلين ذلك مثلى تماما . ولو كان الأمر يتعلق بزوجتى فحسب لهان الأمر ، ولكن كان هناك الولدان، ولم يكن هناك أى أمل ، واتفقنا على أن يودع كل منا الآخر وأن نحاول النسيان .

وراح يضحك ضحكة لم يكن فيها أى مرح ، وبدت زائفة :

- النسيان ! ... كلا اننى لم أستطع أن أنسى أبدا ... ولو لحظة واحدة . كانت حياتى جحيما لا يطاق ... لم يسعنى الا أن أفكر فى هيلين ... على أنها لم تتزوج الرجل الذى سعت اليه ، ففى آخر لحظة لم تستطع أن تقدم على ما كانت تريد ، وعادت الى انجلترا . وأثناء رحلة العودة التقت برجل آخر أظن انه أوبك ، وبعد شهرين كتبت الى تخبرنى بما فعلت . كان الميجور هاليداى حزينا بسبب موت زوجته ، وكانت معه طفلتفى الثانية أو الثالثة من عمرها ، وخطر لهيلين انها تستطيع اسعاده وأن تبذل قصارى جهدها فى سبيل ذلك . وجاءتنى رسالتها من ديلموث وبعد نحو ثمانية شهور من ذلك مات أبى ، وعدت للاقامة فى انجلترا بعد أن قدمت استقالتى للجيش ، وخطر لنا أن نأخذ أجازة بضعة أسابيع قبل أن نستقر هنا ، واقترحت زوجتى أن نمضى الى ديلموث ، وكانت احدى صديقاتها قد وصفت لها جمالها وهدوءها . ويمكنك أن تفهمى الاغراء الذى احسست به ... فقد أردت أن أرى الرجل الذى تزوجته .

وسكت سكتة أخرى قصيرة ثم استطرد :

- وأقمنا فى فندق رويال كلارنس ، وكانت هذه غلطة لأننى ما أن رأيت هيلين حتى بدأت أتعذب ... كان يبدو أنها سعيدة ، عموما . لا أدرى ... تحاشت أن تتواجد معى وحدها على كل حال ، ولا أدرى هل كانت لا تزال تحبنى أم لا . ولعلها رضيت بالمقدور . ولكننى أعتقد أن جانيت اشتبهت فى الأمر ، فهى امرأة شديدة الغيرة . وقد كانت كذلك دائما ... غيرى الى حد الجنون .

وتنهد الميجور تنهيدة طويلة ثم قال :

- وهذا كل شئ . ورحلنا عن ديلموث .

قالت جويندا تحدد :

- وكان ذلك يوم ١٧ أغسطس .

- أهذا صحيح ؟ ... جائز . اننى لا أتذكر تماما .

- وكان يوم سبت .

- نعم . هذا صحيح . فاننى أذكر ان زوجتى قالت لى ان الطرقات ستكون مزدحمة فى اليوم التالى ، ولكننى لا أظن أنه كان ...

- أرجوك ... حاول أن تتذكر فى أية لحظة رأيت هيلين لآخر مرة .

ابتسم ارسكين ابتسامة رقيقة متعبة وقال :

- لست بحاجة الى أن أفكر لأن صورة هيلين الآخيرة مازالت محفورة فى مخيلتى. كان ذلك فى مساء اليوم السابق لرحيلنا ... على البلاج . كنت قد مضيت اليه . ولم يكن به أحد . ورافقتها حتى بيتها ، وعبرنا الحديقة .

- كم كانت الساعة ؟

- لا أدرى بالضبط . أظن أنها كانت نحو التاسعة .

- وهل ودع كل منكما الآخر .

- نعم .

- ابتسامة أخرى حزينة ... ثم قال :

- ولكن ليس نوع الوداع الذى تفكرين فيه ، فقد كان القرار مباغتا ووجيزا . واكتفت هيلين بأن قالت : " أرجو أن تذهب الآن . اذهب حالا ، فهذا أفضل " . وسكت فجأة ، فلم يسعنى الا أن أنصرف .

- الى الفندق ؟

- نعم . ولكننى أخذت أتمشى فى الريف أولا دون غاية محددة .

- من الصعب التحديد بعد كل هذه السنين ، ولكننى أعتقد أن هيلين غادرت المدينة فى تلك الليلة بالذات ، ولم تعد بعد ذلك .

- آه . ولما كنت قد غادرت ديلموث فى اليوم التالى . تصور الأهالى انها هربت

معى . ان عقلية الناس جميلة حقا .

- ولكن ، ألم تهرب معك حقا ؟

- يا الهى ! ... كلا . لم نفكر أبدا فى شئ كهذا .

- اذا كان الأمر كذلك ، فلاى سبب تظن انها رحلت ؟

قطب ارسكين حاجبيه وقال :

هذا هو السؤال الذى يجب أن نجد ردا له ... ألم تترك ... أى ايضاح ؟

فكرت جويندا قبل أن تنطق فى قرارة نفسها انه الحقيقة :

- لا أظن انها تركت أية رسالة هل تعتقد أنها هربت مع أى شخص آخر ؟

- كلا ... كلا طبعا .

- يبدو انك متأكد من ذلك تماما .

- نعم . اننى كذلك .

- مرة أخرى ، لماذا هربت اذن ؟

- اذا كانت قد هربت هكذا فجأة فلا أستطيع أن أجد الا تفسيرا واحدا ، وهو انها هربت منى .

- منك انت ؟ ... وكيف ذلك ؟

- لعلها خشيت أن أحاول مقابلتها أو مضايقتها بعد ذلك ، ولا ريب أنها ادركت اننى مازلت مجنونا بها . نعم لا يمكن أن يكون الأمر غير ذلك .

- ولكن هذا لا يفسر عدم عودتها بعد ذلك . قل لى هل حدثتك عن أبى ؟ ... هل حدث أن قالت لك صدفة انها تشعر بالقلق من اجله ... أو انها تخاف منه ... أو أى شئ آخر .

- تخاف منه ؟ ... ولكن لماذا ؟ ... اوه اننى أفهم . تظنين أنه ربما كان غيورا ... هل كان كذلك بطبعه ؟

- لا أدرى ... لم أكن الا طفلة عندما مات .

- نعم . هذا صحيح . فيما يتعلق به ، وجدته طبيعيا ودمث الأخلاق دائما ، ومن ناحية أخرى ، كان متعلقا بهيلين جدا وفخورا بها . كلا . الواقع اننى أنا الذى كنت أغار منه .

- قلت لى منذ لحظة انهما كانا يبدوان سعيدين معا فهل هذا صحيح ؟

- نعم وقد اغتبطت لذلك من أجل هيلين . ولكننى تألمت فى نفس الوقت . كلا . انها لم تحدثنى أبدا . وكما قلت لك لم نكن وحدنا أبدا . ولم نتبادل الاعترافات . ومع ذلك ، واذ أثرت انت الموضوع الآن فاننى اذكر انها كانت تبدو قلقة .

- قلقة ؟

- نعم . وقلت لنفسى انها ربما تشعر بالقلق بسبب زوجتى ... ولكن كان هناك شئ آخر بكل تأكيد .

ورفع ارسكين عينيه نحو وجه المرأة الشابة الجالسة الى جواره وقال :

- هل كانت تخاف حقا من زوجها ، كما قلت أنت منذ لحظة . هل كان يغار عليها من الرجال الآخرين ؟

- يبدو انك لا تعتقد ذلك .

- ان الغيرة احساس غريب . قد تكون مستترة فى بعض الحالات بحيث لايشك فيها احد .

- هناك نقطة أخرى أحب أن أعرفها .

ولكن جويندا أمسكت فجأة وهى تسمع صوت سيارة تقترب من البيت . وقال ارسكين :

- آه ... هذه زوجتى وقد عادت من المدينة .

وفى بضع ثوان تغير وأصبح رجلا آخر . كانت لهجته الآن متصنعة ، وخلا وجهه

من أي تعبير . واضطربت يداه فنمت عن انفعاله .

وأقبلت مسز ارسكين فى خطوات كبيرة ، ونهض زوجها وتقدم للقائها قائلا :

- لقد وقع خاتم مسز ريد فى الحديقة .

قالت المرأة فى صوت جاف :

- حقا ؟

وقالت جويندا وهى تقترب منها :

- صباح الخير . وقع خاتمى منى فعلا ، ولكننى وجدته لحسن الحظ .

- هذا جميل .

- أليس كذلك ؟ اننى حزنت عليه ، ولكن يجب أن انصرف الآن .

ولم تنطق مسز ارسكين . وقال الميجور :

- سأرافقك حتى سيارتك .

وكان قد بدا يجتاز الطرقة خلف جويندا عندما ارتفع صوت زوجته يقول فى حدة :

- ريتشارد ... هناك مكالمة هامة ، وأرجو أن تلتمس مسز ريد العذر لك .

أسرعت المرأة الشابة تقول :

- أوه ، طبعا ... لا بأس . لا تزعج نفسك . أرجوك .

وخرجت ، ودارت بزاوية البيت فى طريقها الى البوابة . ولكنها عندما بلغتها رأت أن مسز ارسكين أوقفت سيارتها بحيث لا تستطيع أن تنطلق هى بسيارتها لحظة ، ثم عادت الى البيت ، وتوقفت على كثب من نافذة الشرفة لأنها سمعت مسز ارسكين تقول فى لهجة غاضبة :

- لا يهمنى ما تقول . لقد كان الأمر مدبرا ... دبرت ذلك معها أمس . طلبت منها أن تعود وأنا فى المدينة . هكذا أنت دائما ... أية فتاة جميلة ... ولكننى لن أطيق ذلك ... هى تسمعنى ؟ لن أطيق ذلك .

ثم سمعت صوت ارسكين يقول فى هدوء وفى يأس تقريبا :

- أحيانا أحسبك مجنونة يا چانيت .

- بل أنت المجنون . لا يمكنك أن تترك النساء فى هدوء .

- تعرفين ان هذا غير صحيح يا جانيت .

- بل صحيح . فقد سبق أن حدث فى المدينة التى جاءت منها هذه المرأة الشقراء... مع زوجة هاليداى .

- ألا يمكن أن تنسى أبدا ؟ ... لماذا تعودين الى هذه المسألة ؟ انك تحتدين ...

- أنت الذى تحطم قلبى ، ولكننى أقول لك اننى لن أطيق ذلك ... تتواعد وتهزأ بى خلف ظهرى .. انك لا تحبنى ولم تحبنى قط . سأنتحر ... سألقى بنفسى من فوق الصخور ... أود لو أن أموت .

- جانيت ... بالله ...

وكان صوت مسز ارسكين قد تهدج وراحت تبكى أحر بكاء .

وعادت جويندا من حيث أتت على طرفى قدميها . ووجدت نفسها أمام البوابة . وفكرت لحظة ثم مضت الى الباب الأمامى للبيت وصاحت :

- هل هناك من يمكن أن يحرك هذه السيارة ؟

وخرجت خادمة ، واذ رأت السيارة التى تعترض الطّريق مضت الى الأسطبل وعادت ومعها رجل حيا جويندا ثم صعد الى الأوستن ، ومضى بها الى الحوش . وصعدت جويندا الى سيارتها وعادت الى الفندق حيث كان جايلز ينتظرها على أحر من الجمر .

وقال :

- انك أخذت وقتا طويلا . هل عرفت شيئا ؟

- نعم . اننى أعرف كل شئ الآن . وانه لأمر مؤثر حقا . كان مفتونا بهيلين .

وروت له الحديث الذى جرى بينها وبين الميجور ارسكين ، واختتمت حديثها قائلة .

- وأظن حقا ان مسز ارسكين مجنونة شيئا ما هذا هو انطابعى عنها تماما . واننى أفهم الآن ماذا كان الميجور يعنى حين تحدث عن الغيرة . وانه لمن الفظاعة الاحساس بمثل هذه المشاعر . ومهما يكن فاننا نعرف الآن ان ارسكين ليس الرجل الذى هرب مع هيلين ، انه لا يدرى شيئا عن اختفائها لأنها كانت على قيد الحياة عندما غادرها فى تلك الليلة .

- انه هو الذى يؤكد ذلك على الأقل .

نظرت جويندا اليه محنقة . وعاد جايلز يقول فى اصرار :

- هذا ما يزعمه هو .

* * *

الخطاب

انتحت مس ماربل فوق الشرفة واقتلعت بعض اللبلاب ، وهى غنيمة هزيلة فى حد ذاتها لان الجذور ما زالت عميقة فى باطن الأرض . ولكنها وجدت بعض العزاء حين خطر لها أن زهور الدلفينيون الجميلة ستجد الآن مصيرا أحسن .

وظهرت مسز كوكر عند نافذة الصالون وقالت :

– معذرة يا سيدتى . ولكن الدكتور كيندى هنا ويريد أن يعرف متى يعود مستر ومسز ريد . وقد أجبته بأننى لا أستطيع أن أعرف وانك أنت ربما تعرفين فهل أدعه يدخل .

– نعم ... من فضلك يا مسز كوكر .

وظهر الدكتور كيندى بعد لحظة . وعرفته مس ماربل بنفسها واستطردت تقول :

– وقد اتفقت مع جويندا على أن آتى أثناء غيابها لاقتلاع الأخشاب الضارة ، واعتقد أن فوستر البستانى يستغل مستر ومسز ريد ، فهو رجل غريب الأطوار ، يأتى مرتين فى الأسبوع ، ويحتسى عددا كبيرا من أقداح الشاى ، ويثرثر بقدر ما يحتسى ، ولا يكاد يعمل شيئا .

أجاب الدكتور كيندى :

– نعم . أنهم جميعا هكذا .

حدجته مس ماربل فى اهتمام . كان أكبر سنا مما تخيلته ، بناء على وصف جويندا له ... شاخ قبل الأوان . وكان يبدو فى نفس الوقت مهموما وتعيسا . وقال وهو يحك ذقنه :

- انهما رحلا اذن ... هل تعرفين متى يعودان ؟

- أوه ، لن يغيبا كثيرا ... فقد ذهبا لزيارة بعض الأصدقاء فى الشمال . ولكن ماذا تريد ... ان الشباب لا يستقر الآن فى مكان واحد . لابد لهم من التنقل باستمرار.

- نعم . هذا صحيح .

وأمسك لحظة ثم عاد يقول فى ارتباك :

- كان مستر ريد قد كتب الى يطلب منى بعض المستندات ... خطابات ...

وتردد مرة أخرى فسألته مس ماربل فى هدوء :

- خطابات أختك ؟

ألقى اليها نظرة حادة ثاقبة وقال :

- اذن فأنت تعرفين ... لاريب انك من أقاربها ؟

- بل مجرد صديقة . وقد نصحتها بقدر ما استطعت .. ولكن الناس لا يسمعون الى النصائح الا فيما ندر . وهذا أمر مؤسف .

سألها الطبيب المسن فى شئ من الحيرة :

- وبماذا نصحتهما ؟

- بأن يتخليا عن هذه المسأله

جلس كيندى فوق مقعد مريح وقال :

- لم تكن نصيحة سيئة . اننى أحب جوينى كثيرا ، فقد كانت فيما سبق طفلة جميلة ، وأصبحت الآن امرأة فاتنة ، ولا أريد أن تقع لها أية متاعب .

وتنهد ثم عاد يقول :

- وقد كتب لى مستر ريد يسألنى ان كنت أستطيع أن آتيه بالخطابين اللذين أرسلتهما هيلين الى بعد رحيلها ونموذج من خطها .

ورفع عينيه نحو العانس العجوز وقال :

– لاريب انك تفهمين المعنى من هذا طبعا .

– نعم .

– انهما يظنان أن كلفن لم يقل الحقيقة عندما زعم أنه خنق زوجته ، ويعتقدان أن الخطابين اللذين تلقيتهما لم تكتبهما هيلين ، وأنهما خطابان مزيفان . وبناء على ذلك فهما مقتنعان بأنها لم تبرح البيت .

سألته مس ماربل فى رفق :

– وهل أنت مقتنع الآن تماما بما حدث ؟

أجابها الطبيب وعيناه شاردتان :

– كنت مقتنعا فى ذلك الوقت . فقد بدا الأمر واضحا . وظننت أن كل ذلك انما هى أوهام تسلطت على كلفن . فلم تكن هناك جثة ، ثم أن بعض الثياب اختفت ... فماذا كنت أستطيع أن أفعل غير ذلك .

سألت مس ماربل فى صوت خافت وقالت :

– وكانت أختك فى ذلك الوقت تشعر بميل الى رجل آخر . أليس كذلك ؟

ورفع الدكتور كيندى عينيه الى مس ماربل ... عينان تنطقان بالحزن وقال :

– اننى كنت أعبد أختى . ولكن أظن اننى يجب أن أعترف بأنها كانت تميل دائما الى الرجال ... وبعض النساء هكذا ... ولا حيلة لهن فى ذلك .

– بدا لك الأمر فى ذلك الوقت واضحا اذن ولكنه لم يعد كذلك الآن . فلماذا ؟

أجاب كيندى فى صراحة :

– لأنه ليس من المعقول أن تبقى هيلين على قيد الحياة حتى اليوم ولا تكتب لى . هذا من ناحية . ومن ناحية أخرى ، اذا كانت قد ماتت فى بلد ما فان من الغريب أن لا أعرف ذلك . وهذا هو السبب .

ونهض وأخرج من جيبه مظروفا وقال :

- هذا كل ما وجدت . ولاريب اننى اتلفت الخطاب الأول الذى جاءنى من هيلين لأننى لم أجده . ولكننى احتفظت بالخطاب التالى الذى قالت فيه ان عنوانها بشباك البريد . واتيت كذلك بالنموذج الوحيد من خطها الذى استطعت العثور عليه ، وهو عبارة عن بيان ببعض الاصناف التى كانت تنوى شراءها . ويبدو لى ان الخط مشابه لخط الخطاب ، ولكننى لست خبيرا بالطبع . سأترك لك كل هذا . وأرجو أن تتكرمى بتسليمه لجايلز وجويندا عندما يعودان . أظن أنه لا داعى لأن ارسلهما اليهما .

- أوه ، كلا . أظن انهما سيعودان غدا على الاكثر .

هز الدكتور رأسه ، وراح ينظر الى الشرفة فى شرود ثم قال فجأة :

- هل تعرفين ماذا يزعجنى ؟ اذا كان كلفن قد قتل زوجته . فلا ريب أنه أخفى الجثة أو تخلص منها بطريقة ما . ومعنى هذا أن القصة التى ذكرها لى كان قد أعدها مسبقا اعدادا دقيقا ، أى أنه سبق ان أخفى حقيبتين ملأهما بالثياب لكى يحمل الناس على الاعتقاد بأنها هربت وانه دبّر أمره كى تأتينى بعض الخطابات من الخارج . والواقع ان هذا معناه انه كانت هناك جريمة قتل مدبرة تدبيرا محكما وارتكبت عمدا . واننى أفكر من جديد فى جوينى ، فقد كانت طفلة ظريفة ، وانه لمن المؤسف ان يكون أبوها مجنونا ولكن أفظع ما هناك أن يكون أبوها قاتلا .

وتحول الى النافذة الكبيرة ، واجفل حين سمع مس ماربل تسأله فجأة :

- دكتور كيندى ... ممن كانت أختك تخاف ؟

التفت اليها ونظر اليها مشدوها وقال :

- تخاف ؟ ... لم تكن تخاف من أحد .

- كنت أتساءل ... أرجو المعذرة اذا كانت أسئلتى متطفلة .. ولكن ، كان هناك شاب ... أليس كذلك ؟ ... أعنى تلك المغامرة التى وقعت فيها عقب مغادرتها

المدرسة الثانوية ... أظن انه كان يدعى أفليك .

- أوه . هل تتكلمين عن هذه المسألة ؟ ... لقد كانت مجرد غزل بسيط ، كذلك الذى تتعرض له كل فتاة ، كان جاكى أفليك شابا سئ الخلق ، لا ينتمى الى وسط هيلين أبدا . ولكن وقعت له بعد ذلك بعض المشاكل ، وغادر البلد .

- اننى تساءلت ... ألا يمكن أن يكون قد أراد أن ينتقم ؟

ابتسم كيندى ابتسامة شك وقال :

- لا أعتقد أن عواطفه كانت عميقة الى هذا الحد . ومهما يكن ، وكما قلت لك ، فقد غادر البلد .

- أى نوع من المشاكل كانت ؟

- أوه ... ليست اجرامية أبدا ... انه أفشى بعض الأسرار الخاصة بمخدومه .

- وكان مخدومه مستر فين ، أليس كذلك ؟

قال كيندى وقد ازدادت دهشته :

- نعم ، هذا صحيح . الآن ، وقد أثرت أنت ذلك الموضوع أتذكر فعلا انه كان يعمل فى مكتب فين . كان مجرد كاتب بسيط .

كاتب بسيط ؟ ... القت مس ماربل هذا السؤال على نفسها وهى تنحنى تحت اللبلاب بعد انصراف الطبيب .

* * *

مستر كيمبل

تمتمت مسز كيمبل تقول :

- عجبا ! .. ما معنى هذا ؟

قدم زوجها قدحه اليها وهو يقول :

- فيم تفكرين يا ليلى ... انك نسيت السكر .

أصلحت مسز كيمبل غلطتها وعادت الى الموضع الذى يشغلها فقالت :

- اننى أفكر فى هذا الاعلان . " ليلى أبوت " . التى كانت تعمل فى فيللا سنت كاترين بديلموث " . ان هذا واضح جدا ... انهم يقصدوننى أنا

زمجر مستر كيمبل قائلا :

- آه !

- انه لأمر غريب هذه المرة ... ماذا أفعل يا جيم ؟

- لاشئ ... لا تردى على هذا الاعلان .

- واذا كانت هناك نقود ؟

رشف مستر كيمبل بضع رشفات من الشاى وقال :

- انك رويت لى فيما سبق أشياء كثيرة عما حدث ، ولكننى لم أهتم بها ، وكنت أعتبر كل هذا نوعا من اللغط والثرثرة . ولكن ربما كنت مخطئا ان الأمر فى هذه المسألة بالذات من اختصاص البوليس ولا شأن لك أنت به . لا داعى لتدخلك ثم ان كل هذا قد مضى ، فدعى كل ذلك يا بنيتى .

- لا بأس بما تقول . ولكن ربما كانت هناك وصية ، وربما كان هناك مبلغ من المال لى . لعل مسز هاليداى لا تزال على قيد الحياة . واذا كانت قد ماتت أخيرا فلعلها

أوصت لى بشئ .

– هل تهزلين ؟ ... ولماذا توصى لك بأى شئ ؟

– لو ان البوليس هو الذى نشر هذا الاعلان فأنت تعرف انهم يمنحون مكافأة كبيرة لكل من يدلى اليهم بمعلومات مفيدة عن جرائم القتل .

– وماذا يمكنك أن تفعلى . ان كل ما تشغلين به ذهنك ليس الا مجرد أوهام .

– أنت الذى تقول ذلك ، ولكن هذه هى الحقيقة ، فمنذ أن قرأت الاعلان الأول وأنا أقول لنفسى اننى ربما لم أر الأمور كما كان يجب ، فان ليونى كانت غبية مثلها ، وهى فى ذلك كجميع الأجنبيات ... لم تكن تفهم ما يقال لها تماما . وكانت لا تعرف الانجليزية جيدا . لنفرض الآن اننى لم أفهم ما حاولت أن تخبرنى به ... اننى حاولت أن أتذكر اسم هذا الرجل لأنه هو الذى رأته ...

أبعد مستر كيمبل قدحه بعيدا عنه وقال :

– دعى كل هذا يا بنيتى ، والا فسوف تندمين .

ومضى الى مؤخرة المطبخ ، ولبس حذاءه وخرج دون أن يزيد .

ولبثت ليلى مكانها وقتا طويلا وقد غرقت فى أفكارها لم تكن تستطيع طبعا أن تعمل ضد ارادة زوجها ، ولكن مع ذلك ... ان جيم رجل عامى ضيق الأفق ... تمنت لو أن تسأل أحدا النصح ... شخصا يمكن أن يحدثها عن المكافأة التى يمكن أن يقدمها البوليس ... انها لخسارة كبيرة أن تترك هذه الفرصة تفلت من بين يديها .

وراحت تتابع حلمها .. ما الذى رأته ليونى فيما سبق ؟

وأخيرا خطرت لها فكرة ، فنهضت وجاءت بورقة وقلم وهى تقول :

– اننى لا أعرف ماذا أفعل . سأكتب الى الدكتور . أخى مسز هاليداى . وسيقول لى هو ما يجب أن أفعل ، هذا اذا كان لا يزال على قيد الحياة ... ومهما يكن فيجب أن أبرئ ضميرى ، لأننى لم أحدثه عن ليونى فى ذلك الوقت ، ولا عن السيارة .

وراحت تجرى بالقلم على الورقة . اذ فرغت من رسالتها وضعتها فى ظرف والصقته بعناية ، ولكنها لم تشعر مع ذلك بالارتياح الذى كانت تصبو اليه ، فقد كانت هناك تسع فرص من عشر فى أن يكون الطبيب قد مات أو أن يكون قد غادر ديلموث .

فهل هناك شخص غيره ؟

ولكن ما اسم ذلك الرجل ؟ ... لو تستطيع أن تتذكر .

* * *

هيلين

كان جايلز وجويندا قد فرغا من تناول طعام الافطار فى صباح اليوم التالى عندما جاءتهما مسز كوكر تخبرهما بقدوم مس ماربل .

وأسرعت هذه الأخيرة تعتذر قائلة :

- أعلم ان زيارتى هذه مبكرة جدا ، وأنا لا أحب ازعاج الناس فى مثل هذه الساعة من الصباح عادة ، بيد أن هناك شيئا أريد أن أخبركما به .

قال جايلز وهو يقدم لها مقعدا :

- يسرنا أن نراك فى أى وقت . هل لك فى فنجان من القهوة ؟

- كلا . شكرا . اننى تناولت افطارى وشربت القهوة ... لقد جئت أمس لاقتلاع الأعشاب الضارة .

قالت جويندا :

- هذه مكرمة كبيرة منك حقا .

واستطردت مس ماربل تقول :

- وقد بدا لى أن يومين فى الأسبوع لا يكفيان لصيانة الحديقة ، ثم اننى أعتقد أن فوستر يستغلكما ، فهو يكثر من الشراب ومن الثرثرة ، ولا يعمل كما يجب . ولما كان لا يستطيع أن يعمل يوما ثالثا فى الأسبوع ، فقد رأيت أن أرتبط ببستانى آخر سوف يأتى كل أربعاء .

تأمل جايلز العانس العجوز فى شئ من الدهشة . لاريب أنها كانت حسنة النية الى حد بعيد ، ومع ذلك فان مبادرتها هذه ، ان دلت على شئ فانما تدل على وقاحة كبيرة ليست من صفاتها . وقال :

- اننى أعرف ان فوستر مسن جدا بحيث لا يستطيع أن ينتج عملا ذا قيمة .

- ولكن مانتج أكبر منه سنا لأنه قال لى انه فى الخامسة والسبعين ، ولكن خيل لى اننا اذا استخدمناه بعضا من الوقت يمكن أن نستفيد حيث انه عمل فترة سابقة عند الدكتور كيندى . وبهذه المناسبة عرفت أن الشاب الذى وقعت بينه وبين هيلين تلك المغامرة يدعى أفليك .

- مس ماربل ... اننى افتريت عليك بينى وبين نفسى . انك بارعة . هل تعرفين ان كنيدى جاءنى بخطاب من هيلين ونموذج من خطها .

- أعرف ذلك ، فقد كنت هنا عندما جاء أمس .

- اننى حصلت على عنوان خبير ممتاز ، وسأرسل اليه المستندات اليوم .

وقالت جويندا :

- ما رأيكما فى أن نذهب الى الحديقة لكى نتعرف بمانتج ؟

كان مانتج مسنا محدودب الظهر ، عبوس الوجه تنطق عيناه بالخبث والمكر . وكان يجمع بمجزفته الأوراق الميتة من الممرات . وما أن رأى القوم قادمين اليه حتى ازداد حماسا ونشاطا وقال :

صباح الخير يا سيدتى ... صباح الخير ياسيدى . قالت لى السيدة انكما بحاجة الى من يرعى الحديقة كل يوم اربعاء ، ولهذا أتيت ... ان الحديقة مهملة الى حد فظيع.

- ذلك انها بقيت سنوات طويلة دون صيانة أو رعاية .

- هذا صحيح . ولكنها كانت فى عهد مسز فنديزون جوهرة حقا ... كانت تحب حديقتها كثيرا .

استند جايلز بظهره على أحد الأحواض ، فى حين راحت جويندا تجمع بعض الزهور وانحنت مس ماربل لكى تقتلع بعض الأعشاب الضارة ، ولهذا تهيأ الجو للحديث عن

الفلاحة والبستنة . وقال جايلز :

– أظن انك تعرف أكثر الحدائق الموجودة فى البلد .

– نعم . اننى أعرف البلد جيدا ، كما أعرف الناس وعاداتهم . فمسز بولس مثلا ... اقامت سياجا من أشجار الطقوس بدا أشبه بالسنجاب . أما الكولونيل لامبارد فقد كان مجنونا بأشجار البفونية .

– هل اشتغلت عند الدكتور كيندى ؟

– نعم . ولكن كان ذلك منذ وقت طويل ... ما يقرب من عشرين سنة . انه اعتزل العمل وغادر البلد ، وقد حل الدكتور برنت مكانه .

– لابد انك تتذكر مس هيلين أخت الطبيب .

– طبعا . كانت فتاة جميلة ذات شعر طويل أشقر جاءت للاقامة هنا ، فى هذا البيت بالذات ، بعد زواجها .

وكان معروفا باسم سنت كاترين فى ذلك الوقت . كانت قد تزوجت بضابط انجليزى عائد من الهند .

– نعم . اننا نعرف ذلك .

– آه . هذا صحيح . وقد سمعتهم يقولون فى الحانة منذ أيام انكما من أقاربهما . كانت مس هيلين جميلة ، وكانت مرحة جدا عندما غادرت المدرسة . وكانت تحب الخروج والذهاب الى كل مكان ، وتحب الرقص والتنس ، بحيث رأى الدكتور أن يعيد أرض التنس ويمهدها لأنها ظلت مهجورة لا تستخدم أكثر من عشرين سنة ، ونمت الأعشاب فيها فى كل مكان . وقد أقتلعتها أنا وسويت الأرض ، وأعدت رسم الخطوط البضاء ، وكل شئ . كان عملا شاقا ، ومع ذلك فان مس هيلين لم تلعب التنس بعد ذلك ، وطالما خطر لى أن الأمر غريب .

– لماذا ؟

- ذلك الحادث الذى وقع لشبكة التنس ، فقد تسلل أحدهم ليلا ومزق الشبكة شر ممزق ، وهذا العمل يدل على أن الذى فعل ذلك رجل شرير .

- ومن الذى فعل ذلك ؟

- هذا ما حاول الدكتور معرفته . وكان غاضبا جدا . وله العذر فى ذلك ، خاصة وانه كان قد دفع ثمن الشبكة لتوه . وقال انه لن يشترى شبكة أخرى لأن الذى مزق الشبكة الأولى كفيل بأن يمزق غيرها . كانت الفتاة المسكينة سيئة الحظ حقا ... أولا الشبكة ، ثم قدمها المريضة .

قالت جويندا :

- قدمها المريضة ؟

- نعم ، فقد وقعت فوق مجرفة ، ولكن بدا الجرح كأنه لا يريد أن يلتئم . وكان الدكتور شديد القلق ، فقد عنى بالجرح كل العناية ولكنه استفحل على الرغم من ذلك، وأتذكر انه كلن يقول " هذا غريب ! ... لاريب أن هذه المجرفة كانت بها بعض الجراثيم ، وكان لابد للفتاة المسكينة أن تلزم البيت بعد ذلك لأنه لم يكن فى استطاعتها أن تخرج لكى ترقص . كان الحظ السيئ يلاحقها حقا .

سأله جايلز :

- هل تذكر شابا يدعى أفليك ؟

- هل تعنى جاكى أفليك ؟ ... انه كان يعمل فى مكتب المحامى فين .

- نعم . ألم يكن صديقا لمس هيلين ؟

- ابدا ... كانت قصة صبيانية ، وقد تدخل الطبيب ، وحسنا فعل ، لأن الشاب لم يكن من مستوى الآنسة . كان من هؤلاء الشبان الوقحين الذين يلعبون بالنار ويظلون يلعبون بها حتى تحرقهم . وقد هرب من هنا ... الى حيث ألقت ... لأن البلدة ليست بحاجة الى من هم على شاكلته ... من الأوفق أن ينصبوا أحابيلهم فى مكان

آخر .

- هل كان لا يزال موجودا هنا عندما تمزقت شبكة التنس ؟

- آه . أرى ما يجول فى ذهنك يا سيدى . ولكن ما كان فى استطاعته أن يقدم على عمل كهذا ، فقد كان أذكى من ذلك بكثير . ان الذى مزق الشبكة انما مزقها بدافع الحقد .

- هل كان هناك من يحقد على مس هيلين ؟

كتمماننج ضحكة وقال :

- هناك نساء كثيرات كان فى امكانهن أن يحقدن عليها ... لأنها كانت أجمل منهن بكثير ... أما الشبكة فان الذى مزقها متشرد دون أى شك .

سألته جويندا :

- هل تكدرت مس هيلين من هذه القصة مع جاكى أفليك ؟

- أظن انها كانت تعلق أهمية كبيرة على أولئك الشباب ، فقد كانت تحب الخروج واللهو . وهذا كل شئ . ومع ذلك فقد كان هناك من يعجب بها كثيرا ... الشاب والتر مثلا ... كان يتبعها فى كل مكان كالكلب الأمين .

- ولكنها لم تكن تهتم به ، أليس كذلك ؟

- كانت تستخف به ، بحيث أضطر الى الرحيل الى الخارج . ولكنه لم يبق وقتا طويلا . انه هو الذى يتولى شئون المكتب الآن . ولم يتزوج حتى اليوم . ولست ألومه على ذلك ، فان النساء تسبب الكثير من المشاكل للرجال .

سألته جويندا :

- هل أنت متزوج ؟

أجاب العجوز دون أى انزعاج :

- اننى دفنت اثنتين ، ولست آسف على ذلك حقا ، فاننى أستطيع الآن على الأقل

أن أدفن غليونى فى هدوء حيث أريد أن أحتسى كأسى متى أشاء
وسكت وأمسك بالمجرفة .

وتركه جايلز وجويندا وعادا الى البيت . وتخلت مس ماربل عن اقتلاع الأعشاب الضارة فجأة وتبعت صديقتها .

وقالت جويندا فى شئ من الضيق :

- أراك منزعجة ، فما الخبر ؟

- لا شئ يا بنتى ... ولكن تمزيق الشبكة لا يروق لى .

نظر جايلز اليها فى دهشة وقال :

- اننى لا أفهم .

- حقا ؟ ومع ذلك فان الأمر شديد الوضوح . ولكن لعل من الأوفق ألا تفهم ، فقد أكون مخطئة . قل لى ، ماذا فعلتما فى نور ثمبرلاند ؟

أطلعها الشاب على ما حدث بالتفصيل وأصغت مس ماربل اليها دون أن تقاطعهما . واختتمت جويندا حديثها قائلة :

- ومن هذا يتضح أن الميجور ارسكين لا يمكن أن يكون الجانى ومازلت أعتقد أن مستر فين بعيد هو الآخر عن هذه المسألة

قال جايلز :

- يبدو أن كلا من والتر فين والميجور ارسكين بعيد عن كل شبهة ، ولكن جريمة القتل يقدم عليها أبعد الناس عن الشكوك والشبهات فى أغلب الأحيان .

قالت مس ماربل :

- ان النقطة الآن هى أن كلا من هذين الرجلين كان موجودا فى الانحاء . كان فين فى ديلموث دون أى شك واتضح من أقوال ارسكين أنه كان برفقة هيلين هاليداى قبل اختفائها بقليل . وأنه لم يعد الى فندقه مباشرة بعد أن ودعها

وسكتت مس ماربل لحظة قبل أن تقول :

- لا أظن أنكما ستجدان مشقة فى العثور على عنوان جاكى أفليك نظرا الى أنه صاحب شركة سيارات دافوديل .

قال جايلز :

- سوف أهتم بأمره . سأجده فى دليل التليفونات هل تظنين اننا ينبغى أن نراه ؟

لزمت مس ماربل الصمت لحظة قبل أن تقول :

- اذا كان يجب أن ترياه فلابد لكما من توخى الحذر . لا تنس أن البستانى العجوز قال انه رجل شرير .

***

ج . ج . أفليك

- ١ -

عثر جايلز على عنوانين لجاكى أفليك فى دفتر التليفونات ... عنوان المكتب فى اكستر وعنوان البيت فى أطراف المدينة .

وتواعد الرجلان على اللقاء فى صباح اليوم التالى غير انه فى اللحظة التى استقل فيها جايلز السيارة مع جويندا خرجت مس كوكر من البيت راكضة وصاحت تقول :

- الدكتور كيندى يطلبك فى التليفون يا سيدى .

وهبط جايلز وعاد الى البيت وقال :

- آلو ..

- صباح الخير يا مستر ريد . جاء فى خطاب عجيب امرأة تدعى ليلى كيمبل ، وقد قدحت زناد فكرى لكى أعرف من هى ، وحسبت فى بادئ الأمر أنها مريضة قديمة . ولكننى أعتقد بالحرى أنها كانت تشتغل خادمة بالبيت ، وأكاد أكون واثقا انه كانت هناك خادمة تدعى ليلى فى ذلك الوقت . ألا اننى لا أتذكر لقبها .

- كانت هناك فعلا خادمة تدعى ليلى . بل ان زوجتى تتذكر انها وضعت شريطا حول عنق قط كان بالبيت .

- يبدو لى ان جوينى تتمتع بذاكرة قوية .

- هذا صحيح .

- حسنا . أحب أن أتكلم معك بخصوص هذا الخطاب ، ولكن ليس فى التليفون . هل أستطيع القدوم لزيارتكما ؟

- اننا ذاهبان الى اكستر الآن بالذات . ولكن فى مقدورنا أن نمر ببيتك اذا وافقك

هذا ، فان البيت يقع فى طريقنا .

- هذا حسن .

ووجدا الطبيب فى انتظارهما . وقدم لهما الخطاب على الفور ، وكان مكتوبا على ورق رخيص وباسلوب ركيك . وهذا نصه :

سيدى

أكون شاكرة لو استطعت أن تزجى الى النصح فيما يتعلق بالاعلان المرفق ، وقد اقتطعته من احدى الجرائد . وقد فكرت فى الأمر كثيرا ، وتحدثت مع زوجى ولكننى لا أدرى ماذا أفعل . هل تعتقد أن هناك نقودا أستطيع اكتسابها أو مكافأة ما لان قليلا من النقود تفيدنى كثيرا ، الا أننى لا أريد أية مشاكل مع البوليس .

.. طالما فكرت فى تلك الليلة التى اختفت فيها مسز هاليداى . ولكننى لا أعتقد أنها هربت لأن الثياب الناقصة تنفى ذلك . خطر لى فى البداية ان مخدومى هو الذى قتلها ، غير اننى لست واثقة من ذلك الآن بسبب السيارة التى رأيتها من النافذة . ولكننى لا أريد الاقدام على أى شئ دون استشارتك ، فلم يكن لى شأن مع البوليس أبدا وزوجى لا يحب ذلك . وأستطيع القدوم لزيارتك يوم الخميس المقبل لأنه يوم السوق وسيكون زوجى متغيبا ، ويسرنى لو أن تتمكن من استقبالى .

وتفضل بقبول احترامى " ليلى كيمبل " .

- وقد جاءنى الخطاب على عنوانى القديم فى ديلموث وحولته مصلحة البريد الى، والاعلان المرفق هو اعلانكما طبعا .

صاحت جويندا :

- هذا عظيم . أرأيت الآن ؟ ان المدعوة ليلى لا تعتقد هى الأخرى ان أبى هو الجانى .

وكانت تتكلم فى لهجة مرحة . ونظر كيندى اليها بعينيه المتعقبتين المتسامحتين

وقال فى رفق :

- أرجو أن تكونى على صواب ، ومن رأيى أن نتصرف هكذا . سأرد على هذه المرأة بأنها تستطيع أن تأتى يوم الخميس كما تقول ، فما رأيكما ؟ ان فى مقدورها أن تأتى عن طريق ديلموث بعد الرابعة والنصف بقليل . واذا شئتما أن تأتيا أنتما أيضا فسيكون فى استطاعتنا أن نستجوبها معا .

قال جايلز :

- هذا جميل .

وألقى نظرة الى زوجته وأردف :

- تعالى يا جويندا . يجب أن نسرع .

ثم تحول الى الدكتور كيندى وقال :

انننا على موعد مع مستر أفليك ، مدير شركة سيارات دافوديل . وقد أكدت لنا سكرتيرته بأنه رجل كثير المشاغل .

قطب كيندى حاجبيه وقال :

تقول أفليك ؟ ... أوه ، نعم ... هذه السيارات الصفراء ... ولكن يخيل لى ان اسم أفليك مألوف لدى .

قالت جويندا :

- هيلين !

- يا الهى ! ... لا أظن انه هو ذلك الشاب بالذات ؟

- بل هو .

- كان شابا مسكينا فى ذلك الوقت ... اذن فقد أفلح ...

أجاب جايلز :

يبدو ذلك . ولكن هل تريد أن تفسر لى شيئا يا دكتور ؟ ... أعرف انك

وضعت حدا لمغامرة غرامية بينه وبين أختك الصغيرة ، أكان ذلك بسبب وضعه الاجتماعى فحسب .

نظر كيندى اليه نظرة مجردة من الرقة وقال فى لهجة جافة :

– أيها الشاب ... اننى أنتمى الى المدرسة القديمة ولا أجهل أن كل الرجال ، طبقا للانجيل ، سواسية . وقد يكون ذلك صحيحا من الناحية الأدبية ، ولكننى أظن ، مع ذلك ، ان الرجل يكون أسعد حالا اذا لم يخرج من الوسط الذى ولد فيه . ثم اننى فى هذه الحالة بالذات كنت أعتقد انه رجل وغد شرير ، وقد أثبت لسوء الحظ اننى لم أكن مخطئا .

– وماذا فعل بالذات ؟

– يتعذر على أن أتذكر ذلك بصفة محددة الآن ، ولكن يبدو أنه أفشى بعض الأسرار الخاصة بأحد عملاء المكتب الذى كان يعمل به ، وذلك نظير مبلغ كبير من المال..

– وهل تضرر كثيرا من هذا الطرد ؟

ألقى كيندى اليه نظرة ثاقبة وقال فى لهجة جافة :– طبعا .

– ألم يكن هناك أى سبب آخر حملك الى أن تنظر الى صداقته بأختك نظرة سيئة؟... ألا تظن أنه كان هناك شئ آخر دفعك الى ذلك ؟

– الآن وقد أثرت هذه النقطة فسأرد عليك بصراحة . بدت عليه بعض الأعراض التى تدل على أنه مختل العقل ، وذلك عقب طرده من المكتب . كان يبدو أنه يعانى من عقدة الاضطهاد . ولكن الظاهر انه لم يكن هناك ما يبرر مخاوفى اذا نظرنا الى ما صادفه من نجاح .

* * *

- ٢ -

كان البيت حديث البناء ، مزودا بشرفة كبيرة . واجتاز جايلز وجويندا بهوا واسعا أفضى بهما الى غرفة المكتب ، وهى غرفة كبيرة تتوسطها منضدة ضخمة مبطحها وجوانبها مكسوة بالمعدن البراق .

وتمتمت جويندا :

- الحق اننى لا أدرى ماذا كنا نستطيع أن نفعل من غير مس ماريل ... أصدقائها فى نورثيمرلاند أولا ، والآن زوجة القس والحفلات الترفيهية التى تقوم بها كل عام .

أشار لها جايلز أن تسكت لأن الباب فتح فى هذه اللحظة ، واندفع جاكى أفليك الى الداخل كالقنبلة . كان رجلا متوسط السن ، بدينا يرتدى بذلة من قماش ذى مربعات جذاب اللون . وأسود العينين ، ثاقب النظرات ، وجهه أحمر وبشوش ، ويدل مظهره على انه رجل أعمال ناجح .

قال : - مستر ريد ؟ يسرنى أن أتعرف بك .

وقدم له ريد زوجته . وضغط أفليك على يدها فى رفق ثم قال :

- ماذا أستطيع أن أؤدى لكما يا مستر ريد ؟ .

وجلس فى مقعده الكبير ، وقدم لزائريه صندوقا ثمينا مملوءا بالسجائر . وتكلم جايلز على الفور عن الحفلة السنوية التى ستقيمها زوجة القس وقال أن بعض أصدقائه يتولون الاشراف على هذه الحفلة التى تستمر يومين فى مقاطعة الديفون . وقدم أفليك بعض الاقتراحات مبينا أسعاره ، ولكنه على الرغم من ذلك كان يبدو مدهوشا . وقال أخيرا :

- كل هذا واضح . وسأكتب اليك لكى أعزز موافقتنا ، ولكن هذه مسألة عملية بحتة . وقد خيل لى من حديث سكرتيرتى أنكما تطلبان كذلك موعدا خاصا .

- الحق أن هناك موضوعين كنا نريد مناقشتهما معك ، وقد فرغنا من أحدهما الآن أما الآخر فهو موضوع شخصى تماما ، فان زوجتى تريد الاتصال بزوجة ابيها لانها لم

ترها منذ سنوات عدة . وقد خطر لنا انك تستطيع مساعدتنا .

– هلا ذكرت لى اسمها ؟ ... هل أعرفها ؟

– انك عرفتها فى وقت من الأوقات على كل حال . كانت تدعى هيلين ، واسمها قبل الزواج هيلين كيندى .

ورفع أفليك حاجبية وارتد الى الوراء قليلا دون أن يفقد شيئا من هدوئه وقال :

– هيلين هاليداى ... اننى لا أتذكر ... هيلين كيندى ...

قال جايلز :

– كانت تقيم فى ديلموث .

واستعاد مقعد أفليك وضعه الطبيعى فى بطء فى حين قال صاحبه :

– آه ... هيلين كيندى طبعا .

وتألق وجهه لفرط سروره وقال :

– اننى اتذكرها الآن . ولكن ذلك منذ وقت طويل جدا ... نحو عشرين عاما .

– ثمانية عشر .

– حقا ؟ ... ان الوقت يمر سراعا كما يقال . ولكننى أخشى أن أخيب أظنك يا مسز ريد لأننى لم أر هيلين منذ ذلك الوقت ، بل اننى لم أسمع عنها بعد ذلك .

تمتمت جويندا تقول :

– يا الهى ! ... اننى أشعر بخيبة أمل كبيرة حقا ، فقد كنا نأمل أن تتمكن من مساعدتنا .

نقل جاكى أفليك عينيه بينهما ثم قال :

– ماذا حدث لها ؟ ... هل صادفتها متاعب ؟

– أنها غادرت ديلموث فجأة ، منذ ثمانى عشرة سنة ... مع رجل .

قال جاكى أفليك فى شئ من الطرب :

- وخطر لكما انها هربت معى ؟ ... ولكن لماذا ؟

أجابت جويندا فى جرأة :

- لأننا سمعنا ان كلا منكما أحب الآخر ... فى وقت من الأوقات .

وأردف يقول فى لهجة جافة :

- ومهما يكن فاننا لم نلق تشجيعا .

- لاريب انك تجدنا متطفلين دائما ، أليس كذلك ؟

- لا تقلقى فاننى لست سريع التأثر . انك تريدين الاهتداء الى زوجة ابيك ، وتعتقدين اننى أستطيع مساعدتك . حسنا . سلينى ما تريدين ، فليس لدى ما أخفيه على الاطلاق .

وتأمل جويندا فى تفكير لحظة ثم سألها :

- هل أنت ابنة هاليداى ؟

نعم . هل عرفت أبى ؟

اتى أفليك بحركة من يده تدل على النفى وقال :

- مررت فى طريقى لديلموث ذات يوم ، ومضيت لزيارة هيلين ، وكنت قد عرفت أنها تزوجت . وكانت ظريفة معى ولكنها لم تستبقينى للعشاء ... ولم أر أباك .

هل أحسست بأنها كانت ... سعيدة ؟

هز أفليك ذراعيه وقال :

كانت سعيدة طبعا ... لقد مر على ذلك ما يقرب من عشرين عاما . ولكن لو انها لم تكن سعيدة لأحسست بذلك بطبيعة الحال .

وأردف يقول فى فضول بدا طبيعيا :

هل تقصدين القول انك لم تسمعى عنها أبدا منذ أن غادرت ديلموث منذ ثمانية عشر عاما ؟

- لم نعرف عنها شيئا .

- ألم تكتب لكم ؟

أجاب جايلز :

- جاء منها خطابان ، ولكن لدينا من الأسباب ما يحملنا على الاعتقاد بأنها لم تكتبهما .

قال أفليك فى طرب :

- لم تكتبهما ؟ ... هذا اشبه بفيلم بوليسى ... وأخوها الطبيب ؟ ... الا يعرف أين هى ؟

- كلا .

- آه . هذا لغز حقيقى ... لماذا لم تنشروا اعلانا فى الجرائد ؟

- فعلنا لكن دون أية نتيجة .

- يبدو اذن انها ماتت دون أن تعلموا .

ارتجفت جويندا فقال يسألها :

- هل تشعرين ببرد ؟

- كلا . انما فكرت فى هيلين .. ميتة .. وقد أخافتنى الفكرة .

- اننى أحس بنفس الشعور . كانت هيلين جميلة . جميلة جدا .

- اننى لا أحتفظ عنها الا بذكرى مبهمة ، ولكنك عرفتها أنت جيدا . فقل لى كيف كانت .. وماذا كان الناس يقولون عنها . وما رأيك أنت فيها ؟

تأمل أفليك المرأة الشابة فى صمت لحظة ثم قال :

- سأكون صريحا معك يا مسز ريد ، وصدقينى اذا أردت ، ولكننى أرثى لهذه الفتاة .

نظرت جويندا اليه فى دهشة وقالت :

- ترثى لها ؟

- نعم . كانت قد خرجت لتوها من المدرسة ، وكانت تود أن تلهو قليلا ، ككل فتاة أخرى . ولكن كان أخوها هناك . وكان يكبرها سنا ، وكان صارما ومدققاً وذا أفكار رجعية فيما يتعلق بما يجب على الفتاة أن تفعل وما لا يجب أن تفعل بحيث أن المسكينة لم تستطع أن تمرح كما كانت تريد . وعلى الرغم من هذا فقد تمكنت من أن أخرجها قليلا وأن أعطيها نظرة عن الحياة . غير أننى لم أحبها حقا . ولم تكن هى مشغوفة بى . وانما كانت تلهو كما تلهو كل فتاة . واكتشف الدكتور اننا نلتقى طبعا فوضع حدا لذلك . وأنا لا أحكم عليه ولكن الشئ المؤكد هو أن الصبية صدمت أكثر منى . ولم نكن مخطوبين . ولكن فى نيتى أن أتزوج ذات يوم طبعا ، ولكن لم يكن هناك ما يدعونى الى الاستعجال . وأعترف أننى كنت أريد أن أقع على فتاة تستطيع أن تساعدنى لكى أشق طريقى . ولم تكن هيلين غنية ، ولم تكن بالزوجة التى تصلح لى . كنا نتبادل الغزل قليلا ولكننا لم نكن أكثر من صديقين .

- ولكن لاريب أنك استأت جدا عندما تدخل الدكتور ؟

أجاب :

- اننى أعترف بذلك ، لأنه ليس من المستحب أن يوصف أحد بأنه شرير ، ولكن لا يحب أن يكون المرء شديد الحساسية فى هذه الدنيا .

قال جايلز :

- وفقدت عملك بعد ذلك ؟

تجهم وجه أفليك وقال :

- طردنى فين .. وهذا صحيح ، وأعتقد اننى أعرف من أين جاءتنى الضربة .

سأله جايلز :

- حقا ؟

هز أفليك رأسه فى رفق وقال :

- لدى رأيى فى هذا الموضوع ، ولكننى لن أذكر أسماء . لقد كانت التهمة باطلة، وليس لدى أى شك عن شخصية المسئول .

وتوردت وجنتاه واستطرد :

- وان من القذارة أن تتجسس على أحد وأن تنصب له شركا وتفترى عليه .. أوه ، لقد كان لى أعداء ولكننى لم أقر بالهزيمة أبدا ولن أنسى .

وأمسك عن الكلام ، وغير مسلكه ولم يلبث أن استرد بشاشته سريعا وقال :

- أخشى اننى لن أستطيع مساعدتكما . اننى خرجت أنا وهيلين بضع مرات ، ولكن الأمور لم تذهب أبعد من هذا .

حدجته جويندا فى صمت لحظة . بدت لها القصة واضحة . ولكن هل هى حقيقية ؟ .. كان فى قصته شئ له غرابته .. شئ عاد الى ذهنها فجأة .

- ومع ذلك فقد سارعت لزيارتها فيما بعد عندما عدت الى ديلموث ؟

راح أفليك يضحك ثم قال :

- أعترف انك غلبتنى يا مسز ريد . هذا صحيح اننى ذهبت لزيارتها .. ربما كان ذلك لأننى أردت أن أريها اننى لست فاشلا لأن محاميا متعجرفا طردنى من مكتبه ، فقد نجحت فى عملى وأصبحت أقود سيارة فارهة ، وعرفت كيف أشتق طريقى تماما .

- انك ذهبت الى ديلموث مرارا كثيرة ، أليس كذلك ؟

أجاب أفليك بعد تردد يسير :

- مرتين أو ربما ثلاث مرات .

وهز كتفيه ثم أردف :- يؤسفنى اننى لا أستطيع مساعدتكما .

نهض جايلز وقال :

- أرجو أن تلتمس لنا العذر اذ أضعنا وقتك .

- ما عليك . يسرني أن أستعيد بعض الذكريات القديمة .

وفتح الباب في هذه اللحظة ، وألقت امرأة نظرة الى الداخل ، ثم اعتذرت على الفور قائلة :

- أوه .. انني آسفة . لم أكن أعرف انك مشغول .

- تعالى يا عزيزتي ، ادخلي . أقدم لكما زوجتي دوروتيه . مستر ومسز ريد .

صافحت مسز أفليك الزائرين . كانت طويلة القامة ، نحيلة الجسم ، ترتسم سمات الحزن على محياها . ولكن ثيابها كانت غالية وأنيقة . وقال أفليك :

- كنا نتحدث عن الماضي .. لم أكن قد عرفتك بعد في ذلك الوقت .

ثم تحول الى زائريه من جديد وقال :

- انني التقيت بزوجتي أثناء رحلة بحرية . وانما ليست من مواليد انجلترا ، ولكنها قريبة للورد بولترهام .

ونطق بالكلمات الأخيرة في شئ من الزهو والفخر . واصطبغ وجه مسز أفليك وقالت :

- منذ وقت طويل وأنا أقول لزوجي انه يجب أن نقوم برحلة بحرية الى اليونان .

- ليس لدى وقت ، فانني مشغول جدا .

قال جايلز :- ولهذا لا يجب أن نزعجك كثيرا . الى الملتقى يا مستر أفليك . وشكرا لك . أرجو أن تعزز لي العرض الذي عرضته على كتابة .

وفيما كان أفليك يشيع زائريه حتى الباب ، ألقت جويندا نظرة الى الخلف من فوق كتفها . كانت مسز أفليك واقفة بجوار المكتب تحدق في ظهر زوجها وفي عينيها خوف شديد .

وودع جايلز وجويندا ضيفهما مرة أخرى ومضيا الى سيارتهما . وقالت المرأة الشابة فجأة :

- آه . اننى نسيت ايشاربى .
- انك تنسين شيئا دائما .
- لا تنظر الى هكذا . سأعود لكى أبحث عنه .

واستدارت ، وعادت الى البيت ركضا . وسمعت صوت أفليك القوى ، عبر الباب المفتوح يقول :

- ماذا دهاك لكى تدخلى مكتبى هكذا .. ليس لهذا أى معنى .
- معذرة يا جاكى . لم أكن أعلم . ولكن من هذان الشخصان ؟ .ولماذا أزعجاك ؟
- انهما لم يزعجانى .. اننى ...

وأمسك وهو يرى جويندا على عتبة الباب . وأسرعت تقول :

- معذرة يا مستر أفليك . ألم أنس ايشاربى .
- ايشاربك ؟ .. لعمرى ، انه ليس هنا .
- يا الهى ! .. ما أغبانى . لاريب انه فى السيارة .

وعادت جويندا الى زوجها . وكان قد أدار السيارة . وكانت هناك أمام البيت سيارة أخرى صفراء تبرق . وقال جايلز :

- انها سيارة فارهة جدا .
- نعم . هل تتذكرين ماذا قالت أديث باجيت . كانت ليلى تظن انها رأت سيارة الكابتن ارسكين ، ولكنها أخطأت . ان المجهول الغامض صاحب السيارة الفارهة هو جاكى أفليك .
- ثم انها كتبت فى خطابها للدكتور كيندى عن سيارة " أنيقة " .

تبادل الزوجان النظر ، وقالت جويندا :

- انه كان هناك اذن ، فى تلك الليلة . أوه يا جايلز .. اننى أتعجل يوم الخميس لكى أعرف ماذا ستقول ليلى كيمبل .

- ولكن ربما يتملكها الخوف فلا تأتى .

- بل ستأتى يا جايلز . اذا كانت سيارة فارهة وقفت أمام الفيللا فى تلك الليلة .

- هل تعتقدين انها كانت سيارة صفراء كهذه ؟

وسمعا صوت جاكى أفليك يقول فى هذه اللحظة ؟

- هل تروق لكما سيارتى ؟

كان يقف خلفهما ، وقد اعتمد بظهره الى احدى الأشجار .. وأردف :

- السيارة الصغيرة الذهبية ! .. هكذا أدعوها . طالما أحببت السيارات الفارهة . اليك ايشاربك يا سيدتى .

كان قد وقع خلف المكتب . حسنا . الى اللقاء . يسرنى اننى تعرفت بكما .

وتحول عنهما وعاد الى بيته فى حين ركب جايلز وجويندا سيارتهما . وقالت هذه الأخيرة :

- هل تظن انه سمع حديثنا ؟

- لا أعتقد .. ثم اننا لم نذكر ما يدينه .

- هذا صحيح . ولكن هل تتذكر كيف تصرفت زوجته ؟ .. انها تخاف منه . قرأت ذلك فى عينيها .

- ماذا ؟ .. أتخاف من ذلك الرجل البشوش الظريف ؟

- لعله ليس ظريفا أو بشوشا فى قرارة نفسه .. أعترف لك انه لا يروق لى أبدا ، واننى لأتساءل منذ متى كان يقف ويصغى الى حديثنا . ماذا قلنا بالضبط ؟

- لا شئ بالذات .

ومع ذلك فقد أحس جايلز بشئ من الضيق .

* * *

ليلى تأتى فى الموعد

صاح جايلز :

هذا عجيب !

وكان قد فض خطابا جاءه بعد الظهر ، وراح يتأمل الرسالة فى دهشة . وسألته جويندا :

- ما الخبر ؟

- تقرير خبراء الخطوط .

أسرعت جويندا تقول :

- وطبعا لم تكتب هيلين هذا الخطاب الذى جاء من الخارج ؟

- بل كتبته .

تبادل الشابان النظر لحظة فى صمت . وقالت جويندا أخيرا :

- لم يكن الخطابان زائفين اذن . كانا حقيقيين ، وغادرت هيلين الفيللا فى تلك الليلة حقا ، ثم كتبت وهى فى الخارج . اننى لا أفهم شيئا ..انها لم تمت مخنوقة اذن .

أجاب جايلز فى بطء :

- لا يبدو ذلك .. ان كل هذا يثير الدهشة حقا ، ولا أفهم شيئا . ومع ذلك فقد كان كل شئ يدل على العكس تماما .

- ربما أخطأ الخبراء .

- هذا محتمل طبعا ، على الرغم من أنه يبدو أنهم واثقون من أنفسهم تماما . ألا يمكن أن نكون قد تصرفنا تصرفا أحمق منذ البداية ؟

- أتعنى ان كل ذلك كان نتيجة لتصرفى الأحمق فى المسرح ؟ .. سأقول لك ماذا

يجب أن نفعل . سوف نمضى الآن لزيارة مس ماربل .. مازال لدينا الوقت الكافى قبل أن يحين موعدنا مع الدكتور كيندى .

ومع ذلك فقد تصرفت مس ماربل على خلاف ما كان يتوقعان ، وقالت ان كل ذلك على ما يرام .

وسألتها جويندا :

- ماذا تعنين ؟

- لا شئ الا أن هناك شخصا لم يكن من الخبث والدهاء كما كان ينبغى .

- وكيف ذلك ؟

- لقد أقدم ذلك الشخص على غلطة كبيرة يا عزيزتى جويندا ، ويجب أن تفهمى أن هذا يبين لنا الطريق الذى يجب أن نتبعه .

- ما دام قد وضح أن هيلين هى التى كتبت هذين الخطابين ، فهل مازلت تعتقدين انها ماتت مخنوقة ؟

- بل أظن ان من المهم لشخص ما أن تكون هذه الخطابات بخط يدها .

- أظن .. أظن اننى أفهم . لاريب أن بعض الظروف أجبرت هيلين على كتابتهما .

- ولكن .. فكر جيدا يا مستر ريد . ان الأمر أسهل من ذلك .

بدا الضيق والاستياء على جايلز وقال :

- يمكننى أن أؤكد لك اننى لا أفهم شيئا .

- لو انك فكرت قليلا .

تحولت جويندا الى زوجها وقالت :

- يجب أن ننصرف يا جايلز ، اذا كنت لا تريد أن نتأخر .

وانصرفا فى حين ارتسمت على شفتى مس ماربل ابتسامة خفيفة . وقال جايلز :

- هناك أوقات تثيرنى فيها هذه العانس العجوز . اننى لا أفهم ما الذى تعنيه .

وبلغا بيت الدكتور كيندى فى الموعد المضروب وأقبل الطبيب العجوز وفتح لهما الباب بنفسه قائلا :

- اننى أعطيت لخادمتى أجازة بعد ظهر اليوم ، فقد رأيت ان هذا أفضل .

ومضى بزائريه الى الصالون حيث صفت أدوات الشاى فوق طاولة صغيرة . وقال يخاطب جويندا مستفسرا :

- ان فنجان الشاى بداية طيبة ، أليس كذلك ؟ .. سوف تشعر مسز كيمبل بالارتياح .

- انك على حق تماما .

- واننى أتساءل اذا كان يجب أن أقدمكما لها على الفور .. فاننى لا أريد المجازفة باخافتها .

قال جايلز :

- وأنا كذلك .

- ومع ذلك ، واذا شئتما أن تسمعا حديثنا فيمكنكما أن تجلسا فى الغرفة المجاورة وأن تتركا الباب مفتوحا . ونظرا للظروف الشاذة التى نمر بها فاننى أظن أن فى استطاعتنا أن نخرق قواعد آداب السلوك .

قالت جويندا :

- طبعا . ان هذا يعتبر فضولا ، ولكننى لا أبالى .

ابتسم الدكتور كيندى ابتسامة خفيفة وقال :

- الواقع اننى أظن انه لا يجب أن نبالى بذلك فى هذه الحالة بالذات . ثم أنه ليس فى نيتى أن أعد هذه المرأة بكتمان الأمر والاحتفاظ بالسر ، وان كنت مستعدا لكى أزجيها النصح اذا أرادت .

وألقى نظرة الى ساعته وقال :

- ان القطار يصل الى وورلى رود فى الساعة الرابعة والنصف ، أى بعد بضع دقائق ولن تلبث مسز كيمبل أن تأتى .

وأخذ يذرع أرض الغرفة جيئة وذهابا ، وقد بدا عليه القلق والتوتر . وقال :

- اننى لا أفهم .. لا أفهم المعنى من ذلك أبدا .. اذا لم تكن هيلين قد رحلت فى تلك الليلة ، واذا كان الخطابان اللذان تلقيتهما زائفين ..

وتقدمت جويندا خطوة الى الوراء ، ولكن زوجها أوقفها باشارة من رأسه .

واستطرد الدكتور كيندى يقول :

- واذا كان كلفن المسكين لم يقتلها ، فما الذى حدث بالله ؟

- ان القاتل شخص آخر غيره .

- ولكن اذا صح ما تقولين يا عزيزتى فلماذا اتهم أبوك نفسه ؟

- لأنه كان يعتقد انه هو الجانى .. انه وجد زوجته ميتة فى فراشها واقتنع على الفور بأنه هو الذى قتلها . هذا شئ ممكن الحدوث ، أليس كذلك ؟

حك الدكتور كيندى ذقنه فى حنق وضيق فى نفس الوقت ثم قال :

- وكيف كان يمكننى أن أعرف ذلك . اننى لست طبيبا نفسانيا .. صدمة نفسية.. صدمة عصبية ؟ .. نعم . أظن ان هذا هو الذى حدث . ولكن من الذى قتل هيلين ؟

قالت جويندا فى رفق :

- اننا نشتبه فى ثلاثة أشخاص .

- ثلاثة أشخاص ؟ .. ومن هم ؟ .. لم يكن هناك أى سبب لقتل هيلين . الا اذا كنا نواجه مجنونا .. لم يكن لها أعداء . كان الجميع يحبونها .

ومضى الى مكتب صغير فتح أحد أدراجه ، وأخذ منه شيئا وقال :

- وجدت هذه وأنا أبحث عن الخطابين .

وناول المرأة الشابة صورة صغيرة قديمة باهتة اللون لطالبة بثياب الرياضة ، وشعرها

ممشط الى الخلف ، ووجهها متألق . وقد وقف كيندى بجوارها ، وكان لا يزال شابا وتبدو عليه امارات السعادة ، وقال فى صوت أجش :

اننى فكرت فيها كثيرا فى الأيام الأخيرة . وحاولت أن أنساها منذ سنوات ، ولكن ذكراها الآن تلاحقنى ، وأنتما السبب .

ونطق بالعبارة الأخيرة فى شبه اتهام وقالت جويندا :

- بل أظن ان هيلين هى السبب .

رفع وجهه اليها فى حدة وقال :

- ماذا تعنين ؟

- لا شئ بالذات . والواقع اننى لا أستطيع التعبير بوضوح أكثر . ولكن لا شأن لى ولا لجايلز بما حدث ، وانما هى هيلين التى . .

وارتفع صوت قاطرة فى هذه اللحظة ، وكان صوتها خافتا . واجتاز كيندى الباب ، وزائراه من خلفه ، وهو يقول :

- هذا هو القطار .

- هل أقبل ؟

- كلا . انه يغادر المحطة . لن تلبث مسز كيمبل أن تأتى ما بين لحظة وأخرى .

ولكن مضت الدقائق وتتابعت ولم تظهر مسز كيمبل .

***

- ٢ -

هبطت ليلى كيمبل من القطار فى محطة ديلموث ، واجتازت الرصيف وانتقلت الى رصيف آخر لكى تستقل القطار المحلى ، ولم يكن به أكثر من ستة من المسافرين . وانطلق القطار فى بطء عبر الوادى المتعرج . وكانت هناك ثلاث محطات قبل المحطة الأخيرة وهى نيوتن لونجفورد وماتشنج هالت وورلى بولتون .

وراحت ليلى تنظر الى المناظر التى تجرى أمام عينيها دون أن تراها ، وقد استغرقت فى التفكير وكانت هى الوحيدة التى هبطت فى محطة ماتشنج هالت ، وأعطت تذكرتها للموظف الواقف بالباب ، وخرجت من المحطة ، ورأت أمامها احدى علامات الطريق تشير الى الطريق الذى يجب أن تتخذه لكى تصل الى المكان الذى تقصده . وكان لابد لها من أن تجتاز ربوة تكسوها الأعشاب والنباتات الشائكة .

وبرز رجل أمامها ، من بين الأعشاب ، فجأة فأجفلت وقالت :

يا الهى ! انك أخفتنى . لم أتوقع أن ألتقى بك هنا .

هذه مفاجأة صغيرة ، أليس كذلك ؟ .. ولدى مفاجأة أخرى لك .

وكان المكان مقفرا .. ولم يكن هناك من يرى أو يسمع صوت العراك . على أنه لم يكن هناك عراك ولا صراخ

كل ما هناك ان يمامة طارت وهى تضرب بجناحيها .

* * *

٣

صاح كيندى وفى صوته رنة من السخط :

ماذا حدث لهذه المرأة ؟

كانت عقارب الساعة تشير الى الخامسة الا عشر دقائق . وقالت جويندا :

لعلها ضلت الطريق .

هذا محال ، فاننى وصفته لها بكل وضوح ، وهو طريق سهل .. ما عليها الا أن تنعطف يسارا بعد خروجها من المحطة وأن تمشى الى الأمام مباشرة . وما هى الا دقائق حتى تصل .

قال جايلز :

ربما غيرت رأيها .

- يخيل لى أن الأمر كما تقول . ربما قررت ألا تأتى فى آخر لحظة أو لعل زوجها اعترض على مجيئها .. من المستحيل الوثوق بهؤلاء الفلاحين .

وراح كيندى يمشى جيئة وذهابا . وأخيرا مضى الى التليفون ورفع السماعة وأدار القرص . ولم يلبث أن قال :

- آلو .. المحطة .. أنا الدكتور كيندى . كنت أنتظر شخصا فى قطار الرابعة والنصف .. امرأة ريفية متوسطة العمر .. ألم تسأل أية أمرأة عن الطريق المؤدى الى بيتى ؟ .. ماذا تقول ؟

وكانت جويندا تقف هى وجايلز بجواره فسمعا موظف المحطة يقول :

- لم يأت أحد بقطار الرابعة والنصف يا دكتور فيما عدا مستر فاراكوت وجونى لاوس .

وشكره كيندى وأعاد السماعة وتمتم :

- يبدو أنها غيرت رأيها فعلا . سوف نتناول الشاى الآن .

ولكنه لم يكد يفرغ من عبارته هذه حتى صلصل جرس التليفون ، فتناول السماعة وسمع شخصا يقول له :

- هل أتحدث الى الدكتور كيندى ؟

- نعم .

- أنا المفتش لاست ، من قوة بوليس لونجفورد . هل كنت تنتظر امرأة تدعى ليلى كيمبل ؟

- نعم . لماذا ؟ .. هل وقع لها حادث .

- ليس حادثا بمعنى الكلمة . ولكنها ماتت على كل حال . وقد عثرنا معها على رسالة منك . هل تستطيع أن تأتى بأسرع ما يمكن ؟

- طبعا . أنا قادم فورا .

- ٤ -

قال المفتش لاست :

- لنحاول أن نعرف ما حدث .

وراحت عيناه تنتقلان بين كيندى وجايلز وجويندا . وكانا قد رافقا الدكتور ، وكانت المرأة الشابة شاحبة اللون ، وبادية الاعياء . وقال المفتش :

- تقولون انكم كنتم تنتظرون هذه المرأة فى قطار الرابعة والنصف ، أليس كذلك ؟

أومأ كيندى برأسه علامة الايجاب فخفض المفتش عينيه ونظر الى الخطاب الموضوع فوق مكتبه ، وكان هذا نصه .

" عزيزتى مسز كيمبل

يسرنى أن أزجى اليك ما تريدين من نصح . وكما فى ديلموث . ولكى تصلى الى لابد لك من مغادرة كومبرى فى قطار الثالثة والنصف وأن تستقلى المواصلة من ديلموث حتى وودلى بولتون . واذا خرجت من المحطة وانعطفت يسارا تجدين بيتى فى آخر الشارع . وهنا لافتة فوق الباب عليها اسمى .

قال المفتش :

لم يكن ما يدعو المرأة الى أن تستقل القطار السابق اذن ؟

سأله كيندى مشدوها :

- القطار السابق ؟

- انه هو الذى جاءت به ، فقد غادرت كومبرى فى الساعة الواحدة والنصف لا الثالثة والنصف ، ثم استقلت المواصلة من ديلموث فى الساعة الثانية ولم تهبط فى محطة وودلى بولتون وانما هبطت فى محطة ماتشنج هالت ، وهى المحطة السابقة كما تعرف .

- هذا عجيب !

- هل كان فى نيتها أن تستشيرك استشارة خاصة يا دكتور ؟

- كلا . فاننى اعتزلت المهنة منذ سنوات .

- هذا ما فهمته . هل كنت تعرفها جيدا ؟

هز كيندى رأسه وقال :

- اننى لم أرها منذ ما يقرب من عشرين سنة .

- ومع ذلك فقد تعرفت عليها ؟

ارتجفت جويندا ، ولكن منظر الجثة لم يكن ليؤثر فى الطبيب . وقد أجاب فى تفكير فقال :

- نظرا للظروف فانه يتعذر عليها أن أؤكد ذلك أظن أنها خنقت ؟

- نعم . وقد اكتشفت جثتها فوق الربوة ، وفى أول الطريق المؤدى الى معسكر ماتشنج هالت . وقد عثر عليها أحد الجنود وكان فى طريقه الى المحطة ، وكانت الساعة عندئذ الرابعة الا الربع . ولكن الطبيب الشرعى يحدد وقت الوفاة فيما بين الساعة الثانية والربع والساعة الثالثة . ولا ريب انها قتلت بعد وصولها الى ماتشنج هالت بقليل . والسؤال الذى يواجهنا الآن هو : لماذا هبطت فى تلك المحطة ؟ هل أخطأت ؟ يبدو لى هذا بعيد الاحتمال . ومن جهة أخرى فقد جاءت قبل الموعد المضروب بساعتين لأنها لم تستقل القطار الذى أشرت اليه ، وانما استقلت القطار السابق له . ومع ذلك فقد كان معها هذا الخطاب . فهل تستطيع الآن أن تخبرنى عن سبب زيارتها لك يا دكتور ؟

أخرج الدكتور كيندى خطاب ليلى كيمبل من جيبه وقال :

- هل لك أن تقرأ هذا .. ان الاعلان المرفق نشره مستر جايلز وزوجته الموجودان معى الآن .

قرأ المفتش لاست الخطاب فى عناية كبيرة . ثم قرأ الاعلان قبل أن يرفع عينيه الى

محدثيه ويقول :

- هل لكم توضحوا لى معنى هذه القصة التى يرجع عهدها الى وقت بعيد على ما يبدو .

- ثمانية عشر عاما .

وأصغى المفتش اليهم فى اهتمام كبير . وروى له الأشخاص الثلاثة القصة كلها وكان كيندى جافا وواقعيا . وكانت قصة جويندا متفككة شيئا ما ولكنها كانت مثيرة للذكريات . وكان جايلز وحده هو الذى أسهم مساهمة فعالة فى التحقيق ، فقد كان أكثر وضوحا وتماسكا من جويندا ، وأقل تحفظا من الطبيب . وعندما فرغ تنهد المفتش لاست ولخص الوقائع قائلا :

- كانت مسز هاليداى أخت الدكتور كيندى وزوجة أبيك يا مسز ريد ، وقد اختفت من بيتها ، وهو نفس البيت الذى تقيمين فيه الآن . وقد حدث هذا منذ ثمانية عشر عاما . وكانت ليلى كيمبل قبل أن تتزوج تعمل خادمة بالبيت . ويبدو أنها اعتقدت أخيرا ، ولسبب مجهول أن جريمة قتل قد ارتكبت . وفى ذلك الوقت قيل أن مسز هاليداى هربت مع رجل مجهول . ومن ناحية أخرى فقد مات زوجها منذ خمسة عشر عاما فى احدى المصحات وهو يعتقد أنه هو الذى قتلها . ولهذه النقاط أهميتها ، ولكن ليس لها رابط . والمهم الآن هو أن نعرف هل ماتت مسز هاليداى أم انها مازالت على قيد الحياة . واذا كانت قد ماتت فمتى ؟ ومن ناحية أخرى ، ماذا كانت ليلى كيمبل تعرف ؟ يبدو ، طبقا للظروف ، انها كانت تعرف معلومة هامة .. هامة جدا بحيث انها قتلت حتى لا تتكلم .

صاحت جويندا :

- ولكن كيف استطاع القاتل أن يعرف انها كانت تريد أن تكشف لنا ما تعرفه .

نظر المفتش الى المرأة الشابة وقال :

هناك نقطة لها معناها يا مسز ريد . يبدو لى انها استقلت قطار الثانية بدلا من قطار الرابعة لسبب ما . ثم انها هبطت من القطار قبل محطة وودلى بولتون ، فلماذا ؟ .. ليس هناك أى شك فى أنها بعد أن كتبت للدكتور كيندى كتبت لشخص آخر ضربت له موعدا فى وودلى بولتون وهى تقول لنفسها انها اذا لم تجد فى ذلك الموعد ما يرضيها فما عليها بعد ذلك الا أن تطلب النصح مع الدكتور كيندى . ومن المحتمل انها ذكرت لذلك الشخص أنها تعرف عنه شيئا يورطه .

قال جايلز فى غلظة :

- هذا معناه ابتزاز .

أجابه المفتش .

- لا أظن أنه خطر لها ذلك . ولا ريب أنها تساءلت كيف يمكنها أن تستغل الموقف . سوف نرى . لعل فى استطاعة زوجها أن يخبرنا بالمزيد .

* * *

- ٥ -

قال مستر كيمبل فى صوت حزين :

- ومع ذلك فقد حذرتها . قلت لها دعى هذه المسألة ، ولكنها فعلت كل ذلك من ورائى . كانت تظن انها أذكى من الآخرين .

ولكن استجواب مستر كيمبل لم يسفر عن شئ . كانت ليلى ، قبل أن يتعرف بها ، تعمل خادمة فى فيللا سنت كاترين ، وكانت تحب مشاهدة الأفلام السينمائية . وقالت له انها خدمت فى بيت لم يكن هناك أى شك فى أن جريمة قتل قد ارتكبت فيه .

- ولكننى لم أبد أى اهتمام بما كانت تقول . وكنت أرد عليها فأقول انها تتوهم كل ذلك . انها كانت تحب أن تعقد الأمور دائما . وقد ذكرت لى قصة لا أول لها ولا آخر ، فقالت ان مخدومها قتل زوجته وانه يحتمل أن يكون أخفى جثتها فى القبو .

وانه كانت هناك فتاة فرنسية زعمت أنها رأت شيئا من النافذة . وقد قلت لها . لا تثقى بالأجنبيات يا عزيزتى . فهن كاذبات ولسن مثلنا أبدا .

وعندما كانت تعود وتروى لى قصتها ثانية كنت لا أصغى اليها تقريبا . فقد كنت أعتقد انها تتوهم كل ذلك ، فما كانت الجريمة لتزعجها . بل انها كانت تشترى الصنداى نيوز لأنها تنشر أنباء الجرائم . وكانت رأسها محشوة بالجريمة . ولكنها عندما قالت لى انها تريد الرد على هذا الاعلان قلت لها فى حزم " دعى هذا الأمر يا عزيزتى، ولا تبحثى عن المتاعب " . ولو انها أصغت الى لبقيت على قيد الحياة حتى اليوم .

* * *

دائرة الاتهام

عاد جايلز وجويندا الى بيتهما فى الساعة السابعة بعد أن مضى المفتش لاست لاستجواب مستر كيمبل . وكانت المرأة الشابة شاحبة اللون ، وفى حالة سيئة جدا . وقال الدكتور كيندى ينصح زوجها :

- أعطها كأسا من الكونياك ولتأكل شيئا ثم تأوى الى فراشها على الفور .. انها تلقت صدمة عنيفة .

ولكن جويندا ما كادت تبلغ البيت حتى راحت تنتحب وتقول :

- هذا فظيع يا جايلز .. فظيع جدا . أرأيت الى هذه المرأة المسكينة تضرب موعدا لقاتل وتمضى اليه بكل أمان وثقة .. لكى يقتلها .. تماما كالخروف الذى يمضى الى المذبح .

- حاولى أن تنسى كل هذا يا عزيزتى . ومهما يكن فقد كنا نعرف أن هناك قاتلا فى الأنحاء .

- كلا . لم نكن نعرف ذلك . أعنى عرفنا ذلك الآن .. كان هناك قاتل منذ ثمانيه عشر عاما . ولكن كان الأمر يبدو بعيدا عن الواقع ، ثم انه كان هناك احتمال فى أن أكون مخطئة .

- حسنا . ان هذا يثبت انك لم تكونى مخطئة ، وانك كنت على صواب منذ البداية..

واغتبط جايلز حين وجد مس ماريل فى هيلسايد ، اهتمت العانس العجوز ومسز

كوكر بجويندا كل الاهتمام . ولكن هذه الأخيرة أبت أن تشرب الكونياك محتجة بأنه يعيد الى ذاكرتها اهتزاز البواخر فى بحر المانش . ولكنها قبلت أن تأخذ جرعة من الويسكى وأكلت عجة جاءتها بها مسز كوكر .

وكان جايلز يود أن يتحدث عن أى شئ آخر ، ولكن مس ماربل تصدت لموضوع الجريمة فقالت ردا على نواح جويندا :

– أعترف انها جريمة فظيعة ، وانها أصابتك بصدمة .. ولكنها صدمة لها فائدتها طبعا . اننى امرأة مسنة ولكن الموت لا يبدو مروعا فى عينى كما يبدو فى عينك أنت. وان الأمراض الطويلة المؤلمة كالسرطان لتحزننى أكثر . وان ما أريد أن أقول هو أنه لم يعد هناك أى شك فى أن هيلين هاليداى المسكينة قد قتلت .. كنا نظن ذلك . أما الآن فقد أصبحنا متأكدين .

قال جايلز :

– ولا شك فى انك تنتظرين منا أن نعرف أين الجثة .. لاريب أنها فى القبو .

– كلا . كلا يا مستر ريد . تذكر ما قالته اديث باجيت . انها بكرت فى الهبوط الى القبو فى صباح اليوم التالى لاختفاء هيلين ، وقد أقلقتها أقوال ليلى ، ولم تجد أى أثر يدل على أن جثة دفنت به . ولكن لو أن هناك آثارا وصمم أحد على أن يعثر عليها لعثر عليها حتما .

– ماذا حدث للجثة اذن ؟ هل نقلوها فى عربة وألقوا بها الى البحر ، من فوق الصخور ؟

– أبدا . ولكن ما الذى أثار دهشتك أكثر من أى شئ عندما أتيت هنا لأول مرة ؟ ألم يكن ذلك وجود الأشجار أمام نافذة الصالون بحيث أخفت منظر البحر عن العيان؟.. ألم يتضح فيما بعد أن تلك الدرجات كانت موجودة فعلا وأنها نقلت الى آخر الشرفة دون أى مبرر لذلك . ألا يمكن أن تخمنى لماذا نقلت .

حدقت جويندا فى العانس العجوز فى اهتمام وقد بدأت تفهم . وقالت :

– هل تعنين انها فى ذلك المكان ؟

استطردت مس ماربل تقول دون أن ترد على السؤال مباشرة :

– لا ريب انه كان هناك سبب لهذا التغيير الذى يبدو أن لا مبرر له . والواقع أن نقل هذه الدرجات من مكانها الأول الى آخر الشرفة كان يدل على غباء كبير . وقد أخبرنى الدكتور كيندى أن هيلين وزوجها كانا يحبان حديقتهما كثيرا ويهتمان بها . وكان البستانى الذى يشرف على الحديقة ينفذ كل تعليماتهما ، واذا كان قد رأى ذات يوم أن هناك تغييرا وأن عددا من البلاط قد رفع من مكانه فسوف يظن طبعا أن مخدوميه هما اللذان قاما بهذا العمل أثناء غيابه . ومن الممكن طبعا أن تكون الجثة مدفونة فى أحد هذين المكانين ، ولكن فى مقدورنا أن نتأكد أنها مدفونة تحت الدرجات التى نقلت الى آخر الشرفة .

سألتها جويندا :

– ومن أين لك هذا اليقين ؟

– حاولى أن تتذكرى . لقد تخلت ليلى عن فكرة القبر عندما قالت لها ليونى ، المربية السويسرية انها رأت شيئا من نافذة غرفة الأطفال .. أليس هذا واضحا ؟ .. لقد ألقت ليونى نظرة من هذه النافذة بالذات فى وقت ما من الليل ، ورأت شخصا يحفر قبرا . ولعلها عرفت الرجل الذى كان يحفره .

قال جايلز :

– ولم تذكر ذلك للبوليس أبدا .

– ولكن تذكر يا عزيزى أن ما من أحد تحدث عن جريمة قتل فى ذلك الوقت ، وانما قيل أن مسز هاليداى هربت مع عشيق . وهذا كل ما فهمته ليونى . ولم تكن تفهم الانجليزية ولا تجيد التحدث بها ، ومع ذلك فقد قالت لليلى ، وقد يكون ذلك فيما

بعد ، وليس فى حينه ، انها رأت غريبا من النافذة فى تلك الليلة . وبذلك أكدت لليلى رأيها فى أن جريمة قتل ارتكبت حقا . ولكننى أعتقد أن أديث باجيت نهرت الفتاة وقالت لها انها تتوهم . واضطرت الفتاة السويسرية أن تتبنى هذه النظرية ولم تشأ أن يكون لها شأن مع رجال البوليس . أن كثيرا من الناس يخافون البوليس وهم فى بلاد أجنبية غير بلادهم . ولهذا اضطرت الى العودة الى سويسرا حيث نسيت الأمر.

قال جايلز :

- اذا كانت على قيد الحياة فقد تستطيع الاهتداء اليها

وقالت مس ماربل فى تفكير :

ربما

وكيف نهتدى اليها ؟

ان البوليس يعرف كيف يتولى هذه المهمة خيرا منكما .

- ان المفتش لاست سيأتى لزيارتنا غدا .

- لو كنت مكانكما لحدثته عن هذه الدرجات .

- وعما رأيته كذلك .. أو خيل لى اننى رأيته فى البهو .

- نعم . انك أحسنت صنعا اذ لم تذكرى ذلك لأحد . ولكن أظن أن الوقت قد حان الآن لكى تتحدثى عما رأيت .

ودخلت مسز كوكر عندئذ لكى ترفع أقداح الشاى وقالت :

- معذرة يا سيدتى . ان هذه المرأة المسكينة التى قتلت ، والمشاكل التى سببتها لك انت ولسيدى ... كل ذلك جعلنى أنسى .. لقد أقبل مستر فين بعد ظهر اليوم معتقدا انك فى انتظاره ومكث ساعة .

هتفت جويندا :

هذا عجيب ! .. متى جاء ؟

- فى نحو الساعة الرابعة يا سيدتى .. ربما بعد ذلك بقليل . ولكنه ما كاد يغادر البيت حتى أقبل سيد آخر فى سيارة كبيرة صفراء ، وقد أكد هذا الأخير انك طلبت منه المجيء . وانتظر هو الآخر نحو عشرين دقيقة ، وقد تساءلت اذا كنت قد دعوت هذين السيدين لتناول الشاى ثم نسيت أمرهما بعد ذلك .

لم أدع أحدا منهما .. ان هذا غريب !

قال جايلز : - لنتكلم مع فين .. لاريب انه لم يأو الى فراشه بعد .

وقرن القول بالعمل ، فمضى الى التليفون ورفع السماعة وقال : - آلو . مستر فين ... أنا ريد سمعت انك أتيت الى البيت بعد ظهر اليوم ، ماذا ؟ ... كلا ، كلا ، اننى واثق ... هذا غريب ... أعترف اننى لا أفهم ... معذرة لازعاجى اياك .

وأعاد السماعة فى شئ من القلق وقال : - الواقع أن هذا عجيب . جاءت لفين صباح اليوم مكالمة من شخص طلب منه أن يأتى لدينا بعد ظهر اليوم لتناول الشاى وتسوية مسألة هامة .

تبادل جايلز وجويندا النظر فى دهشة . ومضى جايلز الى التليفون من جديد وبحث فى الدليل ثم ادار القرص وبعد انتظار طويل شيئا ما سمع صوت أفليك فقال :

- مستر أفليك ... أنا جايلز ريد ... اننى ... وقطع حديثه سيل من الكلمات فى الناحية الأخرى من الخط ، وبعد لحظة استطاع أن يقول :

- كلا . لم نفعل شيئا من هذا ... نعم ، نعم ، بالتأكيد . اننى اعلم أنك رجل مشغول جدا ، وما كنت أفكر أبدا ... ولكن قل لى ... من الذى تحدث اليك ؟ ... رجل ؟ ... كلا . أقول لك اننى لم أتكلم معك كلا ، كلا . اننى أفهم تماما . حسنا أعترف أن الأمر غريب .

وانتهت المكالمة . وعاد فجلس أمام الطارلة وقال :

- انتحل شخص اسمى وتكلم مع أفليك وطلب منه أن يأتى لزيارتنا بعد ظهر اليوم لعقد عملية بمبلغ كبير .

قالت جويندا بعد لحظة صمت : - من الجائز أن المتكلم الغامض هو فين أو أفليك ألا تفهم يا جايلز ؟ واحد منهما قتل ليلى كيمبل ثم جاء بعد ذلك لكى يثبت انه كان بعيدا عن مكان الجريمة .

قالت مس ماربل : - هذا غير ممكن طبعا .

- لا أقصد هذا بالضبط . وانما أعنى أنه جاء هنا لكى يجد ذريعة يبتعد فيها عن مكتبه . ومن المؤكد أن أحدهما صادق والآخر كاذب . ولكن لن نستطيع أن نحدد من منهما الكاذب لسوء الحظ . ومن رأيى انه أفليك .

قال جايلز : - أما أنا فأرى أنه فين .

ورفع كل منهما عينيه الى مس ماربل ، فهزت العانس العجوز رأسها فى رفق وقالت : هناك احتمال ثالث .

- طبعا ... ارسكين .

ومضى جايلز الى التليفون وطلب الاتصال بنورثمبرلاند وبعد لحظات كان يتكلم مع ارسكين . فقال له :

- هالو ... ميجور ارسكين ؟ ... أنا ريد ... نعم ... جايلز ريد ، من ديلموث .

ونظر الى جويندا كما لو كان يستنجد بها ، فنهضت المرأة الشابة على الفور وأخذت منه السماعة وقالت :

- ميجور ارسكين ... انا مسز ريد . سمعنا أن هناك بيتا معروضا للبيع فى نورثمبرلاند يعرف باسم لينسكوت بريك ، فهل تعرفه ؟

قال ارسكين : لينسكوت بريك ؟ ... كلا . يخيل لى اننى لم أسمع هذا الاسم من قبل .. فى أية منطقة ؟

- لا أدرى بالضبط الآن العنوان الذى ارسله لنا السمسار غير واضح . ولكنه يقول أن البيت يقع على بعد خمسة عشر مترا من دايث . ولهذا خطر لى ..

- اننى آسف يا مسز ريد . ولكننى لا أعرفه . من الذى يقطنه ؟

- انه شاغر فى الوقت الحالى . ولكن لا أهمية لهذا فقد استقر رأينا تقريبا على بيت آخر . أرجو المعذرة . أظن انك مشغول .

- أبدا . ثمة أعمال منزلية لا غير . فقد استدعيت زوجتى الى جوار أختها ، واليوم أجازة الخادمة بحيث اننى أهتم بشئون البيت ، وأعترف ان هذا لا يناسبنى أبدا لأننى أفضل أعمال البستنة .

- آه . حسنا . اتمنى لك ليلة طيبة ، ومعذرة لازعاجى اياك .

وأعادت جويندا السماعة وعادت فجلست وقالت فى انتصار : لا شأن لارسكين فى هذه الجريمة . ان زوجته متغيبة وهو يقوم بشئون البيت . وبهذا لا نجد أمامنا غير مشبوهين اثنين فقط .

ولكن مس ماربل كان يبدو عليها القلق وقالت بعد لحظة : - أظن أنكما لم تفكرا فى هذه القضية بما فيه الكفاية . رباه ! ... رباه ! ... اننى شديدة الجزع ولا أدرى ماذا أفعل .

* * *

كف القرد

- ١ -

أعتمدت جويندا بمرفقيها فوق المنضدة ودفنت ذقنها فى راحتيها وراحت تنظر فى شرود الى فضلات غدائها العاجل . يجب أن تنقل كل هذا الى المطبخ ، وأن تغسل الأطباق ثم ترى بعد ذلك ماذا تستطيع أن تجهزه للعشاء .

ولكن لم يكن هناك ما يدعو للاستعجال ، وانما كل ما كانت تحتاج اليه هو قليل من الوقت لكى تفكر ولكى تتفهم الموقف ، فقد حدث كل شئ بسرعة ، وعندما كانت تستعرض أحداث الصباح كانت تبدو لها شاذة وعجيبة وشبه مستحيلة ، فقد وقعت الأمور بأسرع ما يكون وبطريقة عجيبة .

كان المفتش لاست قد أقبل مبكرا ، فى نحو الساعة التاسعة والنصف ، وبرفقته المفتش بريمر من قوة البوليس المحلى ، وهذا الأخير هو الذى عهد اليه التحقيق فى مقتل ليلى كيمبل وما قد ينتج عنه من عواقب . وقد سأل مستر ريد اذا كان هناك ما يمنع من الحفر والتنقيب فى حديقتهما ، وكان يبدو من صوته انه يريد أن يقدم لرجاله قليلا من المران الطبيعى أكثر من البحث عن جثة مدفونة منذ ثمانية عشر عاما .

وأجابه جايلز قائلا : - أظن اننا نستيطع مساعدتكم بابداء بعض الآراء .

وقاد المفتش الى الشرفة وشرح له التغييرات التى حدثت فيما يتعلق بالدرجات التى نقلت من مكانها .

ورفع المفتش رأسه الى نافذة الدور الأول وقال :

- أظن أن هذه نافذة غرفة الأطفال .

ثم عاد الى البيت مع جايلز فى حين مضى رجلان الى الحديقة وفى يد كل منهم معول . وقال جايلز :

أظن أنه يجب أن تعرف الآن شيئا لم تذكره زوجتى الا لى أنا ولصديقة لها .

ألقى المفتش نظره الى جويندا ولزم الصمت لحظة وهو يتساءل هل يمكن الركون الى أقوال هذه المرأة الشابة ، أو اذا كانت تنتمى الى تلك الطبقة التى تجرى وراء خيالها .

وأدركت جويندا ما يدور فى ذهنه فاتخذت موقف الدفاع على الفور وقالت :

- ربما توهمت ما سوف أقول لك ، ومع ذلك فانه فظيع ... بل غاية فى الفظاعة .

وأجابها المفتش : - حسنا يا مسز ريد . هات ما عندك

روت جويندا له كل شئ . كيف بدا البيت مألوفا لها بمجرد أن رأته لأول وهلة عند قدومها الى انجلترا ، وكيف عرفت بعد ذلك أنه سبق لها أن أقامت فيه بعض الوقت وهى طفلة ، وكيف احتفظت فى ذاكرتها بلون الورق الذى كان يكسو جدران غرفة الأطفال والباب الذى كان يفصل بين الصالون وغرفة الطعام والدرجات التى ازيلت من أمام النافذة والتى كانت تؤدى الى الأرض المزروعة .

أومأ المفتش برأسه . لم يقل لها طبعا أن ذكريات الطفولة لا تهمه فى شئ . ولكن المرأة الشابة أحست أن هذا هو ما يدور فى رأسه ، واضطرت أن تجمع كل شجاعتها لكى تقول له كيف كانت تجلس فى صالة المسرح بكل هدوء ، وكيف تذكرت فجأة أنها رأت امرأة مخنوقة من خلال قضبان الدرابزين فى هيلسايد .

- كانت امرأة مخنوقة ذات وجه أزرق وشعر أشقر ... كانت هى هيلين . ولكن الشئ المعقد هو اننى لم أكن أعرف من هى هيلين .

وقال جايلز : - وقد خطر لنا ...

ولكن المفتش قاطعه بحركة من يده وقال : - دع مسز ريد تروى القصة بطريقتها هى .. أرجوك .

واستطردت جويندا فى قصتها وقد اضطرم وجهها قليلا يساعدها المفتش الذى دل على أنه يتمتع بذكاء كبير لم تقدره حق قدره . وقال فى تفكير : وبستر .. آه .. دوقة أمالفى .. كف القرد .

تدخل جايلز من جديد فقال :- لاريب أن ذلك لم يكن بأكثر من كابوس .

- أرجوك يامستر ريد .

وقالت مسز ريد : - كان يحتمل أن يكون كابوسا طبعا .

قال المفتش :- لاأظن . فإذا نحن رفضنا التسليم بأن جريمة قتل وقعت فى هذا البيت فيما سبق ، فإن من المتعذر عندئذ أن نجد تفسيرا لمقتل ليلى كيمبل .

كان هذا القول يبدو معقولا . واستطردت جويندا وقد أحست بشىء من التشجيع: ولكن أبى لم يرتكبها أن هذا مستحيل . والدكتور بنروز نفسه يقول أنه ماكان ليستطيع أن يقتل احدا ، وأنه لاينتمى إلى هؤلاء المرضى الذين يقدمون على القتل . أما الدكتور كيندى ، فعلى الرغم من أن أبى اعترف له بأنه قتل زوجته إلا أنه لم يصدقه هو الآخر . أن القاتل الحقيقى شخص آخر أراد أن يتهم أبى نفسه بأنه هو الذى ارتكب هذه الجريمة .

وسكتت المرأة الشابة برهة ثم قالت فى تردد : ونحن نعتقد اننا نعرف من هو الجانى .. اننا نشتبه فى رجلين على الأقل .

احتج جايلز قائلا : ولكن ياجويندا .. لايمكننا أن ..

قاطعه المفتش يقول :- مستر ريد . هل لك أن تمضى إلى الحديقة وأن ترى ما إ كان رجُلاى يتقدمان فى العمل . قل لهما اننى أرسلتك .

وأغلق النافذة خلفه ثم عاد إلى جويندا وقال :- حدثينى بكل ظنونك الآن يامس ريد . حتى ولو كانت تبدو لك غريبة وغير مترابطة .

أطلعته جويندا على كل شىء . وحدثته بما قامت به وكيف جمعت مااستطاعت ،

معلومات عن الرجال الثلاثة الذين لعبوا دورا فى حياة هيلين هاليداى . واختتمت حديثها بالمكالمتين اللتين تسببتا فى قدوم والتر فين وجاكى أفليك إلى هيلسايد ، ثم قالت :-

- وأنت ترى أيها المفتش أن أحدهما لابد يكذب .

أجاب المفتش فى لهجة فاترة :- هذه هى الصعاب فى مهنتى . ولكننا نعرف متى قتلت ليلى كيمبل تقريبا .. فى حدود عشرين دقيقة على الأكثر . أنها قتلت فيما بين الساعة الثانية والدقيقة العشرين والثالثة إلا عشرين دقيقة . وقد كان فى مقدورأى شخص أن يرتكب الجريمة ثم يأتى هنا بعد الظهر بعد ذلك . واعترف اننى لا أرى أى سبب لهاتين المكالمتين حيث أنهما لا تنفيان التهمة عن أى من الشخصين اللذين ذكرتهما الآن ،

- ولكنك ستستطيع أن تعرف طبعا ماذا كانا يفعلان ساعة الجريمة ، وفى مقدورك أن تستجوبهما .

ابتسم المفتش من جديد وقال :- سوف نلقى عليهما كل الأسئلة الضرورية . سنقوم بكل شئ فى الوقت المناسب ، فاننا لن نستفيد شيئا اذا نحن تعجلنا الأمور . يجب أن نفعل كل شئ فى هدوء وعلى مهل .

- نعم . اننى أفهم . هذه مهنتك وما نحن الا من الهواة . وقد حالفنا الحظ ولكننا لم نعد ندرى ماذا نفعل .

ابتسم المفتش ومضى الى النافذة وفتحها . وهم بالخروج عندما توقف فجأة كالكلب المتربص وقال :

- معذرة يا مسز ريد ... ولكن هذه السيدة التى أراها الآن هناك .. ألست هى مس مربل ؟

اقتربت جويندا بدورها من النافذة . كانت مس ماربل واقفة فى آخر الحديقة تقتلع

بعض الاعشاب الضارة . وقالت :

- نعم . أنها هى . كانت ظريفة بحيث خفت الى مساعدتنا فى صيانة الحديقة .

عاد المفتش يقول : - مس ماربل ... آه . اننى أفهم الآن .

قالت جويندا وهى تنظر الى المفتش فى أستغراب : - أنها ظريفة حقا .

- ومشهورة جدا ... تفوقت على بوليس ثلاث مقاطعات على الأقل . لم تقم بأى دور فى مقاطعتنا بعد ، ولكتنى أشعر بأنها سوف تتفوق علينا نحن أيضا . ان لمس ماربل دخلا فى هذه القضية اذن ؟

انها قدمت لنا اقتراحات عدة ساعدتنا فى ابحاثنا كثيرا .

لا أشك فى ذلك . هل قالت لك أيضا أين يجب أن نبحث عن الجثة ؟

- انما اكتفت بأن قالت لى ولزوجى أنه يجب أن نعرف تماما فى أى مكان ينبغى أن نبحث . ويبدو حقا أننا كنا من الغباء بحيث أننا لم نستمع اليها .

أطلق المفتش ضحكة صغيرة وابتعد لكى يقف أمام العانس العجوز . وخاطبها قائلا : لا أظن أننا تعرفنا ببعض يا مس ماربل ، ولكن الكولونل ملزور استرعى انتباهى اليك ذات يوم .

اعتدلت مس ماربل فى وقفتها وقد أحمر وجهها قليلا وقالت : - آه ... هذا العزيز الكولونل ملزور . كان ظريفا دائما منذ ...

منذ أن لقى أحد رجال الدين مصرعه فى مكتبه ، أليس كذلك ؟ ... لقد حدث هذا منذ عهد بعيد ، ولكنك قمت بأعمال باهرة أخرى منذ ذلك الوقت ، وخصوصا قضية الخطابات المجهولة فى مدينة ليمستوك .

يبدو أنك تعرف عنى الكثير أيها المفتش .

- اسمى بريمر . وأظن أنك لم تضيعى وقتك هنا .

- يا الهى ! ... اننى أحاول أن أفعل ما أستطيع فى هذه الحديقة .أنها مهملة جدا

والأعشاب الضارة كثيرة .

ثم حدقت فى وجه المفتش وقالت فى خطورة :- وجذورها تغوص فى باطن الأرض.

- أظن أنك على حق ، وهى جذور يرجع العهد بها الى ثمانية عشر عاما ... أليس كذلك ؟

وفى هذه اللحظة أقبل أحد الشرطيين مسرعا ووجهه يتفصد بالعرق ويعلوه التراب وقال : اننا عثرنا على شئ ... أيها المفتش .

***

- ٢ -

وقالت جويندا تحدث نفسها " وعندئذ بدأ الكابوس " .

وعاد جايلز من الحديقة وهو شديد الشحوب وقال :

- إنها هناك يا جويندا .

ثم أسرع أحد الشرطيين الى التليفون لاستدعاء الطبيب الشرعى .

وكانت هذه هى اللحظة التى اختارتها مسز كوكر الهادئة ، الرزينة لكى تخرج الى الحديقة . ولم يدفعها الفضول ، وانما خرجت لكى تجنى بعض أوراق النعناع . ووقفت فجأة أمام الاكتشاف الجديد وقد أحست بالمغص يلوى معدتها . وتأوهت قائلة :

- هذا فظيع يا سيدتى . لم استطع احتمال رؤية هذه العظام بجوار النعناع ... ان قلبى تتسارع دقاته بحيث لا أستطيع التنفس ... هل أطمع فى قليل من الكونياك ؟

وانزعجت جويندا وهى ترى المرأة المسكينة تلهث قد شحب لونها فأسرعت الى البوفيه ، وصبت قليلا من الكونياك فى كأس وناولتها أياه . وجرعته مسز كوكر ثم قالت وهى تتنهد :

- كنت بحاجة ماسة اليه .

وفجأة استعصى عليها الكلام ، وأزرق لونها ازرقاقا شديدا انزعجت له جويندا

وأطلقت صيحة كبيرة . وخف جايلز اليها ، ثم أسرع يستدعى الطبيب على الفور ، وكان موجودا فى الحديقة ، وقال بعد ذلك بقليل :

- من حسن الحظ اننى كنت موجودا والا ما أستطعنا اسعافها . لم يكن بينها وبين الموت الا لحظات معدودات .

وأسرع المفتش بريمر واستولى على زجاجة الكونياك وسأل جايلز وجويندا متى شربا آخر مرة . وقالت المرأة الشابة أنها لم تقربها منذ أيام لأن زوجها قام بجولة صغيرة فى الشمال ولم يتناولوا أخيرا الا الجعة .

وأردفت تقول : - ولكننى أوشكت أن أشرب منها أمس لولا أن الكونياك يصيبنى بالدوار دائما ، ولهذا فتح لى زوجى زجاجة من الويسكى .

قال الطبيب : - أنك كنت محظوظة يا مسز ريد لأنك لو كنت قد شربت منها أمس لما بقيت على قيد الحياة حتى اليوم .

وارتجفت جويندا وقالت :

وعندما أفكر أن جايلز أوشك أن يشرب منها هو الآخر .. ولكنه آثر الويسكى أخيرا ..

وكانت المرأة الشابة تجلس الآن وحدها فى البيت ، فقد خرج جايلز مع المفتش بريمر ، ونقلت مسز كوكر الى المستشفى ، ولكنها حتى هذه اللحظة ، بعد أن تناولت وجبة خفيفة ، لا تصدق الأحداث التى مرت بها شئ واحد بدا لها واضحا . وهو وجود والتر فين وجاكى أفليك فى البيت أمس . وكان فى مقدور أى منهما أن يدس السم فى الكونياك ، والا فما سبب المكالمتين التليفونيتين الا اتاحة الفرصة لواحد منهما لكى يدس السم فى زجاجة الكونياك . لقد قارب جايلز وجويندا الحقيقة عن كثب . ولكن ربما تسلل شخص آخر الى البيت من نافذة غرفة الطعام وبينما كانت جويندا وجايلز عند الدكتور كيندى ينتظران زيارة ليلى كيمبل . وربما اتصل هذا الشخص بفين وأفليك

لكى تتجه اليهما الريب والشكوك .

ولكن لا . ليس هناك معنى لذلك . لأنه لو صح هذا لاكتفى ذلك الشخص بالاتصال بأحد الرجلين لأنه لم تكن هناك حاجة الى أن ترقى الشبهات لأكثر من رجل .

وارتجفت جويندا مرة أخرى . كان لابد لها من وقت لكى تألف فكرة أن شخصا أراد أن يقتلها . لقد قالت لها مس ماربل فى البداية أنها تقوم هى وزوجها بعمل محفوف بالخطر ، ولكنها لم تحمل كلامها محمل الجد ، وكذلك لم يفعل جايلز . وحتى بعد مقتل ليلى كيمبل لم يخطر للمرأة الشابة أن أحدا قد يقدم على التخلص منها أو من زوجها لأن كلا منهما بدأ يدرك ما حدث منذ ثمانية عشر عاما .

والتر فين ... أو جاكى أفليك ؟ ... لأن الجانى واحد منهما ، ما فى ذلك شك ، بعد أن تأكدت من براءة ارسكين ، فقد كان موجودا فى نورثمبرلاند فى الساعة التى قتلت فيها ليلى كيمبل .

وهزت جويندا نفسها وأقصت عنها أوهامها وعادت الى الواقع . لن يلبث جايلز أن يعود ، وسيريد أن يتناول الشاى . ويجب أن ترفع الأطباق وأن تغسلها .

ومضت فجاءت بصينية وحملت كل شئ الى المطبخ .

وكان المطبخ نظيفا وكل شئ فى مكانه دلالة على أن مسز كوكر كانت شديدة العناية والاهتمام بعملها ، ورأت جويندا ، بجوار الحوض ، زوجا من القفازات الكاوتشوك كانت مسز كوكر تلبسه أثناء غسل الأطباق فلبسته جويندا وهى تقول لنفسها أن من الأفضل أن تحافظ على جمال يديها . وبعد أن فرغت من الأطباق وضعتها مكانها ثم صعدت الى الدور الأول وهى لا تزال غارقة فى أفكارها . ورأت أن تنتهز الفرصة فتغسل قميصين وبضعة جوارب .

وسمعت بابا ينصفق فى البهو فجأة وعرفت أن شخصا دخل . فخرجت من غرفة الاستحمام لكى تلقى نظرة من فوق الدرابزين ، واحست بالارتياح وهى ترى الدكتور

كيندى .

وصاحت تقول : - انا هنا ... فوق .

ورفع كيندى رأسه . ووضع يده أمام عينيه وقال :

- أهذه أنت يا جوينى ؟ ... اننى لا أرى وجهك ، وأنا قادم من الخارج ، وعيناى منبهرتان .

وعندئذ أطلقت جويندا صيحة حادة ونظرت الى يديها ، وكانت لا تزال تلبس القفازين الكاوتشوك فبدت يداها شبيهتين بكفى القرد . وقالت لاهثة :

- كنت أنت اذن ... أنت الذى قتلتها ... قتلت هيلين ... اننى أعرف الآن ... كنت أنت ... أنت .

صعد الطبيب السلم فى بطء وهو يحدق فيها بعينيه وقال فى صوت أجش :

لماذا لم تتركينى وشأنى ؟ لماذا تدخلت فى كل هذا أنت وزوجك ؟ . لماذا أعدتما كل ذلك وأحييتما ذكراها ؟ .. نعم. انكما أعدتما هيلين الى الحياة .. حبيبتى هيلين . اعدتما الماضى وكان لابد لى من قتل ليلى كيمبل .. وأرانى مضطرا الآن أن أقتلك أنت كما قتلت هيلين .. نعم .. كما قتلت هيلين .

وكان قد بلغ حيث تقف وقد شل الرعب جسدها .

وتقدمت يداه منها ... من عنقها ... وكان وجهه لا يزال ظريفا هادئا ... عيناه فقط هما اللتان تغيرتا .

وارتدت جويندا الى الخلف فى بطء وهى تحاول أن تصرخ عبثا ، فقد احتبس صوتها فى حلقها ولم تستطع النطق . وحتى اذا استنجدت فما كان ليسمعها أحد لأنها كانت وحدها بالبيت . لا جايلز ولا مسز كوكر ولا حتى مس ماربل . ثم أنها لا تستطيع أن تصرخ ، فقد وقفت مصعوقة مذعورة من هاتين اليدين اللتين راحتا تقتربان من عنقها .

ولم يكن فى مقدورها الا أن ترتد بضع خطوات أخرى . ولكنه سيلاحقها وعندئذ... عندئذ فقط ...

وانساب من بين شفتيها انين مكتوم محزن .

وفجأة توقف كيندى ثم ترنح وهو يرتد خطوة الى الوراء فى حين أصاب عينيه رشاش من الماء الممزوج بالصابون . وأجفل ، وأطبق عينيه ورفع يديه الى وجهه فى نفس الوقت .

وقالت مس ماربل وهى تلهث لأنها صعدت السلم ركضا :

- لحسن الحظ انني كنت أرش احواض الزهور بمبيد الحشرات .

* * *

الخاتمة

قالت مس ماربل : - ولكن ما كان ليخطر لى أن ابتعد وأتركك بالبيت وحدك يا عزيزتى جويندا فقد كنت أعرف أن هناك شخصا خطرا طليقا ، وكنت أقوم بالمراقبة فى الحديقة خلسة .

سألتها جويندا :

- هل كنت تعرفين أنه هو ؟

كانوا يجلسون ثلاثتهم .. مس ماربل وجويندا وجايلز فى شرفة فندق كلارنس رويال . وقالت مس ماربل :

- ان فى هذا تغييرا للجو .

وقد أعترف جايلز بأن هذا أفضل الحلول حقا . وقد وافقه المفتش بريمر على ذلك .

وردت مس ماربل على سؤال جويندا تقول :

الواقع أن كل شئ كان يشير اليه . ولكن لسوء الحظ لم يكن هناك أى دليل حقيقى يمكن أن نستند اليه . لم يكن هناك غير بضعة آثار ولا أكثر .

ورفع جايلز عينيه وقال فى حيرة :

- أعرف أننى لا أرى هذه الآثار .

- فكر جيدا ... أول كل شئ ... كان كيندى فى الانحاء .

- فى الانحاء ؟

طبعا . عندما مضى كلفن هاليداى الى صهره فى تلك الليلة كان هذا لا يزال موجودا فى المستشفى طبقا لأقواله . وعاد الى بيته بعد بضع لحظات . وكانت المستشفى فى ذلك الوقت تقع على مقربة من فيللا سنت كاترين ، كما قال أكثر

الشهود ، بحيث أن كيندى كان فى المكان المطلوب فى الوقت المطلوب . ثم كانت هناك بعد ذلك بضع حقائق لها معناها ، فقد قالت هيلين هاليداى لريتشارد ارسكين أنها غادرت انجلترا وفى نيتها أن تتزوج والتر فين لأنها لم تكن سعيدة فى بيتها . وكانت تقطن عندئذ مع أخيها . وكان هذا الأخير ، طبقا لأقوال جميع الشهود مخلصا لها . فاذا كان الأمر كذلك فلماذا لم تكن سعيدة . ثم أن مستر أفليك قال لكما أنه كان يرثى لهذه الفتاة المسكينة ، وأظن انه كان صادقا فى قوله هذا . فقد كان يرثى لها حقا . لماذا كانت تتسلل وتمضى للقاء أفليك خلسة ، ما دامت لم تكن تحبه ، باعتراف الجميع ؟... اكان ذلك لأنها لم تكن تستطيع الالتقاء بالشبان بطريقة طبيعية لقد كان أخوها متزمتا ورجعيا .

ارتجفت جويندا وقالت :

- لقد كان مجنونا حقا .

أجابتها مس ماربل · نعم . لم يكن طبيعيا أبدا . كان يعبد أخته غير الشقيقة، وقد تحول حبه هذا وأصبح ملكيا وضارا جدا . وهذا شئ كثير الوقوع ، أكثر مما يمكن أن تصدقاه ، فهناك مثلا آباء لا يرضون أن تتزوج بناتهن أو أن تتلاقين بالشبان ، وقد أدركت حقيقة الدكتور كيندى بمجرد أن عرفت بحادث شبكة التنس .

- شبكة التنس ؟

- نعم . فقد كان لهذا الحادث معناه . كانت هذه الفتاة قد غادرت المدرسة الثانوية لتوها وتشتهى كل ما تشتهيه فتاة فى مقتبل العمر من الحياة . كانت تريد أن تتعرف بالشبان الظرفاء وأن تغازل ...

- لعلها كانت تحب الجنس شيئا ما .

قالت مس ماربل فى لهجة قاطعة :

- أبدا .. وهذا بالذات أحد المظاهر البشعة لهذه الجريمة لأن كيندى لم يقتل أخته

جسديا فحسب اذا أعدتما النظر فى كل ما قيل لكما باهتمام فسوف تدركان أن الشخص الوحيد الذى قال أن هيلين كيندى تحب الجنس انما هو الدكتور كيندى نفسه . وأنا من ناحيتى مقتنعة تماما بأنها كانت فتاة طبيعية ومعتدلة . كل ما أرداته هو الخروج ومغازلة الشباب قبل ان يقع اختيار على شريك حياتها بصفة نهائية ، ولا شئ أكثر من ذلك . أرأيتما الى الاجراءات التى اتخذها أخوها . أنه يبدو فى بادئ الأمر متزمتا ورجعيا فيما يتعلق بحرية أخته . وعندما تبدى رغبتها فى تنظيم حفلات للتنس ، وهى رغبة طبيعية ليس فيها أي ضرر يتظاهر بالقبول ولكنه يتسلل ذات ليلة ويمزق الشبكة شر ممزق . وهو عمل أن دل على شئ فانما على السادية . ولما كان فى مقدور هيلين أن تمارس لعبة التنس فى مكان آخر وان ترقص فانه يستغل جرحا أصيبت به فى قدمها ويحاول أن يزيده عفونة بدلا من أن يعمل على شفائها منه . واننى مقتنعة بأنه تصرف هكذا فعلا .

ولم تشتبه هيلين فى شئ من كل ذلك ، فقد كانت تعلم أن أخاها يحبها كثيرا ، ولم تفهم لماذا كانت تحس بالتعاسة والشقاء فى بيتها . ولكنها كانت تحس بهذا الاحساس حقا . وأخيرا قررت أن ترحل ذات يوم الى الهند لكى تتزوج والتر فين . لا لشئ الا لكى تبتعد .. تبتعد عن ماذا ؟ ... هى نفسها لم تكن تدرى ، فقد كانت ما تزال صغيرة وساذجة بحيث تدرك ذلك .

ورحلت الى الهند وتعرفت على سطح الباخرة بالميجور ارسكين وأحبته على الفور . وهنا أيضا تصرفت تصرف الفتاة السليمة العقل ، الشريفة التى تحترم نفسها ، فلم تحرضه على هجر زوجته لكى يهرب معها . وانما منعته عن ذلك على الرغم من أنها أحبته حبا صادقا . ولكنها ما أن ترى والتر فين حتى تشعر بأنه يستحيل عليها أن تتزوجه ، وتطلب من أخيها أن يرسل اليها أجر العودة . وتلتقى بأبيك أثناء الرحلة وترى عندئذ مخرجا آخر مع احتمال قوى بالسعادة . ولكنها لا تتزوج أباك مدفوعة

بمظاهر خادعة ، فقد كان لا يزال تحت وطأة الحزن لوفاة المرأة التى أحبها كل الحب . وهى نفسها خرجت من حب تعيس . وكان فى مقدور كل منهما مساعدة الآخر ومواساته .

ومن رأيى أن هناك معنى كبيرا فى أنهما تزوجا فى لندن ولم ينتظرا حتى يعودا الى ديلموث لاعلام أخيها برغبتها ، ولا ريب أن هيلين أحست بغريزيته ، أن هذا هو التصرف السليم فى حين أنه كان من الطبيعى أن تتزوج فى ديلموث . وأظن أيضا أنها لم تكن تدرك الموقف جيدا وأنها لم تكن تدرى بأية قوى شريرة تصطدم ، ولكنها أحست بالضيق وخامرها احساس بأن من الأسلم أن تضع أخاها أمام الأمر الواقع .

وكان كلفن هاليداى على صلات ودية بالدكتور كيندى ويتعاطف معه . أما الدكتور فقد بدا أنه غير مسلكه وتقبل هذا الزواج عن طيب خاطر . وأستأجر الزوجان بيتا فى ديلموث .

وننتقل الآن الى تلك النظرية التى تستند على أن هيلين هاليداى كانت تدس العقاقير لزوجها ، ولا أرى لهذا غير تفسيرين محتملين لأنه لا يوجد غير شخصين كان فى مقدورهما الاقدام على مثل هذا العمل . فأما أن تكون هيلين ، هى التى كانت تدس المخدر لزوجها حقا ، واذا صح هذا فلماذا كانت تفعل . واما أن الدكتور كيندى هو الذى كان يدس المخدر بنفسه ، وهذا عمل متاح له لأننا نعرف أنه كان الطبيب الخاص لهاليداى وان هذا الأخير كان يثق به ثقة عمياء . واعتقاده بأن زوجته كانت تدس له المخدر انما أوحى به اليه الدكتور كيندى بطريقة بارعة .

تدخل جايلز فقال : ولكن هل هناك مخدر يمكن أن يوهم رجلا بأنه قتل زوجته . أظن أنه لا وجود لمثل هذا النوع من المخدرات .

- ها أنت تقع فى نفس الفخ مرة أخرى يا عزيزى جايلز وتصدق كل ما يقال لك . ان كنيدى هو الذى قال أن هاليداى كان ضحية لهذا الوهم ، ولم نسمع أن أحدا آخر قال

عنه ذلك . وهو نفسه لا يذكر فى مذكراته التى كتبها فى المستشفى شيئا من ذلك . كان يشكو من بعض الأوهام والتخيلات طبعا ، ولكنه لم يحدد طبيعتها ، ويخيل لى أن كيندى حدثه عن رجال خنقوا زوجاتهم بعد مرورهم بتجربة كتلك التى يمر بها .

تمتمت جويندا : - انه شيطان مريد حقا !

- نعم . وأظن أنه تجاوز منذ ذلك الوقت الحد الفاصل بين العقل والجنون . وقد بدأت هيلين المسكينة تدرك ذلك ، ومن الواضح أنها كانت تتحدث معه فى ذلك اليوم الذى سمعتها ليلى تقول فيه " اننى أخاف منك منذ وقت طويل " . وقد أقنعت زوجها بأن يشترى بيتا فى نورفولك ، وان لا يطلع أحدا على نيتها هذه ، وهذه النقطة الأخيرة غريبة ولها معناها أيضا ، ففيها الدليل على أن هيلين كانت شديدة الخوف من أن يعلم شخص بالذات بهذا القرار ، وهذا الشخص لا يمكن أن يكون والتر فين ولا جاكى أفليك ، ولا حتى ريتشارد أفليك ، لأنه شخص كان وثيق الصلة بها أكثر من هؤلاء جميعا . ولكنها أخطأت اذ لم تفض بمخاوفها لزوجها لأن هذا الأخير أثقله هذا السر الذى لا معنى له وروى لصهره كل شئ .

واذ فعل هذا قضى على زوجته وعلى نفسه فى نفس الوقت ، لأن كيندى ما كان ليدع أخته تعيش بعيدا عنه وتعرف السعادة مع زوجها . وأظن أنه كان ينوى منذ البداية تحطيم حياة هاليداى بأن يجرعه أدوية شديدة الخطورة بطريقة منتظمة . ولكن حين علم أنه يوشك أن يفلت منه هو وهيلين جن جنونه تماما . وعاد ذات يوم من المستشفى ودخل حديقة سنت كاترين وفاجأ أخته فى البهو وقتلها . ولم يره أحد ، ولم يكن بالبيت فى ذلك الوقت من يستطيع أن يراه ، أو هذا ما أعتقده على كل حال . وعندئذ يعذبه حبه وجنونه فى نفس الوقت ، وينطق بتلك العبارة المفجعة التى تتفق مع الموقف تماما .

وتنهدت مس ماربل وقالت : - وقد كنت غبية .. غبية جدا ، فقد كان يجب أن

أفهم على الفور ، فان تلك العبارة كان فيها مفتاح اللغز لأن الذى ينطق بها فى مسرحية وبستر رجل تآمر على موت أخته عقابا لها لأنها تزوجت بالرجل الذى تحبه نعم . لقد كنا أغبياء .

سألتها جويندا : - وبعد ذلك ؟

- واصل كيندى خطته الشيطانية ، فنقل الجثة الى الدور الأول . وجمع بعض الثياب فى حقيبتين ثم كتب رسالة ألقاها فى سلة المهملات بحيث يعتقد هاليداى الواقع تحت تأثير المخدر أنه هو الذى ارتكب الجريمة .

قالت جويندا : - ألم يكن من الأوفق له أن يلقى التهمة على أبى ؟

هزت مس ماريل رأسها وقالت : - كلا . ما كان فى مقدوره ان يجازف بذلك . كان يملك عقلا اسكتلنديا سليما ، وكان يحسب حساب البوليس الذى لابد له من أدلة وحجج قوية لكى يتهم شخصا بتهمة القتل . وفى هذه الحالة بالذات فان المحققين يلقون عددا من الأسئلة المحرجة وخشى أن يقوموا بتحريات عميقة فيما يتعلق بتحركاته وتصرفاته ساعة الجريمة . كانت خطته أسهل وأكثر خبثا ، فقد كان يكفيه أن يقنع هاليداى بأنه قتل زوجته أولا ، ثم بأنه مجنون ثانيا . ويحمله بعد ذلك على دخول احدى المستشفيات . ولكننى لا أعتقد أنه أراد ان يقنعه حقا بأن كل ذلك لم يكن الا مجرد أوهام . وأظن يا جويندا أن أباك لم يقلب هذه النظرية الا من أجلك أنت ، ولكنه ظل يحتفظ فى قرارة نفسه باعتقاده بأنه قتل زوجته ، ومات الرجل المسكين وهو على هذا الاعتقاد .

تمتمت جويندا :

- هذا فظيع ... فظيع ! ...

- نعم . وليست هناك كلمة أخرى للتعبير عما نشعر به ، وأعتقد أن هذا هو السبب فى أن عقلك الباطن ظل يحتفظ بذكرى ما رأيت فى تلك الليلة .

قال جايلز :

- ولكن .. وخطابا هيلين .. لقد كانا حقيقيين .. لم يكن بهما أى زيف .

- بل كانا زائفين طبعا ، وهنا وقع كيندى ضحية خبثه فقد أراد أن يرغمك ، أنت وزوجتك ، على التخلى عن تحرياتكما بكل طريقة . ولم يكن هناك أى شك فى أنه كان يستطيع أن يقلد خط أخته ، ولكن ما كان ذلك ليخدع خبراء الخطوط ، ولهذا فان النموذج الذى أعطاك اياه على خط أخته لم يكن حقيقيا هو الآخر ، فقد كتبه هو بنفسه بحيث لم يجد الخبراء أي اختلاف فى الخطين .

صاح جايلز :

- يا الهى ! .. ما كان هذا ليخطر لى على بال .

قالت مس ماربل :

- لأنك صدقت كل ما كان يقوله لك ، ومن الخطر أن تصدق الناس . منذ سنوات وأنا لا أقع فى هذا الفخ .

- والكونياك ؟

انه دس السم فيه فى اليوم الذى جاء فيه بخطاب هيلين ، بينما كنت فى الحديقة . كان ينتظر بالداخل فى حين أسرعت مسز كوكر لكى تخبرنى بقدومه . ولم يكن بحاجة الى أكثر من دقيقة لكى يرفع السدادة ويدس السم .

تمتم جايلز :

- يا الهى ! .. يا له من شيطان ! وحين أفكر انه نصحنى بأن أقدم لجوينى بعضا منه ونحن نغادر قسم البوليس بعد موت ليلى كيمبل . ولكن كيف فعل لكى يلتقى بليلى ؟

- ان الأمر بسيط جدا . فقد واعدها على اللقاء فى ماتشنج هالت فى الخطاب الأصلى الذى أرسله اليها ، وطلب منها فيه أن تأتى فى قطار الساعة الثانية الا خمس

دقائق . وقد فاجأها فى الطريق طبعا ، وخنقها ثم استبدل خطابه الأول بذلك الذى عثر عليه رجال البوليس معها . وعاد بعد ذلك الى بيته وقام بدوره فتظاهر بأنه ينتظر معكما مجئ ليلى .

- هل هددته هذه المرأة حقا ؟ .. ان خطابها لم يكن يدل على ذلك . كان يبدو على العكس انها تشتبه فى أفليك .

ربما كانت فى أفليك فعلا . ولكن ليونى هى التى كانت تمثل الخطر الحقيقى بالنسبة لكيندى لأنها هى التى رأته من نافذة غرفة الأطفال وهو يحفر القبر فى الحديقة . وقد ذهب اليها فى صباح اليوم التالى وقال لها أن الميجور هاليداى قتل زوجته فى احدى نوبات الجنون ، وانه هو ، أى كيندى يريد اخفاء الأمر بسبب الطفلة ، وانها اذا أرادت أن تمضى الى البوليس فان لها مطلق الحرية فى أن تفعل ما تشاء ، ولكن سوف يسبب لها هذا الاجراء الكثير من المتاعب . وخافت الفتاة المسكينة لمجرد ذكر البوليس ، وكانت تعبد الطفلة التى تشرف على تربيتها وتثق فى الدكتور كيندى ثقة عمياء ، وتعتقد أنه يتصرف بما فيه الخير ، وقد نقدها كيندى مبلغا من المال لا بأس به وأعادها الى سويسرا من غير أن يضيع وقته . ولكنها قبل أن ترحل ذكرت لليلى أن أباك قتل زوجته ، وأنها رأته يدفن جثتها . وكان هذا يتفق تماما مع الفكرة التى كونتها ليلى لنفسها فقد كانت مقتنعة بأن كلفن هاليداى قتل زوجته .

- ولكن كيندى لم يعلم ذلك .

- طبعا . ولهذا ما أن تلقى خطاب ليلى حتى تملكه الخوف خاصة حين رآها تتحدث عن السيارة التى رأتها من النافذة .

- سيارة جاكى أفليك .

- هذا سوء تفاهم آخر . كانت ليلى تتذكر أو تعتقد أنها تتذكر أنها رأت سيارة تشبه سيارة جاكى أفليك . وكان هذا قد ترك سيارته فى الطريق . وكان ذهنها قد بدأ

يعمل ، وراحت تفكر فى ذلك المجهول الغامض الذى يأتى لزيارة مسز هاليداى . وكانت المستشفى قريبة من البيت فى ذلك الوقت . ومن الواضح أن عددا كبيرا من السيارات كان يقف أمامها . وعندما قرأ الدكتور كيندى خطاب ليلى اعتقد طبعا أنها تتكلم عن سيارته هو . ولم يكن لكلمة " أنيقة " . أى معنى محدد فى ذهنه .

قال جايلز :

- اننى أفهم . كان لهذا الخطاب ، لشخص له ضمير مثقل مثله مظهر من مظاهر الابتزاز . ولكن كيف عرفت كل هذه المعلومات عن ليونى !

جزت مس ماربل على شفتها السفلى وقالت :

- لقد جن جنون كيندى تماما . ما أن أسرع المفتش بريمر الى الفيللا للقبض عليه حتى روى كل ما حدث وكل ما أقدم عليه . وقد ماتت ليونى فى سويسرا بعد عودتها بقليل عقب تناولها جرعة قوية من مخدر ... أوه .. انه لم يكن يترك شيئا للظروف .

ولهذا السبب دس السم فى الكونياك .

تماما . كنت أنت وجايلز تمثلان خطرا كبيرا عليه . ومن حسن حظك أنك لم تذكرى له أبدا انك رأيت هيلين وهى ميتة فى البهو . لم يعرف أبدا أنه كان هناك شاهد عيان .

والمكالمتان التليفونيتان ؟ .. لفين وأفليك ؟ .. أهو الذى اتصل بهما .

طبعا . حتى اذا اكتشفوا حقيقة الكونياك تتجه الشبهات الى واحد منهما .

قالت جويندا :

وكان يزعم أنه يحبنى .

كان يجب أن يقوم بدوره . تصورى معنى هذا بالنسبة له . بعد ثمانية عشر عاما تعودين ومعك زوجك وتلقيان الأسئلة وتنبشان الماضى وتعيدان الحياة الى جريمة كان يبدو أنها ميتة فى حين أنها كانت نائمة .. كان هذا أمرا شديد الخطر يا عزيزتى ،

وأعترف انكما سببتما لى الكثير من المتاعب .

قالت جويندا :

- ومسز كوكر المسكينة ؟ .. يسرنى أنها تتماثل للشفاء سريعا . هل تظن أنها ستعود الينا يا جايلز .

قال الشاب بلهجة الجد :

- اذا جاء الطفل فسوف تعود لكى تعنى به .

احمر وجه جويندا ، وارتسمت على شفتى مس ماربل شبه ابتسامة وأشاحت بوجهها بعيدا . وقالت المرأة الشابة فى تفكير :

- من الغريب أن الأمور وقعت هكذا . ويا لها من مصادفة ! كنت واقفة فى أعلى السلم أنظر اليه فى شرود وهو يصعد حين نطق بتلك الكلمات التى أعادت الى ذهنى نفس الكلمات الأولى .. " وجهك " .. ثم .. " عيناى مبهورتان " .

وارتجفت وقالت :

- غطوا وجهها . انها ماتت فى مقتبل العمر وعيناى منبهرتان .

وأردفت تقول بعد صمت قصير :

- لولا مس ماربل لكنت الآن فى عداد الموتى . مسكينة هيلين .. مسكينة حقا ! .. ماتت فى ريعان الشباب . هل تعرف يا جايلز أنها لم تعد فى البيت الآن ، ولم تعد فى البهو نفسه . اننى أحسست بذلك أمس ونحن نرحل . لم يبق ألا البيت ، وهو بيت يحبنا وينتظرنا ، ويمكننا أن نعود اليه حين نشاء .

* * *

تمت بحمد الله